

مجلة  
الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة

العدد الثالث - السنة العاشرة - ذو الحجة ١٣٩٧ هـ - نوفمبر - تشرين ثاني ١٩٧٧ م

# الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر أربع مرات في السنة  
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

لجنة التحرير:

محمد المجذوب

عبد القادر شيبدة أحمد

محمد شريف

حمود فايد

المراسلات المتعلقة بالتحريير ترسل إلى  
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة  
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

PUBLIC - RELATIONS

# أهل الكتاب في القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم  
أهل الكتاب في القرآن الكريم

إن الذين يستهدفون جلاء حقيقة إلهية في كتاب الله الكريم ، أو إبراز قضية من قضايا السنة المطهرة ، يعضون إلى غاياتهم في نور القرآن والسنة ، غير ملقين اسماءهم لصيحات باطل تتردد في فترة من فترات الزمان ، أو في أى مكان ، آخذين ذلك الأدب من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول لمصطفاه .

« ولتسمعنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأهوار » آل عمران (١٨٥)

وقال « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » الآية ٧٢/ يعضى المسلمون إلى غاياتهم النبيلة لا يزايلون آدابهم التى توارثوها جيلا عن جيل ، وقبيلا في أعقاب قبيل ، من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، القولية والعملية على سواء .

« ولو أنهم ردوا منكر القول وزوره بحجة الحق ، وقوة الصدق ما اعتدوا

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك القدوة الحسنة لصاحبه ، حتى قال تعالى فيهم : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغى الجاهلين » القصص/ ٥٥ .

وقال في خواتيم سورة الفرقان من صفات عباد الرحمن « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » الآية/ ٦٣

وكانت الفرحة بقيامها أملاً في إمكان جمع الصف الاسلامي وتوحيد أمه وشعوبه في جامعة اسلامية ، وكان الجح الذي كتبت فيه بحثي قبيل موسم الحج في ذلك العام ، فاسترعت الانتباه الى إمكان جمع شتات أمتنا الكبرى التي تجتمع في الصلاة خمس مرات في كل يوم وليلة ، وتجتمع في الجمعة تجمعا أكبر ، وتجتمع في الأعياد على نحو اظهر وأبهر ، وتجتمع في فريضة الحج من كل فج عميق في مهد التوحيد ومنزل الوحي ، في عرفات وغيره من مشاهد الفريضة الحاتمة ! !

ولم يمض طويلُ زمن حتى حمل البريد الى رسالة أحد القسس من بلدة اسمها صفت الحمار بمديرية المنيا يومئذ ، وهي في صعيد مصر ، وتبعد كثيرا عن بور سعيد التي كنت أودى فيها آنذاك أمانة الدعوة الى الله ، وفي الرسالة من سخائم النفوس ، وأوغار الصدور ، والضيق بالإسلام الكريم ما اجتزئ منه بمجرد الإشارة إليه ، ولون الماء من لون الإناء كما يقولون ، وصدق الله الذي يعلم من خلق ، « يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلا ودواما عنتم

أبدا ، ولا جاوزوا مشارع الصواب » قال تعالى :

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلمَ وكان الله سميعا عليما » النساء/ ١١٤ . ولكننا نرجو عفو القادر الذي يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . . وهو تعالى يقول . . « إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديرا » النساء/ ١١٥ .

ولقد قال أحدهم لابن عباس رضى الله عنهما : هل على من جناح إن آخذت من ظمى !؟ فقال : لا . ثم تلا قوله تعالى :

« ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » الشورى : ٤١ - ٤٢ .

واني لأذكر ، وكأن ذلك الساعة ، أننى كتبت من قرابة ثلاثين عاماً كلمة في مجلة « نور الاسلام » التي كانت وما تزال تصدرها ادارة الوعظ في الأزهر . وكان عنوان الكلمة « الجامعة الاسلامية . . بعد الجامعة العربية » وكانت الجامعة العربية وليدة ما تزال في السنة الرابعة من عمرها تقريبا ،

التي عرف الناس بها بور سعيد من قديم  
أجل إن ما يتهاوى إلى الأسماع في  
هذه الأيام من بَرَم بتطبيق الشريعة  
الاسلامية في بعض أقطارها ، واستعلان  
أقوام كانوا منذ قريب يدعون إلى  
« وحدة الأمة » و « وحدة الكتب  
الدينية » التي تملأ خواء الأنفس ،  
وفراغ الأرواح من سلطان الدين والايمان  
اللذين هما في المناخ الاسلامي البلسم  
والشفاء والهدى والضياء ، ولا شئ  
من ذلك في غير كلمة الله الأخيرة . .  
الاسلام ! !

استعلان هؤلاء باستنكارهم لتحكيم  
الشريعة الاسلامية في برقيات وبحوث  
ونشرات صفراء . . وإعلان الصوم  
أياماً . . لا إلى الموت كما فعل ويفعل  
أقوام - يكشف عن خبيثة هؤلاء القناع  
ويسلط النور على ما يصطنعونه حيناً  
بعد حين من كيد وحيلة وخداع ،  
ويضيف جديداً من الشواهد على أن المسلمين  
وحدهم - هم صمام السلام ، وألوية  
الوثام منذ أعطى نبيهم صلوات الله  
عليه « أهل الكتاب » من يهود عهده  
« لهم ما لنا وعليهم ما علينا » . . وما يعنيه  
قوله « أحب أن يعلم أهل الكتاب أن  
في ديننا سماحة » .

قد بدت البغضاء من أفواههم  
وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم  
الآيات إن كنتم تعقلون ، هأنتم أولاء  
تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب  
كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلدوا  
عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ،  
قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات  
الصدور « آل عمران/ ١١٨-١١٩ .  
وحسبي أن أورد هذه العبارة من  
رسالة القس فوى أخف ما فيها . . قال  
« أي جامعة إسلامية تريدنا يا شيخ  
معوذ ؟! عوّضك الله خيراً في  
الاسلام » ! ! !

ولقد رددت على الرسالة ، ولكن العهد  
حينئذ ، ونظام الحكم ، وضيق المسؤولين  
بكلمة الاسلام حالت دون نشر ما كتبت  
وللبحث والرسالة والرد عليها فُرَص تحين  
إن شاء الله مقرونة بذكريات ليس  
إلى نسيانها من سبيل مع قسُسٍ كانت  
تجمعنا بهم صوالح المناسبات ، ولا يعلق  
بالخواطر من أقوالهم وأفعالهم ما يثير  
ريبة أو يدعو لإنكار ، وبور سعيد  
تذكر ذلك العهد وكم ذكروني به  
حين كنت بينهم من أيام تجدد عهد  
الدعوة في ظروف طغت فيها مادية  
« المدينة الحرة » على طبيعة الهدوء

ولا يحسبن أحدٌ أن هذه السماحة  
تعنى الضعف أو المواربة والخداع ،  
كلا وإيم الحق ، وليسأل من أشاء  
التاريخ القريب والبعيد ،

ألا لا يجهان أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما يضائل من حرصى على متابعة  
ما بدأته من بيان « أهل الكتاب » في  
القرآن والسنة أن أدعو من ينصف من  
« أهل الكتاب » الى استجلاء حرص  
النبي صلى الله عليه وسلم على دعوة  
القوم الى الاسلام ابتداء بالأهم فَمَا  
يليه ، وباب بعث معاذ إلى اليمن في  
الصحيحين وفي مسلم بشرح النووى  
يورد رواية « فليكن أول ما تدعوهم  
إليه عبادة الله ، فاذا عرفوا الله فأخبرهم  
. الحديث » وقد أورد الامام النووى  
كلاما للقاضى عياض كأنه الالهام في  
هذه الأيام ، أو رؤية الغيب من وراء  
ستر رقيق ، قال النووى « قال القاضى  
عياض :

وهذا - ما استفاد من الرواية المذكورة  
يدل على أنهم - أهل الكتاب - ليسوا  
عارفين الله ، وهو مذهب حذاق  
المتكلمين في اليهود والنصارى ، أنهم  
غير عارفين الله تعالى ، وإن كانوا  
يعبدونه ويظهرون معرفته ، لدلالة

العقل عندهم على هذا ، وإن كان  
العقل لا يمنع ان يعرف الله تعالى من  
كذب رسولا .

قال القاضى عياض رحمه الله :  
« ما عرف الله تعالى من شبهه وجسمه  
من اليهود ، أو أجاز عليه البداء أو  
أضاف إليه الولد منهم ، أو أضاف  
إليه الصحابة والولد ، وأجاز الحلول  
عليه والانتقال والامتزاج من النصارى »  
« أو وصفه بما لا يليق به ، أو أضاف  
إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس  
والثنوية ، فمعبودهم الذى عبدوه ليس  
هو الله ، وإن سموه به ، إذ ليس  
موصوفا بصفات الإله الواجبة له »

« فأذن ما عرفوا الله سبحانه ، فتحقق  
هذه النكتة ، واعتمد عليها . وقد  
رأيت معناها لمتقدمى أشياخنا ، وبها  
قطع الكلام أبو عمران الفارسى بين  
عامة أهل القيروان عند تنازعهم في  
هذه المسألة » ١ هـ (١) .

وفي القرآن الكريم آيات تنطق بهذا  
النحو من الفهم بصراحة لا يعترىها  
شئ من الخفاء أو اللبس ، وآيات  
أخرى تطول بها أعناق طوائف اتَّسَمَوْا  
بالإنصاف والبراءة من اللجاج والخلاف  
والاعتساف ، وذهبوا بحظ وافر من

الإيمان الواثق والإذعان المطمئن للإسلام  
 وكم نجد اليوم غير أستاذ في جوانب  
 من شرق الدنيا وغربها ، قد خلعوا  
 أردية التعصب للباطل ، والتشبث بما  
 توأصى به غيرهم لمجرد أنه مواريث  
 أوائلهم ، ونظروا في القرآن والسنة بتجرد  
 وصدق في نشدان الحق ، فأنكشف  
 لهم من خلال الاسلام عقيدة ومنهاج  
 عبادة وسلوك ما صرحوا به ولم  
 يلمحوا ، وأعلوا حجته على مأثورهم  
 من معتقدات لا تتماسك أمام النظر  
 السليم والعقل القويم « وهكذا يشق الحق  
 طريقه ، ويشرق ويتألق ، قاهرا الأوهام  
 وسجف الظلام التي تكتنفه وتعترض  
 بفعل الأقوام مساره .

« أنزل من السماء ماء فسالت أودية  
 بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما  
 يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو  
 متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق  
 والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما  
 ما ينفع الناس فيمكث في الأرض  
 كذلك يضرب الله الأمثال » الرعد/ ١٧  
 يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي  
 - رحمه الله - في كتابه أضواء البيان «  
 ج ١ ص ٧٤ عند تناوله لقول الله تعالى :

« ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب  
 يا بني إن الله اصطفى لكُم الدين  
 فلا تموتن إلا وانتم مسلمون » البقرة/ ١٣١  
 أشار إلى أنه دين الاسلام هنا بقوله  
 « فلا تموتن إلا وانتم مسلمون » وصرح  
 بذلك في قوله « إن الدين عند الله الاسلام »  
 آل عمران/ ١٩ .

وقوله « ومن يبتغ غير الاسلام ديننا  
 فلن يقبل منه وهو في الآخرة من  
 الخاسرين » آل عمران/ ٨٥ . ثم علق  
 رحمه الله على قوله تعالى « وما أوتي  
 موسى وعيسى . . » البقرة/ ١٣٦ فقال :  
 « لم يبين هنا ما أوتيته موسى وعيسى  
 ولكنه بينه في مواضع أخرى ، وذكر  
 أن ما أوتيته موسى هو التوراة المعبر  
 عنها بالصحف في قوله تعالى « صحف  
 ابراهيم وموسى » الأعلى / ١٩ وذلك  
 لقوله « ثم آتينا موسى الكتاب . »  
 الأنعام / ١٥٤ - وهو التوراة بالإجماع  
 « وذكر أن ما أوتيته عيسى هو الانجيل  
 كما في قوله « ووقفينا بعيسى بن مريم  
 وآتيناه الانجيل . . » الحديد / ٢٧ هـ  
 إنها ليد بيضاء للقرآن على « أهل الكتاب »  
 وهو يسمى كتبهم ، ويعرف بها ،  
 ويشيد بخصائصها في زمانها . وشهادتها

يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض  
ويأخذون آيات الله هزوا ، ويحرفون  
الكلم عن مواضعه ، ويقولون ليس  
علينا في الأميين سبيل « قال تعالى :

« ولما جاءهم كتابٌ من عند الله  
مصداق لما معهم وكانوا من قبل  
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءها  
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين  
البقرة / ٨٩ .

هذا اجمال يتبعه تفصيل ، وعموم  
تلقاك على تخصيصه عما قليل ، والله  
يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بما أنزل الله من بعد في الكتاب المهين  
والقرآن - والله - وكتابه المثل الأعلى -  
هو الشمس التي تشرق بنور ربها ،  
وتعطي الفرصة لغيرها من الأشياء التي  
تظهر مزاياها وجوانب الحسن فيها ،  
فيكون للشمس ونورها في ذلك الظهور  
والوضوح أكبر الفضل .

ولقد كان من حق عارفة القرآن ،  
على « أهل الكتاب » أن لا يجحدوها  
طرفة عين . . لكن الطبائع غالية ،  
قمن القوم إن لم نقل أكثرهم من





# التكرار في القرآن العظيم

لفضيلة الدكتور أحمد جمال الحمري - بكلية اللغة العربية والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . . أضاء بصائرنا وأبصارنا بنور القرآن . وجعله آية خالدة على مر الزمان ، أحمدته سبحانه ، جلّت حكمته ، وعظمت مشيئته ، له في كل مجال آية ، وفي كل خلق حكمة تشهد بعظمته الباهرة ، وقدرته القادرة .

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، الذي شرفه الله بالقرآن . . محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان .

سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . . ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

القرآن كلام الله المعجز للخلق في بلاغته وأسلوبه ونظامه ، المعجز في تأثير هدايته المعجز في تشريعاته ، المعجز في علومه وحكمه ، المعجز في كشف الحجب عن الغيوب الماضية . . وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول . . ولقد حار العلماء في كشف حجب البيان عن وجوه إعجاز القرآن . . فمن آيات هذا الإعجاز . . الإعجاز البلاغي . .

ومن صور الإعجاز البلاغي ظاهرة التكرار .

والتكرار : مصدر كَرَّرَ إِذَا رَدَّدَ وَأَعَادَ ، وهو ( تَفَعَّلَ ) يفتح التاء . وليس بقياس . بخلاف ( التَّفَعَّلَ ) وهذا مذنب سيبويه البصري . أما الكوفيون ، فقالوا :

هو مصدر ( فَعَّلَ ) والألف عَوَّضٌ عن الياء في التَّفَعَّلِ .

وقد أنكر بعض العلماء كون التكرار من أساليب الفصاحة ، وظنوا أنه لا

فائدة له . . وهذا أمر مردود . . فالتكرار من محاسن أساليب الفصاحة العربية ، خاصة إذا تعلق بعضه ببعض . وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشئ إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه ، أو قصدت الدعاء عليه . . سررتهم وسيداً .

وإنما زلات اللسان بسببهم ، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض ، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة .

وعلى ذلك يحتمل كل ما جاء في القرآن من تكرار المواعظ والوعد والوعيد ، لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة ، وكلها داعية إلى الشهوات ، ولا يقمع ذلك إلاّ تكرار المواعظ والقوارع . قال الحق تبارك وتعالى :

« ولقد يَسْرِنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرٍ »

قال الزمخشري (١) : « أى سهّلناه للإدكار والاتعاض بأن نسجنه بالمواعظ الشافية ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد . . » .

والتكرار - في القرآن العظيم - قد يكون بتكرير الجملة مرتين

كقوله تعالى : (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) (٢)

(أولى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى) (٣)

(لَسْرُونََ الْجَحِيمِ ثُمَّ لَسْرُونََهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) (٤)

(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) (٥)

وقوله تعالى : (وإنّ منهم لَفَرِيقاً يَلُونِ أَلَسْنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ الْكِتَابِ وما هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَتُولُونَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) (٦)

وفائدته العظمى هذا التقرير . - لذلك قال العلماء : الكلام إذا تكرر . . تقرر .

وقد يكون بتكرير اللفظ . . وهذه هي حقيقته - أى إعادة اللفظ أو مرادفه ،

لتقرير معنى ، خشية تناسي الأول لطول في الكلام . . كما في قوله تعالى :

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ،

وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (١)

وفي قوله تعالى : (ثُمَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ

٣ - القيامة ٣٤ ، ٣٥

٢ - المدثر ١٩ ، ٢٠

١ - الكشاف ٤/٣٤٦

١ - النحل ١١٩

٦ - آل عمران ٧٨

٥ - النبا ٤ ، ٥

جَاهِدُوا ، وَصَبِرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِّنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١)

فإن أعيد اللفظ لا لتقرير المعنى الأول ، لم يكن من التكرار .  
ففي قوله تعالى : ( قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ،  
وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ، قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي  
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ  
مِنْ دُونِهِ ) (٢)

فأعاد قوله ( قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ) بعد قوله ( قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ  
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ) - لا لتقرير الأول ، بل لغرض آخر . .  
لأن معنى الأول : الأمر بالإخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها .  
ومعنى الثاني : أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص ، لذلك قدم  
المفعول على فعل العبادة في الثاني ، وأخر في الأول . . لأن الكلام أولاً في الفعل ،  
وثانياً فيمن فعل لأجله الفعل .

قال البلاغيون : إنما يحسن سؤال الحكمة عن التكرار إذا خرج عن الأصل .  
أما إذا وافق الأصل فلا . . ولهذا السبب لا يتجه سؤالهم :  
لم كرّر ( إِيَّاكَ ) في قوله تعالى : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ )  
نقول : إنما كرّرت لغرض عظيم هو التأكيد .

ونقول أيضاً : إنما كرّرت لارتفاع أن يتوهم - إذا حدقت - أن مفعول  
( نستعين ) ضمير متصل واقع بعد الفعل ، فتفوت إذ ذاك الدلالة على المعنى المقصود ،  
بتقديم المفعول على عامله . . هكذا قال النحويون .

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى بالأسباب التي لأجلها كرّرت الأفاضيل والأخبار  
في الكتاب العزيز فقال :

( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) (٣)  
وقال سبحانه : ( وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ  
لَهُمْ ذِكْرًا ) (٤)

٢ - الزمر ١١ - ١٥

٤ - طه ١١٣

١ - القصص ٥١

٣ - النحل ١١٠

وللتكرار - في القرآن العظيم - فوائد جمة تشهد بروعة البيان الالهي . . أدهمها :

١ - أن التكرار يأتي في مقام التعظيم والتهويل :

كقوله تعالى : ( الحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ) ( ١ ) ( القَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ) ( ٢ )

( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ) ( ٣ )

( وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ) ( ٤ )

( فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ) ( ٥ )

٢ - أنه قد يأتي في مقام الوعيد والتهديد :

كقوله تعالى : ( كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ) ( ٦ )

وقد ذكر ( ثُمَّ ) في المكرر ، دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول .

وفي هذا القول أيضا ، تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد أخرى ، وإن تعاقبت عليه الأزمنة ، لا يتطرق إليه تغيير ، بل هو مستمر دائما .

٣ - التعجب :

كقوله تعالى : ( فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ) ( ٧ )

فكرر تعجبا من تقديره وإصابته الغرض ، على حمد « قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ »

٤ - زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ، ليكمل تلقي الكلام بالقبول

كقوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ » ( ٨ ) فإنه كرر فيه النداء لذلك

٥ - الأمن من النسيان أو السهو . فالكلام إذا طال وخشيت تناسي الأول أعيد

ثانية تطرية له ، وتجديدا لعهد . كقوله تعالى :

( وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ) . . ثم قال ( فلما جاءهم ما عرفوا ) ( ٩ )

فهذا تكرار للأول .

وقوله تعالى : ( أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ )

٣ - القدر ١ ، ٢

٢ - القارعة ١

١ - الحاقة ١ ، ٢

٦ - التكاثر ٦ ، ٧

٥ - الواقعة ٨ ، ٩

٤ - الواقعة ٢٧

٩ - البقرة ٨٩

٨ - المؤمن ٣٨ ، ٣٩

٧ - المدثر ١٩ ، ٢٠

مُخْرَجُونَ (١) ) فقوله ( أنكم ) الثاني بناء على الأول ، إذكارة به خشية تناسيه .

وكذلك قوله : ( إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِن هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ . وَقَدْ يَنَاهُ بِذِيحٍ عَظِيمٍ ) (٢) . . إلى قوله ( كذلك نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِغَيْرِ ( إِنَّا ) ، وفي غيره من مواضع ذَكَرَ ( إِنَّا كَذَلِكَ ) ، لأنه يُبْنَى عَلَى مَا سَبَقَهُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ( إِنَّا كَذَلِكْ ) فَكَأَنَّهُ طَرَحَ فِيهَا اِكْتَفَى بِذِكْرِهِ أَوْلَا عَنْ ذِكْرِهِ ثَانِيَا .

ولأن التأكيد بالنسبة ، فاعتبر اللفظ من حيث هو دون توكيده .

٦ — وتظهر روعة إعجاز هذا الباب أكثر ما تظهر عند تعدد المتعلق .

كما كرره الله تعالى من قوله : ( فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ) لأنه تعالى — ذكر نعمةً بعد نعمة ، وعقَّب كلَّ نعمة بهذا القول . . فإنها وإن تعددت ، فكلُّ واحد منها متعلق بما قبله ، وإن الله تعالى خاطب بها الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، وَعَدَّدَ عَلَيْهِمُ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ ، فَكَلَّمَا ذَكَرَ فَصَلًّا مِنْ فُصُولِ النَّعْمِ طَلَبَ إِقْرَارَهُمْ وَاقْتِضَاءَهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَصُورٌ شَتَّى . فَإِنْ قِيلَ . . فَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى فِي تَكْرِيرِهَا عَدَّ النَّعْمَ وَاقْتِضَاءَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا . . فَلَمَّا ذَا عَقَّبَ بِهَذَا الْقَوْلِ مَا لَيْسَ نِعْمَةً ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

( يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ ، فَلَا تَنْتَصِرَانِ ) (٣)

وقوله : ( هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً ) (٤) وأي نعمة هنا ؟ وإنما هو وعيد . .

أجاب القزويني فقال : العذاب وجهم — وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى — فإن ذكرهما ووضعهما عن طريق الزجر عن المعاصي ، والترغيب في الطاعات ، من آلائه تعالى ، ونحوه قوله : ( وَيَلَّ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ) (٥) ، لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة ، واتبع كلَّ قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عَقَّبَ كُلَّ قِصَّةٍ : وَيَلَّ يَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ » (٦) .

ونقول أيضا : إن أنعم الله فيما أنذر به ، وحذّر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها نظير أنعمه على ما وعده ، وبشّر من ثوابه على طاعته ، ليرغبوا فيها ، ويحرصوا عليها ، وإنما تتحقق معرفة الشيء بأن تعتبره بضده ، والوعد والوعيد وإن تقابلا في ذروتها ، فإنهما متقاربان في موضع النعم بالتوقيف على ملاك الأمر منهما . . وعليه قول الشاعر :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَتْكَ بُؤْسُهَا فَهِيَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمِهَا  
ومن هذا النوع من التكرار قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (١) - في ثمانية مواضع ، لأجل الوعظ فإنه قد يتأثر بالتكرار من لا يتأثر بالمرّة الواحدة .

وأما قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) فذلك اظهور آيات الأنبياء عليهم السلام . والعجب من تخلف من لا يتأملها مع ظهورها .

وأما مناسبة قوله (العزیزُ الرَّحِيمُ) فإنه تعالى نفى الايمانَ عن الأكثر ، فدّل بالمفهوم على إيمان الأقل ، فكانت العزّة على من لم يؤمن ، والرحمة لمن آمن ، وهما مرتبتان كترتب الفريقيين (٢) .

ومن هذا التكرار أيضا قوله تعالى : (فَذُقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي) (٣) قال الزمخشري (٤) « كُرِّرَ ليجدوا عند سماع كل نبيٍّ منها إتعاضاً وتنبهياً ، وأن كلاً من تلك الأنبياء مستحق باعتبار يخص به ، وأن يتنبهوا كي لا يغلبهم السرور والغفلة » .

ومنه كذلك - تكرر الأمر بالتوجه إلى بيت الله الحرام في ثلاث آيات من سورة البقرة . وهو قوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (٥) . لأن المنكرين لتحويل القبلة - كما ذكر المفسرون - كانوا ثلاثة أصناف من الناس :

- اليهود . . لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم .
- وأهل النفاق . . وكانوا أشدّ إنكاراً له ، لأنه كان أول نسخ نزل .
- وكفار قريش . . الذين قالوا : ندم محمدٌ على فراق ديننا ، فيرجع إليه كما

رجع إلى قبيلتينا . وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه ، فيقولون : بزعم محمد أنه يدعوننا إلى ملّة إبراهيم وإسماعيل ، وقد فارق قبيلتينا وآثر عليها قبيلة اليهود .

فقال الحق تبارك وتعالى حين أمره بالصلاة إلى الكعبة :

( لَسِيلاً يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) (١)  
والاستثناء في هذه الآية منقطع — أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال جلّ جلاله : ( الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ) (٢)  
أى الذين أشركوا فلا تُمْتَر في ذلك .

وقال تعالى : ( وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) (٥)  
أى يكتُمون ما علموا أن الكعبة هى قبلة الأنبياء .

ومن هذا التكرار أيضا — قوله عز وجل في سورة الصافات (٤) :

( فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ، وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ) .

ثم كرر هاتين الآيتين بعد ذلك في قوله سبحانه (٥) :

( وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ، وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ )

قال المفسرون — في غريب القرآن : إنما كرر للتأكيد وتشديد الوعيد .

وقالوا أيضا : يحتمل أن يكون « الحين » في الأولين (٦) يوم بدر ، والحين في

هاتين (٧) يوم فتح مكة . وفرقوا بينهما فقالوا : إن من فوائد قوله تعالى في الأولين

( وَأَبْصِرْهُمْ ) وفي هاتين ( فَأَبْصِرْ ) — أن الأولى بنزول العذاب بهم يوم بدر

قتلا وأسرا ، وهزيمة ورعباً ، فلما تضمنت التشقى بهم قيل له :

( أَبْصِرْهُمْ ) . وأما يوم الفتح ، فإنه اقترن بالظهور عليهم الإنعام بتأهينهم ،

والهداية إلى إيمانهم ، فلم يكن وفقا للتشفى بهم ، بل كان في استسلامهم ، وإسلامهم

لعينه قرّة ، ولقلبه مسرة . فقيل له : ( أَبْصِرْ ) .

ومن التكرار كذلك — قول الحق تبارك وتعالى :

لَا هُنَّ حِيلٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُحْدِثُونَ لَهُنَّ (٨) .

٣ - البقرة ١٤٦

٢ - البقرة ١٤٧

١ - البقرة ١٥٠

٦ - اى فى الايتين ١٧٤ ، ١٧٥

٥ - الايتان ١٧٨ ، ١٧٩

٤ - الايتان ١٧٤ ، ١٧٥

٨ - المتحنة ١٠

٧ - اى فى الايتين ١٧٨ ، ١٧٩ من ودة البقرة

قال علماء الفقه : للتكرار هنا فائدتان . .

أما الفائدة الأولى : أن التحريم قد يكون في الطرفين ، ولكن يكون المانع من إحداهما كما لو ارتدت الزوجة قبل الدخول ، يحرم النكاح من الطرفين ، والمانع من جهتهما ، فذكر الله سبحانه الثانية ، ليدل على أن التحريم كما هو ثابت في الطرفين ، كذلك المانعُ منهما .

وأما الفائدة الثانية : أن الأولى دلت على ثبوت التحريم في الماضي ، ولهذا أتى فيها بالإسم الدال على الثبوت ، والثانية في المستقبل ، ولهذا أتى فيها بالفعل المستقبل .  
ومن التكرار في القرآن المجيد أنواع كثيرة . . كلها تشهد بعظمة الحق سبحانه ، وتعترف بإعجاز كتابه المبين . أهمها :

### ١ - تكرار الإضراب (١) :

وقد ورد في القرآن العظيم منه ضربان :

أولهما : أن يكون ما فيه من الرد راجعا إلى العباد . ( كقوله تعالى )

( قَالُوا أَضْعَافٌ أُحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ) (٢)

وثانيهما : أن يكون إبطالا ، ولكنه على أنه قد مضى وانقضى وقته ، وأن الذي بعده أولى بالذكو . كقوله تعالى :

( بَلْ إِدَارِكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ . . بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَتَذَوَّقُوا عَذَابَ ) (٣) .

وزعم ابن مالك في شرح الكافية - أن ( بَلْ ) حيث وقعت في القرآن فإنها للاستئناف لغرض آخر - لا لإبطال الأول . وهذا الكلام مردود بما سبق ، ومردود بقوله أيضا : ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) (٤) فأضرب بها عن قولهم ، وأبطل كندبهم .

### ٢ - تكرار الأمثال :

كقوله تعالى : ( وما يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ، وما يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ) (٥) .  
وكذلك ضُربَ مثل المنافقين - في أول سورة البقرة (٦) - ثناؤه الله تعالى ،

١ - قال البلاغيون : ان ( بل ) إذا ذكرت بعد كلام موجب لمعناها الإضراب ، وهو إذا وقع في كلام البشر فمعناه إبطال ما سبق على طريق الغلط من المتكلم ، أو أن الثاني أولى .

٢ - الانبياء ، ٢١

٥ - فاطر ، ١٩ ، ٢٢

٤ - الانبياء ، ٢٦

٣ - سورة ص ، ٨

٦ - الأيقان ، ١٧ ، ١٩



فقال سبحانه : ( مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِّبْيِ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ، وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ) - مع قوله : ( أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ) .

قال صاحب الكشاف (١) - معلقاً على قيمة هذا التكرار : « والثاني أبلغ من الأول ، لأنه أدلُّ على فَرطِ الحيرة ، وشدة الأمر وفضاعته ، لذلك أُخِّرَ ، والعرب يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ .

٣- تكرار القصص :

وما دُمنا نتحدث عن التكرار في القرآن الكريم - بوصفه آية من آيات إعجازه الكبرى ، فإننا لا نستطيع أن نَغْفِلَ عنصراً هاماً من عناصر هذا التكرار - ألا وهو تكرار القصص القرآني ، وإن كنا نعتقد أنه موضوع كامل متكامل ، يحتاج إلى بحث مستقل - وسنتناوله إن شاء الله - إلا أننا نشير الآن إلى بعض ما يتصل به استيفاء لهذا البحث .

أقول . . إن من أنواع التكرار - تكرار القصص ، كقصة إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى وغيره من الأنبياء . فقد ذكر الله موسى في مائة وعشرين موضعاً من القرآن العظيم ، وذكر قصة نوح في خمس وعشرين آية ، وقصة موسى في سبعين آية ، وإنما كررها - كما يقول صاحب كتاب « العواصم من القواصم » (٢) لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر . وسبب ذلك أمور :

أحداها : أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً ، ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام ، وذكرها في موضع آخر ثعباناً ، فقال تعالى : ( فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى ) (٣) وقال سبحانه : ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ) (٤) .

وهذه سمة من سمات البلاغ . . أن يكرر أحدهم في خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة .

الثانية : أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ، ثم يعود إلى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور الأولين ، وكان أكثر من آمن به مهاجرين ،

فلولا تكرر القصة لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى آخرين ، وكذلك سائر القصص . . فأراد الحق سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها ، فيكون فيه إفادة القوم ، وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم الحاضرون . . هكذا قال ابن الجوزي .

الثالثة : تسليته لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - مما أتفق للأنبياء مثله مع أممهم - قال تعالى : ( وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَنْبَأْنَا الرُّسُلَ مَا نُنَبِّئُكَ بِهِ فَؤَادَكَ ) (١) الرابعة : ان إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة .

الخامسة : قالها ابن فارس (٢) - وهى أن الله تعالى أنزل هذا القرآن ، وعجزت القوم عن الإتيان بمثل آية اصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله ، بأى نظم جاءوا بأى عبارة عبّروا .

السادسة : أنه لما سخر العرب بالقرآن قال : ( فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ) (٣) وقال في موضع آخر : ( فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ ) فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد ، واكتفى بها ، لقال العربي بما قال الله تعالى : ( فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ) : ( إيتونا أنتم بسورة من مثله ) فأنزلها الله تعالى في تعداد السور ، دفعاً لحججهم من كل وجه .

السابعة : أن القصة الواحدة من هذه القصص ، كقصة موسى مع فرعون - وإن ظنّ أنها لا تغاير الأخرى ، فقد يوجد في ألفاظها زيادة وتقصان ، وتقديم وتأخير ، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لا بد وأن تخالف نظيرتها من نوع ومعنى زائد فيه ، لا يوافق عليه إلا منها دون غيرها . فكأن الله تعالى فرّق ما ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ، ثم قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها ، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب المتقدمة ، من انفراد كل قصة منها بموضع ، كما وقع في القرآن بالنسبة ليوسف عليه السلام خاصة .

وخلاصة القول : لقد اجتمعت في هذه الخبيصة من نظم القرآن عدة معانٍ عجيبة :

ومنها : أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقع في اللفظ هُجْنَةً ، ولا أحدث مسألاً ، فباينَ بذلك كلامَ المخلوقين .

ومنها : أنه ألبسها زيادة ونقصانا ، وتقديمًا وتأخيراً ، ليُخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها ، فيكون شيئاً معاداً ، فنزّهه - الحق سبحانه - عن ذلك بهذه التغييرات .

ومنها : أن المعاني التي اشتمت عليها القصة الواحدة من هذه القصص ، صارت متفرقة في تارات التكرير ، فيجد المرء - لما فيها من التغيير - ميلاً إلى سماعها ، لما جُبت عليه النفوس من حُبِّ التنقل في الأشياء المتجددة التي لكل منها حصة من الالتذاذ به مستأنفة .

ومنها : ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد .

وقد كان المشركون - في عصر النبي صلى الله عليه وسلم - يعجبون من إتساع الأمر في تكرار هذه القصص والأنباء ، مع تغاير أنواع النظم ، وبيان وجوه التأليف ، فعرفهم الله سبحانه أن الأمر بما يعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد لقوله تعالى : ( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَسْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْتَنَا بِمِثَالِهِ مِدَاداً ) ( ١ ) .

وهنا يكون القرآن قد وصل إلى غايته وهدفه من التكرار . .

وهنا يبرز سرّ إعجازه ومبلغ عمقه في تقرير المسائل وتكريرها . .

نفّعنا الله بالقرآن العظيم ، وجعله فاتحة الخير لنا . . نوراً لأبصارنا وضياء

لبصائرنا ، إنه نعم السميع المجيب . .

د. احمد جمال العمرى

# بين القرون والكتب السماوية حكم حفظه دونها

لفضيلة الدكتور إبراهيم عبد الحميد سلامية - بكلية الدعوة وأصول الدين

إذا كانت الكتب السماوية التي عرفتها البشرية قبل القرآن الكريم ، قد طواها الزمن ، وصارت كأن لم تكن ، ولم يصل إلينا منها سوى التوراة والانجيل على ما بهما من تحريف وتبديل ، فإن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي ضمن الله له البقاء والخلود ، وتكفل سبحانه بحفظه وحراسته مصداقا لقوله : ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) ( ١ ) .

وتكفل الحق جل في علاه - بحفظ القرآن الكريم من التحريف ، دون غيره من الكتب السماوية الأخرى ، حقيقة قررها القرآن الكريم ، وصدقها ويصدقها واقعه الملموس ويشهد بها المنصفون من أعدائه ، حيث أذعنوا واعترفوا بأن ما بين دفتي المصحف هو عين ما نطق به محمد ، لم يصعبه أدني تحريف ( ٣ )

حكمة حفظ القرآن من التحريف

دون غيره من الكتب السماوية

وإنما كان الأمر كذلك ، بالنسبة

لهذا الكتاب الخالد ، لحكم متعددة

فكما أن ظاهر القرآن حجة على فصحاء العرب والعجم بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العرب والعجم بحكمه وعلمه ، وكما أن ظاهره مربوط بنظم لا يتطرق إليه عيب ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم ، لا تبقى معه مادة لريب ، وكما أن ظاهر نظمه ، لو وقع فيه خلل ، لكان للطاعين فيه مقال ، فكذلك إن وقع في نظم معانيه زلل لكان للمعرضين عنه مجال ، وإليه أشار الحق بقوله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » ( ٢ ) .

١ - الحجر / ٩ - فصلت / ٤٢ وانظر كتاب (مقدمتان في علوم القرآن) : آرثر جفر / ٥  
٢ - انظر كتاب (الفارق بين المغلوق والمخلوق) : عبد الرحمن باجج جى زاده ( ٢٧٥ - ٢٧٧ )

أبرزها ما يلي : -  
الحكمة الأولى :

أن القرآن الكريم هو أصل الدين ، ومنبع التشريع الحكيم ، ودستور الاسلام ، ولما كان الاسلام ديناً عاماً خالداً ، ليس موقوتاً بزمن معين ، ولا بمكان محدد ، بل هو عام شامل لكافة الخلائق ، منذ بعث الله به نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، مصداقاً لقوله : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً / (١) لما كان الأمر كذلك فقد اقتضت حكمة الله حفظ كتابه وبقائه كاملاً غير منقوص صحيحاً غير باطل ، ضماناً لهذا العموم في الزمان والمكان وتحقيقاً له .

ولما كانت الرسائل السابقة محلية موقوتة بزمان ومكان معينين فلم تكن هناك من حكمة في حفظ كتبها ، وما كانت هذه الكتب السابقة على القرآن إلا خطوات تمهيدية مهدت للخطوة الأخيرة وللغرض النهائي وللكتاب العزيز الذي أتى الانسانية بعد أن بلغت رشدتها ، وأتى العقل بعد أن بلغ نضجه وعلمه ، ولو أراد الله أن تكون هذه الكتب هداية للإنسانية عامة في كل

مكان وآن ، لحفظها وصانها ولحال دون تحريفها ، ولذلك لم يحفظ الله إلا كتابه الخالد المنزل على قاب محمد صلى الله عليه وسلم .

الحكمة الثانية : أن القرآن الكريم هو

آية الاسلام الكبرى ومعجزته العظمى : فكان لا بد في نظر الحكمة الالهية من حفظه لتكون هذه المعجزة ملازمة لهذا الدين الخالد ، باقية إلى جواره تؤيده وتعززه إلى قيام الساعة ، حتى لا يكون لأحد عذر في ترك هذا الدين الأخير ، الذي ختم الله به الأديان والشرائع ، ولذلك اقتضت حكمته تعالى أن تكون معجزة هذا الدين صالحة للبقاء والخلود ، فكانت دون سواها كلاماً يتلى في أذن الدهر ، وحديثاً يقرأ على سمع الزمان ، وكتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام ، ولم يموت بموت الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو قائم في فم الدنيا يحتاج كل مكذب ، ويتحدى كل منكر ، ويدعو أمم العالم جمعاء إلى ما فيه من هداية . . .

ومن هنا يظهر الفرق جلياً بين معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزات إخوانه من الأنبياء - عليهم السلام -

فمعجزات محمد في القرآن وحده آلاف مؤلفة ، وهي متمتعة بالبقاء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم ، أما معجزات سائر الرسل فمحدودة العدد قصيرة الأمد ، إذ هبت بذهاب زمانهم ، وماتت بموتهم ، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في خبر كان . ( ١ ) .

يقول الامام السيوطي في ذلك ، ولأن هذه الشريعة ، لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراها ذو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم : ( ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عاياه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً ) ( ٢ )

ومعنى هذا أن معجزات الأنبياء قد انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، ويمكن أن يقال في معنى الحديث ، أن معجزات الرسل السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم كانت حسية تشاهد بالأبصار ، كعصا صالح وعصا موسى ، ومعجزات القرآن تشاهد بالبصائر فيكون من يتبع محمداً لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد

بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً . ( ٣ )

الحكمة الثالثة : أن القرآن الكريم قد أتى بهدايات تامة كاملة ، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان . — وفاء لا نظير له في أى كتاب آخر ، وأن البشرية لا غنية لها عن هذه الهدايات القرآنية ، فما أمر القرآن بشئ يمكن الإستغناء عنه ولا نهى عن شئ يحسن الإمام به ، ولذلك خلد على مر الزمان . ومن جهة ثانية فإن القرآن بما اشتمل عليه من أحكام وآداب ، وأخلاق ومعاملات حق دائم ، لا ريب فيه وصدقه باق ، لا تناله الأيام بشئ ، لأن الحق لا يزول ولا يحول ، وذلك سر خلود هذا الكتاب العظيم .

الحكمة الرابعة : أن القرآن الكريم خلاصة وافية لكتب الله السابقة ، فهو جامع لما توزع فيها من حق وعدل ، وفضل ونبل ، وزائد على هذه الكتب ما يناسب عصره ، أو ما يعد عصره إلى يوم الدين .

وإلى بعض هذه الحكم يشير الدكتور محمد عبد الله دراز — رحمه الله — بعد أن بين أن من حق القرآن أن يُعنى

١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ج ٢ / ٢٣٢

٢ - البخارى - باب فضائل القرآن ج ٦ ص ٤٢٤ ط الشعب

٣ - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ / ١١٦ - ٢١١٧

بحفظة في الصدور والسطور - فيقول :  
( وبهذه العناية المزدوجة ، التي بعثها  
الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً  
بنيها بقي القرآن محفوظاً في حرز  
حريز ، إنجازاً لوعده الله الذي تكفل  
بحفظة ولم يُصبه ما أصاب الكتب السابقة  
من التحريف والتبديل ، وانقطاع  
السند ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ،  
بل وكلها إلى حفظ الناس فقال :  
( والربانيون والأحبار بما استحفظوا  
من كتاب الله ) أى بما طلب إليهم  
حفظه . .

والسر في هذه التفرقة ، أن هذه  
الكتب السماوية السابقة للقرآن جئ  
بها على التوقيت ، لا التأييد ، وأن هذا  
القرآن جئ به مصدقاً لما بين يديه ،  
من الكتب ، ومهيمناً عليها ، فكان

جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة ،  
زائداً عليها بما شاء الله زيادته ،  
وكان ساداً مسدّها ، ولم يكن شئ  
منها ليسدّ مسدّه ، ففضى الله أن يبقى  
حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى  
الله أمراً يسهل له أسبابه ، وهو الحكيم  
العليم . ( ١ )

فما هي هذه الأسباب التي يسرها  
الله لحفظ كتابه وصونه عن التحريف  
والتبديل ؟ ذلك ما سنعرض لبيانه  
في مقال تالٍ إن شاء الله .  
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم .

د. ابراهيم عبد الحميد سلامه  
أستاذ التفسير المساعد  
كلية الدعوة وأصول الدين  
٣ من ذى القعدة سنة ١٣٩٧ هـ

# علمية الرسالة

منقول

## بين النظرية والتطبيق

فضيلة الشيخ محمد الفزالي - رئيس الدعوة بكلية الشريعة بمكة

كان الوحي الآتِي قديما يتخير بقاعا من الارض لينزل بها كما ينزل الغيث في مكان دون مكان . لكن بعنة محمد عليه الصلاة والسلام كانت نقلة جديدة بالعالم كله وتحولا في حركة الوحي الآتِي على ظهر الأرض . إذ جاءت الرسالة الاخيرة لكل بشر يعقل ما يسمع . . ثم هي قد صحبت الزمان في مسيرته ، فاذا انتهى جيل من الناس فان الجيل الذي يليه مخاطب بها وكاف أن يمشى في سناها .

بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون :  
انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين . «  
وقال في سورة سبأ : « وما أرسلناك  
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن  
اكثر الناس لا يعلمون » وقال في سورة  
الفرقان : ( تبارك الذي نزل الفرقان  
على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقال  
في سورة الأنبياء : ( وما أرسلناك الا  
رحمة للعالمين ) .

والاجماع معقود بين المسلمين على  
عموم الرسالة وخلودها ، ونريد ان  
نلقى نظرة على الآيات التي دلت على  
علمية الرسالة لنستخلص منها حكما  
محددا . .

قال تعالى في سورة التكوير : « فأين  
تذهبون ؟ ان هو الا ذكر للعالمين لمن  
شاء منكم ان يستقيم » وقال في سورة  
القلم « وان يكاد الذين كفروا ليزنقونك



وقال في سورة يوسف : ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر الا ان هو الا ذكر للعالمين ) وقال في سورة الانعام : ( وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ) . وقال أيضا في السورة نفسها ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ) وهذه الآيات كلها مكية ، أى ان عالمية الرسالة تقررت منذ بدء الوحي وفي الايام التى كانت الدعوة فيها تعاني الأمرين .

كان القرآن إذن يقرر انه رسالة للعالم كله في الوقت إذن كان فيه اهل مكة يستكثرون ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لهم وحدهم ! ! ولم تنزل بالمدينة آية تتحدث عن هذه العالمية اكتفاء بما تمهد في صدر الدعوة الا آية واحدة من سورة الاحزاب هى قوله يل شأنه ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) وختم النبوة تقرير لهذه العالمية فان القارات الخمس الى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق ، ولن يجيئها من عند الله رسول ، وسيبقى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم وحده صوت السماء بين الناس الى ان يحشروا

لحساب فيقال لهم : ( لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ) وآية ختم النبوة صدقتها الايام المتتابعة فما قد مضت اربعة عشر قرنا وما نزل من السماء وحى . وقد حاول الاستعمار الاوربي ان يضع يده على محبول في الهند وآخر في ايران ليصنع منهما انبياء يكابر بهما نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهيهات هيهات فان الاوربيين أنفسهم احتقروا الرجل الذى صنعوه فما تبع احدهم متنبئ الهند ولا متنبئ العجم ، وبدأت اللعبة تتكشف ويفر عنها المستغفلون ! ! ان الصباح العريض الذى بزغ مع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم سوف يظل وحده النور الذى يغمر العالم ويملا الافق الى أن يأذن الله بانتهاء الحياة والاحياء .

وانما لفتنا النظر الى ان الآيات الناطقة بعالمية الرسالة مكية كى ندحض فرية لبعض المستشرقين الذين زعموا ان محمد صلى الله عليه وسلم بدأ عربي الرسالة معنيا بقومه وحدهم فلما نجح في اخضاعهم اغراه النجاح بتوسيع دائرة الدعوة فزعم أنه للخاق كلهم . وهذا تفكير سقيم المأخذين السخف ، فقد رأيت بالاستقراء ان عالمية الرسالة

على ان النصرانية التي تشيع بين الناس اليوم وتساندها قوى كثيرة تخالف رسالات السماء كلها اذ هي فلسفة تجعل من عيسى الها أو شبه إله يرسل الرسل وينزل الكتب ويغفر الذنوب ويحاسب الخلائق .

والنصرانية بهذا المفهوم المستغرب لا يعيننا ان تكون عالمية او محلية لانها شئ آخر غير ما ينزل الوحي به على سائر الرسل ، قال تعالى لنبيه محمد ( وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون ) ان هذه النصرانية الجديدة لا تتصل بعيسى الذي مهد لمحمد صلى الله عليه وسلم كما لا تتصل بعيسى الذي بلغ تعاليم ابراهيم وبنيه ، ومن ثم فهي في نظرنا منهج بشري مستقل بأفكاره عما قبله وعما بعده . . . ورسول الله يصدق بعضهم بعضا ويمهد السابق منهم لللاحق ما استطاع ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

اقامت مفهوم العالمية فيها على ان الدين واحد من الازل الى الابد وان الانبياء اخوة في التعريف بالله والدلالة عليه واقتياد البشرية اليه . . . وان القرآن الكريم جمع في سياقه الباقي كل ما تناثر على السنة النبئين من عقائد وفضائل ولذلك فان الايمان بهم جميعا مطلوب

تم التصريح بها في أوائل ما نزل من الوحي ! ! .  
ثم نسأل : متى نمّ خضوع العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يغريه النجاح بمزيد من التوسع ؟ ان مكة التي طارده لم تفتح له الا قبل الممات بسنتين اثنتين ، فأين استقرار النصر والتطلع الى اخضاع الدنيا وهو لما ينته من الجزيرة العربية نفسها ؟ ؟

ان هذا الفكر الاستشراقي لم يلق حفاوة من عاقل ، ولذلك نخلص منه لنقرر حقائق أخرى نابعة من هذه الحقيقة المؤكدة حقيقة ان محمدا رسول الى العالمين من رب العالمين . واول ما نقره ان هذه الصفة انفرد بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فكل الانبياء من قبله محليون ، رسالتهم محدودة الزمان والمكان . ابتداء من آدم الى عيسى .  
والنصارى يرون ان رسالة عيسى

عالمية وينطلقون بها في كل مكان ليلبغوها وينشروها ، ونحن نجب نبي الله عيسى ونعتقد أنه رسول حق الى بنى اسرائيل خاصة ( واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد . . . ) .

والكفر بأحدهم انسلاخ من رسالة محمد  
صلى الله عليه وسلم نفسه . ومن الطبيعي  
ان تبدأ الرسالة عملها في بقعة ما من  
ارض الله . وقد شرع النبي العربي  
محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الاميين  
من عبدة الاوثان ، ويرشد الحائرين  
والجاحدين من أهل الكتاب . وبعد  
تسعة عشر عاما من الدعوة الدائبة  
استطاع ان يظفر من الوثنية الحاكمة  
بحقه في الحياة وحق من يتبعونه في  
العيش بدينهم والتجمع عليه .

عندما نال هذا الحق في معاهدة  
الحديبية وأصبح له موضع قدم يستقر  
فيه ويدعو منه أخذ يرسل الى أهل  
الارض يبلغهم الحق ويفتح عيونهم  
على سناه .

ومن أهل الارض يومئذ ؟ الروم  
غربي الجزيرة وشمالها . والفرس في  
الناحية المقابلة ، وحكام آخرون يعيشون  
في جوارهم أو يدورون في فلകهم .

هل كان وراء الرومان من يفهمون  
الخطاب شمالي اوربا أو وسطها ؟  
أو وسط افريقيا وجنوبها ؟ كانت هناك  
قبائل السكسون والجرمان والغالة والوندال  
وقبائل اخرى مشابهة لها في افريقية  
وكانت هناك وراء الفرس شعوب  
جاء وصفها في قصة ذى القرنين في

القرآن الكريم بانهم لا يكادون يفقهون  
قولا . .

على اية حال فان النبي المبعوث للعالم  
ارسل الى امبراطور الروم وملك الفرس  
وحاكم مصر ونجاشي الحبشة ، والى  
الامراء المنتشرين حول الجزيرة العربية  
يدعوهم الى توحيد الله واعتناق الاسلام  
لعله بدأ بالجيران الذين يلونه فيبلغ  
أمر ربه حتى اذا أتم هدايتهم تجاوزهم  
الى من يلونهم من أجناس البشر .

أو لعل الفكر البشرى في هذه الآونة  
لم يبلغ درجة الوعي وأهلية الخطاب  
الا في هذه البقاع المتحضرة والتي ظهرت  
فيها جمهرة الرسائل السماوية من  
قديم .

على أية حال فان اليقظة الانسانية  
التي بدأت في جزيرة العرب ما كانت  
نهضة جنس متفوق ولا طماح زعيم  
متطلع ، بل كانت حركة قبيل من  
الناس اختارتهم العناية العليا ليربطوا  
جماهير البشر بالله الواحد ، وليسيروا  
في هذه الدنيا وفق هداه لا وفق هواهم  
( كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس  
من الظلمات الى النور ، باذن ربهم  
الى صراط العزيز الحميد . الله الذى  
له ما في السموات وما في الأرض .  
وويل للكافرين من عذاب شديد .

وأكذب الناس على الله وعلى عباده  
من يزعم الاسلام طورا من أطوار  
البعث العربي ، ان هذا الكلام لا يساويه  
في الرخص والغثاثة الا ما تضمنه من  
افك وتضليل فان محمدا عليه الصلاة  
والسلام رفض رفعنا باتا أن يكون  
للعرق ، أو اللون أو القوة أو الثروة  
أى رجحان في موازين الكرامة الانسانية ،  
والمحور الذى دار عليه الاسلام هو  
التوحيد في العبادة والتشريع والوجهة  
والولاء ، ( وتمت كلمة ربك صدقا  
وعدلا لا مبدل لكلماته . ) وقد قلنا ،  
ولا نزال نقول : ان الله ربي محمدا  
عليه الصلاة والسلام ليربي به العرب  
وربي العرب بمحمد عليه الصلاة والسلام  
ليربي بهم الناس فرسالة العرب أن  
يكونوا جسورا لهدايات السماء ، وأن  
يعلموا الخلق ما تعلموه من الخالق .

وإذا كانوا تلامذة لخاتم الرسل فهم  
بما درسوا أساتذة للشعوب الأخرى  
تلقى عنهم وتستضيء بهم . . .

وهذه المكانة للأمة العربية مكانة  
عالية حقا ، بيد أنها لا تقوم على الدعوى  
بل على البلاغ ، ولا تقوم على البطالة  
بل على التضحية ، وذلك معنى قول  
الله تبارك اسمه .

( هو سماكم المسلمين من قبل وفي

هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم  
وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا  
الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله  
هو مولاكم ) .

وقد قامت دولة الاسلام بدورها  
العالمى ، هذا على عهد النبوة وایام  
الخلافة الراشدة وتدافع التيار الى مداه  
ایام الأمويين والعباسيين والعثمانيين ،  
وان كان هذا التيار قد شابه من الكدر  
والدخن ما أزرى به وحط قدره حتى  
توقف آخر الامر .

والمسلمون في هذا العصر يكادون  
يجهلون أن لهم رسالة عالمية بل ان حياتهم  
وفق شرائع دينهم وشعائره موضع  
ريبة وقد تكون موضع مساومة .

واذكر ان حوارا دار بينى وبين  
الاستاذ على امين بعد ما كتب يستنكر  
أذان الفجر ويزعم انه يزعم النيام  
المستريحين (!) قالت له : ان ايقاظ  
الناس للصلاة مقصود قصدا وفي أذان  
الفجر كلمة تقول : الصلاة خير من  
النوم ! قال : من أراد الصلاة فليشتر  
منها يوقظه ليصلى : قلت له ان جمهور  
المسلمين وهم كثرة هذا البلد يريدون  
الصلاة علانية ويريدون ان يصبغوا  
الحياة الاجتماعية بها وأن ينظموا نومهم  
وانتباههم على أوقاتها فاذا شاء الكسالى

غير ذلك فليتواروا باثمهم لأن يفرضوه على المجتمع ويطلبوا من المؤمنين التوارى بدينهم ؟

وأشهد أن الرجل لان وتأثر واستكان وأرجو ان يكون قد تاب ومات مغفورا له وانما ذكرت هذا الحوار ليعرف من جهل مبلغ ما انحدرت اليه أمتنا .

ان الشيوعية تريد أن تكون نظاما عالميا ، وكذلك المادية والاباحية ، وكذلك الصهيونية والصليبية أما الاسلام فان طبيعته العالمية يراد انكارها ، واذا تم ذلك فان وجوده المحلي ينبغي الخلاص منه والاجهاز عليه . .

وأريد أن نعرف : من نحن ؟ وما ديننا ؟ وما هدفنا ؟ وما طبيعة جهادنا ؟ اننا ورثة الاسلام وحملته واصحاب الحضارة الوحيدة التي تعترف بالدنيا والآخرة والروح والجسد والعقل والعاطفة .

وفي قرآننا وسنة نبينا صلاحنا وصلاح العالم من حولنا ، وقد هنا على انفسنا فكان طبيعيا ان نهون على غيرنا ، وزهدنا في ديننا فكان طبيعيا أن يزهد العالم فيه .

وقد بدأت في الأفق تبشير عودة ناجحة الى هذا الدين العظيم ، فلنصور بدقة طبيعة النور الذي خصنا الله به ، طبيعة الرسالة التي شاء الله ان تحقق الحق

وتبطل الباطل ، وتهدى الحيارى في المشارق والمغارب . ويفرض علينا هذا المعنى امورا ذات بال . .

أولها : ما دام محمد عليه الصلاة والسلام للعالم كله وليس للعرب خاصة فيجب على العرب - وهم الذين تحدث محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم وكلفوا بنقل رسالته الى غيرهم - يجب عليهم أن يوصلوا هذا القول الى كل قبيل من الناس وبكل لغة يتم التفاهم بها . . أى أنه يجب عليهم أن يتقنوا كل اللغات العالمية ، وما استطاعوا من اللغات المحلية وان يودعوا خلاصة كافية هادية من تعاليم الاسلام في مجال العقيدة والحلق والعبادة وشتى أنواع المعاملات وان يذكروا بدقة ولطف الفروق الكبيرة بين أصول الايمان عندنا وعند أهل الاديان الاخرى سماوية كانت أو أرضية . .

إن هذا الواجب لم يكن منه بد حتى لو كان الميدان خاليا لنا وحدنا ، فكيف وهناك أجهزة عالمية مخوفة تخصصت في تحقير الاسلام وإهانة نبيه ؟ عليه الصلاة والسلام . فكيف وقد تأمرت على الاسلام شتى القوى ، وتألّب خصوم خبيثاء يصطادون الشبه ويتلمسون للابرياء العيوب ؟

ان الاستعمار سخر أجهزة إلحادية  
وصليبية سبقتنا إلى أجيال كثيفة من  
الزواج والجنس الأصفر ، وتركت  
في نفسه سموما ضد محمد عليه الصلاة  
والسلام ودينه وانهزت الصمت الذى  
خيم على أجهزة الدعاية الاسلامية والسلبية  
المشينة التى لذنبا بها وراحت تكذب  
وتكذب حتى نجحت في تلوين سمعتنا  
وقدرت على غرس تدين مختل الاصول  
مضطرب السلوك ، وأمكنها بسهولة  
ان تصد عن سبيل الله وتردم معالم  
الصراط المستقيم . ان ذلك يوجب علينا  
الاحساس المضاعف بخطئنا وتخلفنا  
ويحملنا عبء المسارعة الى تعليم الجاهل  
ومراجعة المخدوع وتعريف الناس  
بربهم الواحد الاحد الفرد الصمد ،  
وربطهم بالدين الذى حمل رايته جميع  
الانبياء ثم نقاه وشد دعائمهم وثبت  
أهدافه النبى الخاتم محمد بن عبد الله  
صلى الله عليه وخلصم .

والامر الثانى : المتصل بعالمية الرسالة  
يرجع الى اللغة العربية . فلغة الرسالة  
الخالدة يجب أن تتبوأ مكانة رفيعة لدى  
أصحابها ولدى الناس أجمعين ، فان  
الله - باختياره هذه اللغة وعاء لوجه  
الباقى على الزمان - قد أعلى قدرها  
وميزها على سواها والواقع أن اللغة

العربية مهاده القرآن وسيواجهها اذا  
تضعفت واقصيت عن أن تكون  
لغة التخاطب والآداء ولغة العلم والحضارة  
أوشك القرآن نفسه ان يوضع في المتاحف  
ولهذه الغاية الخاسرة تعمل فئات غفيرة  
من المستعمرين واذنابهم . وما اكثر  
أوائك الأذنان في الجامعات والمجامع  
ودور الاذاعات والصحف وغيرها ؟

إن آباءنا عليهم الرضوان نشروا اللغة  
العربية بكل الوسائل المتاحة لهم ،  
وما تأسست مدرسة لخدمة الدين الا  
انقسمت علومها بين مناهج الشريعة  
ومناهج اللغة والادب . . ويلاحظ  
الآن انكماش مفرع في هذا الميدان  
ورواج سمج للهجات العامية والمصطاحات  
الاجنبية والترجمات الركيكة والكلمات  
الدخيلة . .

واللغة العربية لا تخدم بالحماس السلبى ،  
بل لا بد من اعادة النظر في شئون شتى  
تتصل بكيانها وتعاليمها .

ولنفرق من الان بين طرق تعليمها  
للتلامذة العرب وللتلامذة الاجانب ،  
ولنبتكر أساليب ميسورة لتدريس  
المصادر وتصريف الافعال وجموع  
التكسير وانواع المترادفات وغير ذلك  
مما يعانىه طلاب العربية . .

ان هناك لغات لم يشرفها الله بوحى ،

الناس في دين الله أفواجا .

أى أن القدوة الحسنة فردية كانت أو جماعية تفرض احترام العقيدة والحفاوة بها وهذه القدوة ليست دورا تمثيليا يؤدي بالخداع واجتذاب المشاهدين كلا كلا فحبل الكذب قصير إن هذه القدوة هي الحلاوة في الثمرة الناضجة أو الرائحة في الزهرة العاطرة ، أى هى نضج الكمال الذاتي وقد شاء الله ان يؤتي السلف الصالح انصبة جزلة من هذا الحسن الذاتي ففتحت لهم المدن العظام ابوابها وأتت اليهم الجمادير بقيادها . . .

واننى أشعر اليوم بغضاضة شديدة حين أرى السائحين والسائحات يجوبون بلادنا ويدرسون أحوالنا ، ثم يجاوزوننا بقلة أكرثات أو باستهانة بالغة .

انهم لا يرون - فيما يشهدون - الاسلام الحق في نظافته وسموه . بل يرون شعوبا أقل منهم كثيرا في المستوى الحضارى ولا أقول في المستوى الخلقى المعتاد .

وتلك احوال تصد عن الاسلام ولا تغرى باعتناقه ، وعالمية الاسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج جديرة بالاكبار . أو على انقليل جديرة بالسؤال عن حقيقة الاسلام لمن لم يعرفوا هذه الحقيقة ، وما أكثرهم في أرض الله .

ولم تصحب حضارة انسانية مشرقة يخدمها أبنائها بذكاء نادر فما دهى العرب حتى تركوا لغتهم توشك ان تكون من اللغات الميتة او الثانوية في هذه الدنيا ؟

اننا عجزنا عن جعل اللغة العربية لغة اولى بين الالف مليون مسلم الذين يعتقدون الاسلام وهذا وحده فشل ذريع نؤاخذ به يوم الحساب ، ويرجع هذا الفشل الى أن العرب أنفسهم لا يجلبون لغتهم . بل لقد استطاع الاستعمار الثقافي ان يكرهها لهم او يحقرها لديهم فأى بلاء هذا ؟ والمطلوب الآن للفرق اقضاء اللهجات العامية والرطانات الأعجمية عن جميع منابر الصحافة والاعلام واعادة الحياة الى اللغة الفصحى في كل منزل . . .

واكرر مطلبا آخر ذكرته في أحد المؤتمرات وهو انشاء مدارس وارسال بعثات لنشر اللغة العربية وحدها أى دون ربط اللغة بالدين ، فان هذا التعليم المجرد سيوسع القاعدة الثقافية للغة القرآن وسيكون يوما ما رافدا من روافد الحق والايمان .

والأمر الثالث والاخير في عملية الدعوة يتصل بالوضع الادبي والمادى داخل الامة الاسلامية نفسها ان الخلق الزاكي لغة انسانية علمية تعجب وتقمع ، وبهذه اللغة تفاهم الصحابة والتابعون مع الشعوب التي عرفوها وعرفتهم فدخل

# الدين الحق

فضيلة الدكتور عبد المنعم حسنين - الدلاء العليا بالجامعة الإسلامية

إن الدين الحق اتباع يظهر في السواك والعمل ، وليس قولاً وادعاءً لا يطابقهما الفعل ، قال الحسن البصرى رحمه الله : « ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الاعمال » .

الدين الحق اساسه الايمان ، والايمان تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث متفق عليه : « الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها امانة الاذى عن الطريق .

وقال صلوات الله وسلامه عليه في حديث صحيح رواه ابو داود وابن حبان والحاكم واحمد وغيرهم : « أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا » .

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم : « من رأى منكم منكرا

فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان »  
وقد كثر الآن المتحدثون باسم الدين والمتجرون به في الاقطار الاسلامية المختلفة ، وارتفعت اصوات هؤلاء ارتفاعا غطى على اصوات المؤمنين الصادقين الذين يدينون دين الحق ، واصبح الاتجار بالدين حرفة رائجة في البلاد الاسلامية ، والعجيب ان كثيرا من الناس في انحاء مختلفة من العالم الاسلامى يظهرون الخرص على التمسك باحكام الدين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتظاهرون بأنهم يحملون امانة الدعوة الى دين الله ، ويتشدّدون في نقد من يخالف الكتاب



والسنة في أمر من الامور ، ولكن اعمالهم تخالف اقوالهم وباطنهم يختلف مع  
ظاهرهم ، انهم يقولون ما لا يفعلون .

والذين يتكلمون ولا يعملون كلامهم كالطبل الاجوف يقلق ولا يرشد ،  
لان الدين الحق يرى في سلوك المتدينين به ، والداعية يكسب لدعوته بسلوكه اكثر  
مما يكسب لها بمواعظه ، فسلكه هو التطبيق العملي الحى لما يؤمن به ، ويدعو اليه .  
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المطبقين لاوامر الله في سلوكه  
ومعاملاته ، فكان عمله هديا وارشادا وتطبيقا لما انزل عليه وما امر به ، وينبغي أن  
يكون للمسلمين في رسولهم الامين اسوة حسنة . يقول الله جل جلاله : « لقد كان  
لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »  
( الاحزاب ٢١ . )

ان القدوة العملية تصيب من القلوب اكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت طيبة  
ومؤثرة . ونستطيع ان نأخذ الدروس النافعة المادية من سيرة رسول الله صلوات  
الله وسلامه عليه ، ولقد حدث بعد صلح الحديبية ان رسول صلى الله عليه وسلم  
أمر أصحابه ان ينحروا هديهم ويحلقوا رءوسهم فلم يقم منهم احد ، فدخل على  
أم سلمة فأشارت عليه ان يخرج ثم لا يكلم احدا كلمة حتى ينحر بدنه ويدعو حالقه  
فيحلقه ، فلما فعل صلوات الله وسلامه عليه قام الناس فنحروا وجعل بعضهم  
يحلق بعضا .

هذه حادثة معبرة اصدق تعبير وأوضحه على ان تطبيق الداعية لما يدعو اليه له  
تأثير قوى فعال في المدعوين . فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من هو  
لما أمر الناس بالنحر ثم الحلق فلم يستجب له احد ، وأخبر أم سلمة فأشارت عليه  
بالعمل بدل القول ، فلم يكذ الرسول صلوات الله وسلامه عليه يخرج الى القوم  
ويفعل ما يجب ان يفعل حتى بادر الصحابة رضوان الله عليهم بفعل ما امتنعوا عن  
فعله حين كلمهم .

أجل ان القدوة العملية تؤثر في الناس اكثر مما تؤثر الاقوال مهما كانت بليغة ،  
فعلى الدعاة ان يكونوا عمليين اكثر منهم قوالين حتى تثمر دعوتهم ، وينبغي أن  
تظهر هذه الثمار في بيوتهم وفي دوائر اعمالهم ، فيظهر الدين الحق في سلوك الزوجة  
والاولاد ، والخدم والاحفاد والمتصلين بالدعاة والمشاركين معهم في عمل من  
الاعمال .

ان الذى يدعو الى اتباع الكتاب والسنة والتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه ينبغى ان يتبع هذا بالتطبيق العملى لما يدعو اليه ، فيظهر هذا التطبيق في سلوكه وجميع اعماله ، وان يلزم المتصلين به والعاملين معه بتطبيق ما يدعو اليه وما يطبقه هو ، وكل تقصير في التطبيق مدعاة للسخرية والاستهزاء ، وسبب في ان تصير الدعوة غير مجدية ، وغير مؤثرة في القلوب ، لان الدعاة اذا لم توافق اعمالهم اقوالهم كانوا دعاية سيئة لما يدعون الناس اليه .

ان دعوة الناس الى الخير ، تقتضى ان يكون الدعاة سابقين الى الخير ، ومطالبة الناس باتباع الكتاب والسنة تستوجب ان يكون الدعاة متبعين للكتاب والسنة في جميع اعمالهم ، ونهى الناس عن منكر يحتم ان يكون الناهون ملتزمين لذلك النهى مبتعدين عن المنكر في افعالهم .

ولهذا اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل الذى سأل ان يقول له في الاسلام قولاً فصلاً بقوله : « قل آمنت بالله ثم استقم » .

ووصية الرسول هذه وصية جامعة لان اعلان المسلم الايمان بالله اثبات لولائه لله رب العالمين ، واستقامة المؤمن دليل على صدقه في اعلانه الايمان بالله ، وذلك بالتطبيق العملى الدال على صدق القول والاعلان . وقد بشر الله جل جلاله الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بالجنة في قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » (فصلت : ٣٠ .)

فالدين الحق تطبيق وعمل ، واتباع لما أمر الله به ، واجتناب لما نهى الله عنه واهتداء بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما الذين يقولون ما لا يفعلون فهم اخطر على الاسلام من أعدائه ، لانهم يلبسون زى الدعاة ، ويتظاهرون بانهم يحملون امانة الدعوة الى دين الله ، ويطالبون الناس بالاستقامة ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ثم تكون اعمالهم منافية لاقوالهم ، فبينما تراهم ينتقدون الناس اذا خالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر من الامور اذا هم في سلوكهم ومعادلاتهم يخالفون الله ورسوله ، فلا يعدلون اذا حكموا بين الناس بل يميلون مع الهوى ، ويستبيحون لانفسهم الظلم واكل حقوق الغير ، ويساندون العاملين تحت امرتهم اذا ظلموا واغتالوا حقوق الناس وحكموا بغير ما انزل الله ، ولا يلزمون

اهليهم بما يدعون الناس اليه ، ولا ينتقدون اولادهم اذا ارتكبوا امرا منكرا من الامور التي يشددون في انتقادها اذا ارتكبها غيرهم .

هذا في الواقع ما ابتلى به المسلمون في كثير من أقطارهم . إن هؤلاء المتجرين بالدين يشبهون علماء بنى اسرائيل الذين خاطبهم الله جل جلاله بقوله « أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون » البقرة : ٤٤ .

ان الذين يتجرون بالدين اينما وجدوا ينطبق عليهم قول ربنا سبحانه وتعالى « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » الكهف : ١٠٣ - ١٠٤

ان مخالفة الداعية في سلوكه لما يدعو غيره اليه امر يتنافى مع العقل والمنطق السليم مما يجعل دعوته تفقد قيمتها وتأثيرها ، بل قد تحدث نتيجة عكسية وهذا هو الخطر الذى يتهدد شباب المسلمين من جهة هؤلاء المتجرين بالدين ، الذين يقولون مالا يفعلون .

ان الدين الحق ان يصدق العمل القول ، وان يطبق المسلم في سلوكه وفي كل ما يصدر عنه من افعال ما جاء في كتاب الله وفي سنة خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

ان الايمان الصادق هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الانسان ، وهو الذى يجعل المؤمن في شوق دائم للعمل بما يرضى الله تعالى ، فيدفعه الى تفضيل اعمال البر ليثقل ميزانه يوم القيامة .

فينبغى على المؤمنين الصادقين الذين يدينون دين الحق ان يقفوا في وجه المتجرين بالدين ، وان يكشفوا زيفهم وضلالهم ، وان يحملوا امانة الدعوة الى دين الله الحق الذى يزيع امامه كل باطل ، وان يعملوا بقول الله جل وعلا « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٤

وليعلم المؤمنون الصادقون الذين يدينون دين الحق ان أهل الباطل كالزبد يذهب جفاء ، وان ما ينفع الناس يمكث في الاض .

ولكن على المؤمنين الصادقين ان يعملوا « وقل اعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .  
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

\*

## المصاحبة المرشدة

### محاولة لبسطها ونظرتها فيها

لفضيلة الدكتور على محمد جريشة

كلية الشريعة

أولا : تقديم وتعريف :

١ - إن الله بالناس لرؤف رحيم ، لم يخلقهم عبثا بل جعل لهم غاية ، ولم يتركهم سدى بل هداهم السبيل وحدد معاملة . . . كل ذلك بما شرع لهم من أحكام في دينه ، وكانت أحكامه محققة لمصالحهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم . . . وقد ثبت لدى العلماء من تتبع أحكام الشرع واستقراءها أنها تحقق مصالح خمساً وتحافظ عليها هي الدين والنفس والعقل والنسل والمال وهي في تحقيقها لهذه المصالح تدرج بين مراتب ثلاثة :

لحسن الأمر وتحقيق لمصالح الخلق (١) وتقف كسل مصلحة من المصالح الخمسة مكملة للتي تسبقها وخادمة لها ، كذلك تقف كل مرتبة من المراتب الثلاثة مكملة للتي تسبقها وخادمة لها . ففي المصلحة الأولى وهي الدين تقف في المرتبة الأولى الضرورات ، وفي

هي الضرورات: وهو لا بد منها لاقامة هذه الخمسة وحفظها ، والحاجيات وهي وإن لم تلزم لقيام الخمسة فإنها تلزم لرفع الضيق والحرَج عند الأخذ بها ، والتحسينات وهي ليست بلازمة لقيام هذه المصالح ولا لدفع الضيق والحرَج عند الأخذ بها ولكنها استكمال

\* يذكرها البعض في بحوث «أدلة الأحكام الشرعية» ويتناولها آخرون تحت عنوان مصادر الأحكام الشرعية . ويظنها الكثيرون خروجاً على الكتاب والسنة . وسوف نرى بمشيئة الله كيف يمكن ببسر ردها إلى الكتاب والسنة .

(١) المستقصى للفزالي ج ١ ، ص ٢٨٢ ، رسالة دكتوراه للملاخ الدكتور محمد سعيد البوطي ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ صفحات ٧٨ وما بعدها ص ١٨١ ، ١٨٥ - ١٨٧ .

مقدمتها شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلا بد من إقامتها لاقامة الدين ، ولو أدى ذلك إلى التضحية بالمصلحة التي تليها وهي النفس ، وذلك عن طريق الجهاد اعلاءً لكلمة الله ، وتمكيناً لدينه . . .

ومن الحاجيات المكملة لاقامة الدين ما شرعه الله من تيسير في بعض أحكامه ، رفعاً للعنت والخرج (١) ومنعاً من الضيق والملل ، كأداء الصلاة قعوداً لمن كان ذا عذر، وقصرها للمسافر وما شرع الله من عقود وأحكام للمعاملات . ومن التحسينات المكملة لاقامة الدين ما ينبغى أن يتحلى به المسلم من خلق العفو والصفح الجميل ودرء السيئة بالحسنة .

ووقوف المصلحة وراء كل حكم أنزله الله أمر يراه كل ذى بصيرة

فإن خفيت فإيمان المسلم وبقينه بأن الله لا يريد به إلا اليسر ، ولا يشرع له إلا الحق والخير . . . كل ذلك كافٍ لأن ندرك ما قرره علماء الشريعة من أن وراء كل حكم شرعى مصلحة .

والقول بأن وراء كل مصلحة حكم شرعى (٢) ينبغى أن يتقيد بالشروط والقيود التي سنشير إليها ، وإلا فليست كل مصلحة يتصورها إنسان يمكن أن ينبني عليها حكم شرعى

٢ - والمصلحة التي يورد الشارع حكماً يحققها تسمى مصلحة معتبرة (٣) وتلك التي يأتي النص بعدم اعتبارها تسمى مصلحة ملغاه (٤) .

والتي لم يعتبرها الشارع ولم يبلغها هي المصلحة المرسله (٥) - وهي موضوع هذا البحث .

(١) دفع الحرج غالباً يكون تحقيقاً لحاجة لكنه قد يكون ضرورياً إذا تعارضت مصلحة شخصية مؤكدة مع محرم لغيره لا محرم لذاته ، ذلك أن المحرم لذاته لا يباح الا لضرورة كاكل الميتة ولحم الخنزير واكل مال الغير أما المحرم لغيره فهو يباح للحاجة ولا يشترط الضرورة ، فرؤية عورة المرأة محرم لغيره لا محرم لذاته اذ هو محرم لما قد يفرضي اليه من زنى . . . لذلك أجاز للطبيب رؤية عورة المرأة لحاجة المرض .

« موسوعة الفقه الاسلامى - جمعية الدراسات الاسلامية ، اشراف الشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٠ ، ٥١ ، »

(٢) من العبارات الجارية « اذا وجدت المصلحة فثم شرع الله » وهذه ان تركت بغير قيود كانت خطأ اذ ليس كل مصلحة - أيسا كانت - تحقق شرع الله ، ولكن ان فهمت مع قيودها وضوابطها كانت صحيحة على النحو الذى سنشير اليه - راجع عز الدين بن عبيد السلام ، قواعد الاحكام فى مصالح الانام ج ١ ص ٤

(٣) مثلها ما شرعه الله من افطار المسافر والمريض فقد أردف ذلك بقوله « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وما شرعه الله من قصاص لتحقيق حياة رافهة بالحق والعدل فاكهة بالامن والطمأنينة « ولكم فى القصاص حياة يا أولي الاباب » .

(٤) ومثلها ما قد يظنه البعض مصلحة ، لكن الشارع الحكيم نهى عنه . . . مثل الربا والزنى وشرب الخمر .

(٥) راجع امثلة كثيرة للامام الشاطبى فى الاعتصام ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٠٤٠ وراجع قبلها حديثه عن المصلحة أو الاستدلال المرسل ص ٢٨٢ - ٢٨٧

ثانيا: حجية المصلحة المرسله :

٣- الوحي - قرآنا وسنة - ليس فقط هو المصدر الأول للأحكام ، بل هو المصدر الوحيد للأحكام . . فكيف يتفق ذلك مع ما يعدهه الأصوليون من مصادر تقارب العشرة أو تجاوزها ؟ ووظيفة الاجماع أنه يقوى من هذا الدليل . . والقياس تعريه للحكم الشرعي - الوارد في الكتاب في الكتاب أو السنة - إلى واقعة أخرى لم يرد فيها نص ، لاتحاد العلة في الواقعتين .

أما المصلحة . . فهي - كما سيبين بإذن الله - لون من القياس على النصوص في مقاصدها ومعناها ، وليس في عبارتها ومبناها ، أو هي بعبارة أخرى . حكم بروح النصوص ومقاصدها وليس حكما بعبارتها وألفاظها .

٤- بيد أن الأمر ليس بهذه السهولة التي أشرنا إليها . . فإن دليلا من الأدلة لم يثر جدلا عنيفا ولا غموضا شديدا ، ولا تطرفا ذات اليمين وذات اليسار . . كما أثارت المصلحة المرسله . .

فالبعض أفرط فقدمها على النصوص . والبعض فرط فرفضها رفضا مطلقا . وبين هذا القرب والدم . . كان رأى الجمهور وسطا سائغا للفاقيين . .

٥- وقبل أن نشير إلى هذه الثلاثة نقول إن المصلحة لا عمل لها في دائرة العقيدة لأنها مبنية على اليقين ، والمصلحة لا تفيد إلا الظن ، كذلك لا عمل لها في ميدان العبادات .

( الشعائر والنسك ) لأن نصوص القرآن والسنة جاءت مفصلة لها ومبنية ، فضلا عن أن أغلب أحكامها ليس له ظاهرة أو مصلحة واضحة لأنها أساسا جاءت اختبارا لمدى طاعة العبد ، ويأخذ حكم العبادات ما جرى مجراها من حدود ومقدرات وسائر ما استأثر الله بعلم تفصيلات المصلحة فيه (١) .

أ- المصلحة بين الافراط والتفريط :

٦- تنازع التطرف المصلحة فالبعض قال بتقديمها على النصوص ، والبعض قال برفضها . . ولكل وجهة هو موليها وتشير الى الطرفين وحججها .

(١) الاجتهاد بالرأي للمرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف ص ٨٢ ، سلم الوصول لعلم الاصول للشيخ عمر عبد الله ص ٣١١ ، ٣١٢ .

٧- أما الافراط فيحمل لواءه نجم الدين الطوفي - الذي قيل إنه حنبلي لكن التحقيق أنه يميل إلى التشيع (١) - وقد عرض لرأيه في معرض شرحه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (٢) ، وقال إنه يرى الأدلة الشرعية تسعة عشر دليلا جعل في مقدمتها النص والاجماع واعتبرها أقواها ، ولكنه عاد فقال إن المصلحة تتقدم النص والاجماع إذا تعارضت معه (٣) . ولم يشأ نجم الدين الطوفي خلال عرضه الطويل أن يقدم مثلا واحدا للتعارض النص مع مصلحة حقيقية ! وبغض النظر عما ثار حول عقيدته ، فإن رأيه يناقض بعضه بعضا ، ويتهاثر أوله مع آخره حتى يسقط عن مستوى الاستدلال . . فإنه بعد أن صرح بتقدم النص والاجماع عاد فصرح بتقدم المصلحة على النص والاجماع ، وهو وإن

أجعل التعارض شرطا . . فإنه لم يستطع أن يقدم مثلا واحدا للتعارض ! فضلا عن أنه إذا تعارضت المصلحة مع النص . . فإنه يسقط الاستدلال بها إذ تغدو مصلحة ملغاة . . لا مرسله ولا معتبرة !

٨- وقد نسب إلى الامام مالك أنه قال إن المصلحة تخصص عام القرآن وتقيد مطلقه (٤) ، وليس في أصول الامام مالك ولا فقهه ما يؤيد ذلك . كذلك نقل عن الامام مالك أنه قال بتعذيب المتهم لاجباره على الاقرار - استنادا للمصلحة المرساة - وقد ثبت بالتحقيق أنه ليس رأيا للامام مالك ، وأن هناك رأيا لسحنون في هذا الموضوع لكنه حرف ونقل على هذا النحو ، ثم حُرّف ونسب إلى الامام مالك (٥) . هذا بعض عن جانب الافراط .

٩- أما جانب التفريط : فقد ذهب

(١) انفرد نجم الدين الطوفى دون سائر الحنابلة بهذا الرأي ، وقد نقل ابن رجب فى طبقاته ( ج ٢ ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ ) وابن عماد فى شذرات الذهب ( ج ٦ ص ٢٢٩ ) أن نجم الدين الطوفى انحرف الى التشيع ثم الرفض ، وقد حاول الدكتور مصطفى زيد فى رسالته الدفاع عنه ، وعلق على ذلك الامام محمد أبو زهرة ٠٠ فان النصوص التى نقلها مستشهدا بهالنفى التشيع تطوي فى ثناياها دليل اثباته ، وكل نص سابقه دليلا للنفى هو فى مغزاه ومزماه وباعثه دليل الاثبات ( المصلحة ونجم الدين الطوفى ص ٩ ) وينقل الدكتور معروف الدواليبى أن الشيعة أنفسهم يتبرأون من نجم الدين الطوفى فقد قال عنه الشيخ عبد الحسين شرف الدين شيخ علماء جبل عامل وامامهم : « وسليمان الطوفى من الغلاة الذين ما زالت خصومتنا تحملنا أوزارهم » ( علم أصول الفقه للدواليبى ٢١٥ ، ٢١٦ ) ولا يفوتنا بعد ذلك الإشارة الى ما ذكره بعض المؤرخين من أنه تاب عن الرفض والتشيع ( البوطى ص ١٤٣ ) ومع ذلك فانه يتحمل أمام الله والتاريخ مسؤولية تلك الفتنة التى ثارها والتي ما زال صداها يجلجل به اعداء الاسلام .

(٢) ، (٣) ، (٤) الدكتور مصطفى زيد ، ومن رأي الطوفى بعض المحدثين الذين سنشير اليهم فيما بعد ان شاء الله .

(٤) محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ص ٢٧٤ ، المرجع عبد الوهاب خلاف فى علم أصول الفقه ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، الدواليبى ص ٢١٥ . (٥) البوطى ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٤٧

(ج ٢ ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ - مطبعة المنار بمصر ) إلى نفس الرأي السابق وينسبه إلى الامام مالك ويشير إلى أن العذاب المقصود هو السجن ، ونحسب أن الشاطبي بذلك نقل رأى سخنون على أنه رأى مالك فهو الذى رأى أن إقرار المتهم في حبس سلطان عادل يعتد به ، وهو ما أشرنا إلى أنه يفيد عكس ما يقررون ، ومع ذلك فقد أضاف الشاطبي إلى أن أصحاب مالك مضوا على الضرب لامكان استخلاص الأموال من أيدي السراق والغصاب وأشار نقلا عن الغزالي إلى أن الامام الشافعي لا يقول بذلك . (ص ٢٩٥ نفس المرجع ) .

. ولقد نعلم أن البعض قد يجاجج بما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر إذ أمر الزبير أن يمس عم حبي بن أخطب بعذاب ليعترف على ما خبأه ابن اخيه ، وبيان ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل في غزوة خيبر فصالحوه على أن يجلوا امنها ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء ،

إليه أولئك الذين رفضوا المصالحة نهائيا (١) ولأهمية هذا الحكم ، ولسقوط كثير من حكام المسلمين في هذا الاثم نذكر شيئا من التفصيل ، فنقول بعون الله : . إن الرجوع إلى كتب المذهب تكشف خطأ نسبة هذا الرأي إلى مالك ، بل تثبت عكس ذلك تماما فهو يقول « لا أقيم الحد إلا أن يقرر بذلك آمنة لا يخاف شيئا ( المدونة - ج ٦ . ص ٩٣ طبعة السعادة ) .

. والذي يبدو أن رأى حرف عن سخنون ! إذ قال : « إن إقرار المتهم في حبس سلطان عادل اقرار صحيح » لكن تفحص العبارة يفيد عكس التحريف الذى فهمت به ، فهو يقيد صحة الاقرار بعدالة السلطان إن كان المتهم محبوسا . . مما يفاد منه أنه إذا كان ثمة اقرار لسجين في سجن سلطان غير عادل فلا قيمة له . . لأن السجن في مثل هذه الحالة يمثل لونا من الاكراه يشوب الاقرار ومن ثم يغدو مرفوضا ، وإذا كان السجن يشكل وحده اونا من الاكراه . أفلا يشكله التعذيب ؟ ! . ويشير الامام الشاطبي في الاعتصام

(١) وهم القاضى أبو بكر الباقلائي والامدي من الشافعية وبعض الظاهرية ، ولين صحيحا ان الغزالي منهم ( البوطى ٢٩٥ ، ٢٠٣ ، الاعتصام للشاطبي ج ٢ ، ص ٢٨٢ ) .



واشترط عليهم ألا يكتموا شيئا ولا يغيبوا شيئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد: ومع ذلك فقد غيبوا مسكا فيه مال ، وحلى لحبي بن أخطب كان قد حمله إلى خيبر حين أجليت النضير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حبي بن أخطب : ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير ، فقال أذهبت النفقات والحروب ، فقال : العهد قريب والمال أكثر من ذلك ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسسه بعذاب ، وقد كان قبل ذلك دخل قرية ، فقال قد رأيت حيبا يطوف في خربة ها هنا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني اخ الحقيق وأحدهما زوج صفية بنت حبي بن أبي أخطب ، وسبي رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم وذراريهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا ( عن زاد المعاد لابن القيم الطبعة الأولى ١٣٥٣ هـ ج ٢ ) .

. ونحن نلاحظ على هذه الرواية التي قد يحتاج بها البعض ليجعل للتعذيب شرعية :

١ - أن الأمر كان في حالة حرب

بين مسلمين وغير مسلمين .  
٢ - أن العذاب لم يقع على أحد من المسلمين ، وإنما وقع على يهودى محارب .

٣ - أن النصوص كثيرة متواترة على حفظ دم المسلم وعرضه وماله ، بل إن بعضها يجعل حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم

٤ - أنه قد بدر من الفريق الآخر بعد الصلح نكث للعهد ولذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالقتل والسبي

٥ - أنه ليس هناك ما يفيد في هذه الرواية أن ما وقع على عم حبي بن الأخطب كان لحماية على الاعتراف ، بل الأرجح أنه كان عقابا على كذبه

على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله ، وعلى نكثه العهد حين اشترط عليهم الرسول ألا يكتموا وألا يغيبوا ! وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بالقتل والسبي جزاء على ذلك فإن الضرب جزاء دون ذلك الجزاء !

\* \* \*

ب. المصلحة المرسله عند الجمهور :

١٠ - شاع لدى البعض أن الامام مالك - وحده هو الآخذ بالمصالح المرسله كدليل من أدلة الأحكام الشرعية (٢) وأضاف البعض إليه الامام أحمد . لكن النظر الدقيق يثبت أن الأئمة الأربعة أخذوا بها وإن كان ذلك تحت مسميات أخرى فالعبرة بالمعنى قبل المبنى . فالامام الشافعي عالجها تحت باب القياس وهذا في رأيي نظر ثاقب من الامام الشافعي لأن المصلحة قياس معنى وإن لم تكن قياس لفظ كما سيبين إن شاء الله والامام أبو حنيفة عالجها تحت باب الاستحسان والعرف (٣) . . والمصلحة قريبة من الاستحسان . . وعلى ذلك يمكن أن نقول أن المصلحة كدليل شرعي مسلم بها من جمهور الفقهاء .

١١ - ودليلهم في ذلك :  
(١) أن الشارع دلَّ عليها على سبيل الإشارة ، حين بين لنا الأحكام وكشف

وقد يكون هذا التفريط رد فعل لذلك الافراط ، لكنهم يبررون ذلك بما يلي :

١ - أن الله سبحانه إذ قرر « أيجب الانسان أن يترك سُدىً » قد كفّل له من الاحكام ما يكفل له تنظيم حياته دون حاجة إلى جديد « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الاسلام ديناً »

٢ - أن المصالح الحقيقية هي التي وردت بها الأحكام ، وما لم يرد به حكم فليس بمصلحة « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

٣ - أنها مظنة الحكم بالمهورى ما دامت ليست معتبرة من الشارع ، بل هي مترددة بين الاعتبار والإلغاء وفي هذا يقولون إنها ما دامت مترددة بين الاعتبار والإلغاء فإن انحيازها إلى جانب الاعتبار ليس أولى من انحيازها إلى جانب الإلغاء . (١)

(١) الشيخ محمد زكريا - أصول الفقه ص ٢٢٩ ، الدكتور عبد الحميد متولي - مبادئ نظام الحكم في الاسلام ص ١٢٢ ومن نقلوا عنهم .

(٢) الرسالة للشافعي ٥١٥ ، عبد الوهاب خلاف - ص ٨٢ ، ٥١٦ ، الاجتهاد في الرأي للمرحوم عبد الوهاب خلاف ص ٨٣ . سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ عمر عبد الله ص ٣١٥ - وراجع كذلك ابن حجر في فتح المبين لشرح الاربعين ص ٩٤ ط ، الزنجاني في تخريج الفروع على الاصول ص ١٦٩ - ١٧١ . الغزالي في كتابه المنحول - مخطوط - ورقة ١٢١ - ١٢٣ ( تحت رقم ١٨٨ بدار الكتب المصرية )

في بعضها عن المصالح التي تتحقق من ورائها . . فكأنه سبحانه . بذلك يدل على أن وراء كل حكمة مصلحة ، وكأنه بذلك سبحانه يدلنا على أن نقيس على المصالح ، فبعد أحكام الصيام نجد قول الله « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وبعد أحكام الوضوء نجد قول الله « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » وعن الصلاة يقول سبحانه « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وفي تحويل القبلة يقول سبحانه « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم . وفي القصاص قول الله سبحانه « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب »

فماذا على الناس بعد ذلك أن يراعوا المصالح التي أرشد إليها رب الناس ؟ (٢) إن المصالح تدور في فلك مقاصد الشارع التي استقرت من أحكامه وهي : الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

وبالنظر الفاحصة فإن الأخذ بالمصلحة على هذا النحو يمثل لونا من القياس على النصوص ليس في عبارتها ومبناها

ولكن في مقاصدها ومعناها . . (١) فهي ليست كما ظن البعض انفلاتا من النصوص أو خروجا عليها أو حكما بالرغبة والهوى والتشهي وإنما هي حكم بالنصوص بروحها ومقاصدها إلى جوار ألفاظها وعباراتها .

وهي بذلك تحقق شمولاً واتساعاً ومرونة هي سر من أسرار خلود هذه الشريعة .

(٣) سلك الصحابة سبيل الاجتهاد بناء على المصلحة ، فجمع أبو بكر المصحف ودون عمر الدواوين وسك العملة ، وعلى ضمن الصنائع وقال « لا يصلح الناس إلا ذاك » .

والصحابة في ذلك لا يصدر عن رأى مجرد أو هوى متبع ، وإنما يصدر عن القرآن الذي تلقوه ، والنبي صلى الله عليه وسلم الذي تعلموا على يديه ، ومسلكتهم في هذا السبيل اقتدى به وتقتفى أثره عملاً بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » .

ولقد وقع البعض في خطأ كبير إذ ظنوا أن الصحابة كانوا يعملون المصلحة ولو صادمت النصوص .

(١) في هذا المعنى يقول الاستاذ محمد أبو زهرة . . المصلحة من جنس المصالح التي أقرها الاسلام فهي رجوع الى عموم المقاصد التي اخذت من النصوص ( تاريخ المذاهب الفقهية - ج ٢ ص ٤٠٠ )

(٤) ان النصوص - كالألفاظ وعبارات  
قد تتناهى ، وحاجات الناس لا تتناهى  
والمصلحة كقياس - معنوى - إلى جوار  
القياس اللفظي تحقق الاتساع والشمول  
الذى يكفل مواجهة الحاجات المتجددة .

١٢ - وهذه الحجج نفسها تتضمن  
الرد في نفس الوقت على حجج من  
رفضوا المصلحة ، إذ قامت أغلب  
حججهم على اقتراض خروج المصلحة  
عن دائرة النصوص والأحكام الشرعية ،  
ومن ثم ظنوها حكما بالهوى ، أو  
اعتبروها خروجاً على الدين بعد إذ  
اكتمل ، وهو ما رأيناه داحضاً بعد  
أن بلغنا إلى اعتبار المصلحة لونا من  
القياس على روح النص ومبناه ، فليس  
ثمّة خروج فيها على النصوص . .

أما قول الأولين إن انحياز المصلحة  
المرسلة الى جانب الاعتبار ليس بأولى  
من انحيازها الى جانب الالغاء . . فمردود  
بأن هذا الانحياز راجع الى أن ما تحققه  
المصلحة المرسلة يضاهى ما تحققه المصلحة  
المعتبرة ، وأن المصلحة المرسلة تدور  
في فلك نفس المقاصد التي تدور فيها  
المصلحة المعتبرة .

ج- شروط المصلحة :

١٣ - المصلحة عند الجمهور قائمة على

أسس يصبح أن تعد شروطاً فهي :  
(١) لا تصادم نصوصاً ولا إجماعاً .  
وإلا كانت مصلحة ملغاة ، لأن معنى  
إرسالها أن الشارع لم يُلغها ولم يعتبرها  
(٢) أن تحقق أحد المصالح الخمسة :  
الدين والنفس والعقل والنسل والمال ،  
أى أن تكون المصلحة من جنس هذه  
المصالح .

(٣) أن تكون حقيقية وعامة .  
لأنها إن لم تكن حقيقية كانت وهماً ،  
والوهم لا يبنى عليه حكم شرعى .  
وإن لم تكن عامة كانت خاصة ،  
والأحكام في الشريعة لا توضع لفرد  
ولا لبعض وإنما هي للناس كافة بغير  
تفرقة .

وهذه الشروط في حقيقتها مستمدة  
من طبيعة المصلحة ، ومن كونها دليلاً  
شرعياً .

١٤ - ولقد أضاف البعض إلى ذلك  
شروطاً أخرى :

فقد نقل عن الشافعى أنه يشترط فيها  
أن تكون « شبيهة بالمعتبرة »  
ونقل عن الغزالي اشتراطه كونها  
« ضرورية » .

أما شرط الشافعى فهو في حقيقته  
الشرط الثاني الذى أشرنا إليه أن تكون

من جنس المصالح التي جاء بها الشرع . .  
وبهذا تكون شبيهة بالمعتبرة .

وأما شرط الغزالي أن تكون المصلحة  
ضرورية (١)

فإنه قد يشعر بحصر نطاق العمل بالمصلحة  
المرسلة على مرتبة الضروريات دون سائر  
المراتب الأخرى (الحاجيات والتحسينات)  
وذلك قد يصح إذا اقتصرنا على أحد  
مؤلفاته « المستصفي » لكن هذا الظن

قد يتبدد إذا رجعنا إلى سائر مؤلفاته (٢)  
ولعل ما جاء بالمستصفي كان بيانا  
لما هو موضع اتفاق بين الجميع ،  
إذ يعمل بالمصلحة الضرورية عند جميع  
الفقهاء بلا استثناء ، وذلك في ظننا  
راجع إلى القاعدة الأصلية « الضرورات  
تبيح المحظورات » (٣)

كذلك قد يكون الغزالي في معرض  
بيان الترجيح بين مصلحة ضرورية  
وأخرى أو في منها فهو يخص الضرورية  
بالعمل والتقديم . .

ولقد يكون ما ضربه الغزالي مثلا  
دليلا على ذلك ، فهو يضرب مثلا بحالة

تُرس الكفار ببعض المسلمين ، فنحن  
إزاء مصلحتين : الحفاظ على حياة  
المسلمين الذين تُرس بهم الكفار ، ثم  
الحفاظ على الدين بهزيمة هؤلاء الكفار  
وفي مراتب المصالح تتقدم المصلحة  
الأخيرة على المصلحة الأولى لأنها  
ضرورية وقطعية (أى حقيقية) وكلية  
(أى عامة) (٤) .

ثالثا : ما نسب الى الصحابة خطأ حول  
المصلحة :

١٥ - تولى نجم الدين الطوفي كـبـر  
تقديم المصلحة على النصوص  
وقد قدمنا أن لا مصلحة خارج النصوص  
وأن المصلحة الحقيقية لا تكون إلا  
داخل دائرة النصوص في فحواها ومبتناها  
وأنها إن خرجت . . كانت مصلحة  
ملغاة لا يعتد بها في مجال الأحكام الشرعية  
لكن الذين اقتفوا أثر نجم الدين الطوفي  
وساروا في دربه استدلوا على صحة  
القضية بعمل الصحابة ، وعلى وجه  
التغليب استدلوا بعمل عمر بن الخطاب

(١) المستصفي للغزالي ج١ ص ١٤١ وشروطه ان تكون ضرورية ، وقطعية ، وكلية ، والشرطان  
الاخران هما اللذان اشرنا اليهما من قبل « ان تكون حقيقية وعامة ، اما الشرط الاول فقد اولناه قسى  
المتن

(٢) جمع الجوامع وحاشية البناني عليه ج ٢ ص ٢٨٤ ، وشفاء الغليل ص ١٨٨ وفي هذا المرجع  
اشار الغزالي الى الاخذ بالمصالح في دائرة الحاجيات ، وفي المنحول - ورقة ١٣٥ - اطلق الامر دون  
شروط ( راجع الدكتور البوطي - المرجع السابق ، الامام الشاطبي في الاعتصام ج ٢ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣  
( ٣ ، ٤ ) - الدكتور البوطي - المرجع السابق والاستاذ أبو زهرة اصول الفقه ص ٢٧٢ ، والاستاذ  
عبد الوهاب خلاف في الاجتهاد بالرأي ص ٩٤ .

إليه بعد أن احتكم إلى رسول الله ، فقال له عمر بعد أن خرج بسيفه وهوى عليه : هذا حكم عمر فيمن لا يرضى حكم الله ورسوله .

ولو دقق أولئك الباحثون فيما احتجوا به من أمثلة لوجدوا لها تفسيراً آخر غير أن يقولوا إن الصحابة قدموا المصلحة على النصوص .

ونورد فيما يلي الأمثلة لندققها ونتبين قصد عمر منها . . .  
١ - ابطال سهم المؤلفه قلوبهم :

١٦ - قيل إن عمر رضي الله عنه أبطل سهم المؤلفه قلوبهم الوارد في مصارف الزكاة في الآية الكريمة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين والمؤلفة قلوبهم . . . »

وذلك اعمالاً للمصلحة في مواجهة النص  
١٧ - لكن النظرة الفاحصة تكشف غير ذلك

إن لكل حكم مناهجاً للتطبيق ، ومناطق تطبيق هذا النص هو تأليف القلب ،

رضى الله عنه ، وقالوا عنه انه كان يقدم المصلحة على النصوص . (١)  
وجاوزوا في ذلك الحق والحقيقة . .  
فما كان لصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تربوا في مدرسة الوحي وقدروه حق قدره أن يخرجوا على الوحي عملاً بما يسمى مصلحة !  
ولسان حال هؤلاء الصحابة ما قاله أبو بكر الصديق أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا أنا قلت في كتاب الله برأيي . . فمجرد التأويل بالرأي في كتاب الله وليس خارجه - يعده أبو بكر كبيرة لا يتصور معها أن تقله أرض الله أو تظله سماؤه أما عمر - فهو وإن اجتهد فقد كان يجتهد داخل دائرة النصوص بحثاً عن حكم الله أما أن يخرج على النص نصوصاً تفضيلاً للمصلحة عليها . . فهذا لا يتصور من عمر . . لأن معنى ذلك أن يتقدم برأيه على الوحي وهو الذي يتلو قول الله « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، وهو الذي ضرب رأس منافق راح يجتكم

(١) راجع الدكتور مصطفى زيدفي رسالته : المصلحة في التشريع الاسلامي ونجم الدين الطوفى - الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ ، ص ٢١ فقرة ٢١ - الاستاذ علي حسب الله ، اصول التشريع الاسلامي ص ١٥٦ الدكتور عبدالحميد متولى مبادئ نظام الحكم في الاسلام ص ١٢٦ . ولقد كان البعض الاخر اكثر اعتدالاً إذ قال ان الصحابة قدموا المصلحة على القياس ( الدكتور محمد يوسف موسى : في التشريع الاسلامي وأثره في الفقه الغربي ص ٢٥ ) ولئن كان من الصحابة هذا اللون من التقديم فهو صح استحصانا اذا استحصان عدول عن قياس جلي الى قياس خفي ، والمصلحة ضرب من القياس « قياس المعنى » وهي بالنسبة لقياس اللفظ تغشوقياساً خفياً - والله اعلم

وقد فهم ذلك الوضعيون أخيرا حين جعلوا جزاء القتل لكل من ساهم فيه وجعلوا مجرد الوقوف في الطريق العام لملاحظته دون اشتراك مادي في الجريمة تجعل صاحبها فاعلا أصليا يستحق نفس العقوبة . . وما دون ذلك جعلوه شريكا له نفس عقوبة الفاعل الاصلى ولئن تنكب الوضعيون السبيل فلم يجعلوا العقوبة هى القتل إلا في ظروف معينة فلما تثبت ، ومن ثم فلم يعد الناس يجدون شفاء لصدورهم في تلك العقوبات الهزيلة .

ولئن تنكبوا السبيل كذلك فلم يجعلوا لولى الدم العفو أو القصاص أو الدية بما يكفل شفاء الصدر لهم .

فإن عقوبة الاسلام لا تحتاج إلى سبق اصرار ولا ترصد ولا اقتران بجريمة أخرى .

كما أن ولى الدم له الحق بين القصاص أو الدية أو العفو

كذلك فإن اجتهاد عمر بقتل الجماعة بالواحد يجعل في تطبيق النص على هذا النحو شفاء للصدر أيما شفاء . . أمر عجزت عنه كل الأنظمة الوضعية !

أفنلوم عمر بعد ذلك أن اجتهد في فهم النص وتطبيقه ؟!

وقد نظر عمر فإذا الاسلام قد عز ، ودانت له أكبر امبراطوريتين في العالم . ولم يعد الاسلام بحاجة إلى تأليف القلب أو إلى المؤلفة قلوبهم ، وإذا كان النص يدور حول علته وجودا وعدما ، فإن إعمال النص نفسه يقتضى الكف عن اعطاء هذا الفريق من الناس بعد أن عز الاسلام وعزت دولته ! أفليس هذا اجتهاد داخل النص . ؟! أم يفتات على عمر ويقال إنه قدم المصلحة على النص ؟!

٢ - في قتل الجماعة بالواحد :

١٨ - قيل إن عمر إذ قرر قتل الجماعة بالواحد قد فعل ذلك بناء على المصلحة مصادمة للنص الكريم « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد » وقوله « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس . . »

١٩ - ولم يكن عمل عمر تشريعا كما تصور البعض إنما كان تطبيقا للنص بفهم عميق :

إن التعريف في النفس يعنى « الجنس » ولا يعنى « المفرد » والباء في النفس التالية هى باء السببية . . وعلى ذلك فإن النص يعنى أن كل نفس شاركت في القتل تقتل بالنفس التى قتلت أى بسبب هذه النفس المقتولة .

### ٣- تعطيل حد السرقة عام المجاعة :

٢٠- نسب إلى عمر أنه عطل حد السرقة عام الرمادة بناء على المصلحة وأنه بذلك يقدم المصلحة على النص .

٢١- والحق أن الأمر ليس تقديمًا للمصلحة على النص ولا تعطيلًا لحد من حدود الله . . ولكنه بولايته العامة وجد أن شروط النص غير منطبقة إذ يوجد شبهة قية تحول دون تطبيق الحد أو تدرؤه ، وهو الذي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ادعوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » وسمعه كذلك يقول « لئن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » وهو الذي ترجمه القانونيون المحدثون وبقولهم « إن العدالة تتأذى من إدانة برئ واحد لكنها لا تتأذى من تبرئة مائة متهم » .

وهو الذي جاءه صاحب بستان يشكو سرقة خادمه لثمار البستان فلما حقق القضية وجد ان صاحب البستان لا يعطى خادمه ما يكفيه . . فقال له عمر لو سرق بعد ذلك لقطعت يدك أنت . .

هذا الفقه السليم لاقامة الحدود الاسلاميه هو الذى فقهه عمر فوجد أن الرمادة

شبهة كبيرة تدرأ الحد . . فوجد أن شروط النص لا تنطبق . .

وليس معنى ذلك تقديم المصلحة على النص . . إنما هو اجتهاد داخل النص نفسه للبحث في توافر شروط الجريمة وشروط العقوبة . .

وهكذا لم يفهم البعض عمر . . ولا فقه عمر . . !

### ٤- ايقاع طلاق الثلاث بلفظ واحد

#### طلاقاً باثنا :

٢٢- قالوا إن عمر خالف صريح القرآن في قوله تعالى « الطلاق مرتان » أى دفعتان ، وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم العملية إذ كان يوقع طلاق الثلاث طلقة واحدة ، فقد روى ابن عباس رضى الله عنه « كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق ثلاث واحدة فقال عمر ابن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم » (١)

٢٣- ويرد على ذلك بالآتي :

أ - أن هذا الحديث ضَعَفَهُ كثير

(١) رواه مسلم



من رجال الحديث (١)

ب - أنه وردت أحاديث أخرى تفيد العكس أن عمل عمر كان هو عمل الرسول عليه الصلاة والسلام .

ج - أنه على فرض التسليم بصحة الحديث فإنه يعنى أن الناس كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون طليقة واحدة ، لكنهم في عهد عمر صاروا يوقعون الثلاث دفعة واحدة - يدل على ذلك ما جاء في آخر الحديث « إن الناس استعجلوا أمرا كانت لهم فيه أناة ، أى أن الحديث يحكى الحال الذى كانوا عليه والحال الذى صاروا إليه ، فهو حديث عن تغير عادة الناس وليس عن تغير الحكم في المسألة (٢)

ج - الآية الكريمة « الطلاق مرتان » لا تعنى « دفعتان » فقد ورد كذلك قول الله « نؤتها أجزها مرتين » وقوله « يضاعف لها العذاب ضعفين » ولم يقل أحد إنها تعنى أن الأجر والعذاب يكون على

دفعات (٣)

رابعا : نظرة في المصلحة المرسلة :

٢٤ - لعل وجه المصلحة بعد هذا العرض الطويل - قد بان بغير غيش ولا تشويه ، بعد أن قضت في كتب الأصول وقتا طويلا غير واضحة المعالم . ولعلها بانت تطبيقا لروح الشريعة ومقاصدها ، وليس خروجا عليها أو انفلاتاً منها ، ولعل الشروط التى تقدمت من عدم مصادمتها للنصوص ، ومن دورانها في فلك المقاصد الخمسة التى تدور حولها أحكام الشرع كلها ، ومن كونها حقيقية وعامة - لعل هذه الشروط ضوابط بحرسها أن تكون مظنة الحكم بالهوى أو الشهوى !

ثم لعلها بذلك تحقق المرونة داخل اطار الاسلام فنواجه بروح النصوص كل جديد لم يرد به نص ولم يمكن قياسه على نص ، وتؤكد بذلك صلاحية هذه الشريعة وخلودها على مر الأيام وتجدد الحاجات والرغبات .

وهى تحقق المرونة في المجال الذى يحتاجها وهو مجال المعاملات أما مجال العقيدة والعبادات وما يجرى

١ - فى مقدمتهم ابن عبد البر الذى أنكر رواية طاووس - وفى تفسير القرطبي ج ٣ ص ١٢٨ حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فىمن طلق زوجته ثلاثا انه قد عصى ربه ويات منه امراته (٢) الاستاذ محمد الرفراف ، دروس لقسم الدكتوراه بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، للعام الدراسى ١٩٦٠ (٣) القرطبي ج ٣ ص ١٢٨ - ١٣٠

مجرأها فهو بعيد عن عمل المصلحة قائم على التطبيق المباشر للنصوص .

وهي بعد ذلك ليست مصدرا مستقلا للأحكام لكنها وسيلة أو أداة للاجتهاد أو الاستنباط ترد الأمر أخيرا إلى الله ورسوله . . فما تكشف عنه المصلحة هو حكم الله في الموضوع . . لأنه رد إلى نصوص الكتاب والسنة في معناها دون مبنائها وفي غاياتها ومقاصدها دون عباراتها وألفاظها .

وإن أمثلة المصلحة الكثيرة (١) يمكن ردها بيسر إلى نصوص الكتاب والسنة ، بدليل أن الأمثلة التي ضربوها على أنها مصادمة للنصوص وتقديم للمصلحة عليها تبين أنها تطبيق للنصوص ذاتها وليس ثمة خروج عنها !  
وبعد

فهل آن للمخلصين من الفاقهين أن

يعيدوا كتابة فقها الاسلامي وأصوله بعد أن طال عليه الأمد حتى أصاب وجهه المضيء الكثير من التشويه أو الغبار . . ؟

وهل آن لهم بعد ذلك أن يدخلوا مجال الاجتهاد ليقدموا للامة الاسلامية الحلول الشرعية لمشاكلها بدلا من أن تستورد الحلول وتستورد معها الانحلال من الغرب ومن الشرق ؟ !

هل آن لهم أن يقفوا وقفة « مضرية » في وجه الراغبين عن شريعة الله ؛ المنفذين أو الراضين بما لم يأذن به الله . . ؟ !  
والله لو فعلوا لتغير وجه الأرض ، ولتغير وجه التاريخ « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون »  
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . والحمد لله رب العالمين ،

١ - من الامثلة على ذلك :

ما حدث على عهد ابي بكر الصديق من جمعه القرآن ، وقتاله المرتدين ، واستخلافه عمر بن الخطاب

- اما جمعه للقران فرد المصلحة فيه الى النصوص امر يسر

فهو تحقيق لوعده الله « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، وهو قياس على عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم وهو امره بكتابة القرآن فهو لون من الحفظ والجمع لون اخر ، والمصلحة بعد ذلك تحقق المقصد الاول من المقاصد الخمسة وهو حفظ الدين - اما قتال المرتدين .. ففيه نصوص من الكتاب والسنة « قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم واخلوهم واحصرهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم » فقد جعل شرطين اخرين بعد التوبة للكف عن القتال وهما اقام الصلاة واتباء الزكاة فان تخلفت احدهما وجب القتال ومن الحديث قول الرسول عليه الصلاة والسلام « من بدل دينه فاقتلوه » ومنع الزكاة جودا تبديل للدين وقول الرسول عليه الصلاة والسلام « امرت ان اقاتل آلناس حتى يقولوا لا اله الا الله » فقد جاء في نهايته الا بحقه .. والزكاة من حقه - اما الاستخلاف .. فهو محض عمل سياسى شبيه بما يسمى هذه الايام « الترشيح » وهو من قبيل الاعمال التنفيذية الداخلة فيما سمكت عنه الشرع رحمة بنا غير نسيان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الأدلة والبراهين

# على حرمة التدخين

لفضيلة الشيخ إبراهيم محمد سريق - المدرس بكلية الحديث والدراسات الإسلامية

لقد أجمع من يعتد برأيهم من علماء الإسلام : أن التدخين وباء لا يقبل عليه العقلاء ، واستندوا في تحريمه إلى عدد من النصوص الصريحة ، التي تشير بأوضح بيان إلى حرمة التدخين وخطره على الإنسان ، لما يسببه من الأضرار في النفس وفي المال ، وهما من الجواهر الخمس التي تجب حمايتها على كل مسلم .

أليس التدخين من الخبائث التي يجب أن تنتزه عنها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي خير أمة أخرجت للناس ؟

الأولى - التي تنبئ عليها الحرمة بالأدلة الشرعية ، ليعلم كل مدخن أنه إنما يعصى الله تعالى بكل لفافة تبغ ينفث دخانها بالهواء ، في نشوة وخيلاء .

إننا سنورد هنا من أقوال المختصين ما يوضح طبيعة التدخين الخبيثة ، بحيث تنقطع كل شبهة في تحريمه على كل نفس مسلمة تخشى الله وترهب عقابه . ولنمض الآن في توضيح الأصول

## أولا : إضاعة الصحة :

وتقلص الاوعية الدموية بالأطراف ،  
وغير ذلك مما يحصل به القطع العقلي :  
أن تعاطيه حرام .

فإن العقل الصريح — كما يقضى ولا بد  
بتعاطي أسباب الصحة والحصول على  
المنافع — كذلك يقضى حتما بالامتناع  
عن أسباب المضار والمهالك والمبالغة  
في مباعدها ، لا يرتاب في ذلك ذو لب  
ألبتة ( ٣ ) ٥١ .

ولبيان أهمية هذا العامل في التحريم  
القاطع — سوف نعود إليه بشهادات  
من الأطباء المتخصصين ، ليعلم عشاق  
الموت البطئ : أننا لا نخيفهم بأكثر  
مما يخيفون به أنفسهم بالفعل — لا بالكلام !  
ثانيا : اتلاف المال :

وإتلاف المال بسبب التدخين عملية  
خطيرة ذات شقين : أولهما : خطر  
التدخين على المال الشخصي أو الفردي  
وثانيهما : خطر التدخين على الاقتصاد  
القومي .

وبالنسبة للخطر الأول يعتبر التدخين  
ثغرة مفتوحة تتسرب فيها أموال طائلة  
ينفقها المرء يوميا بغير حساب ، وينفقها  
في المقام الأول لإضعاف بدنه وإفساد  
صحته ، فيدخل في عداد السفهاء الذين  
يجب فرض الحجر عليهم ومنعهم من

لا يمارى أحد من العقلاء في أن  
الصحة نعمة من نعم الله تعالى على عباده  
وان من الواجب شرعا : المحافظة عليها  
من أى أذى : ولهذا شرع الله التداوى  
من الامراض والأوبئة . قال صلى الله  
عليه وسلم : ( تداووا عباد الله ، فإن  
الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً ،  
غير داء واحد : الهرم ) ( ١ ) .

ومن عجب : أن يرى الانسان  
كيف تضعي صحته وعافيته — بينما  
هو مستمر في العكوف على هذا السمّ  
الزعاف : يحرق أصابعه ، ويسيل مدامعه  
ويبدد رحيق الحياة في جسمه ، ويفسد  
عناصر الحيوية والوقاية في دمه ، وقد  
جاء في الخبر :

عن أم سلمة رضی الله عنها قالت :  
( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن كل مسكر ومفتر ) ( ٢ ) . ويقول  
الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله :  
( فلما علم بالضرورة والتجربة والمشاهدة  
ما يترتب على شاربها غالبا من الضرر  
في صحته وعقله ، وقد شوهد موت  
وإغماء وغش ، وأمراض عسرة  
كالسعال المؤدى إلى مرض السلّ الرئوى  
ومرض القلب ، والموت بالسكتة القلبية ،

١ - رواه أحمد في مسنده ، وأبو داود ، والترمذى وقال : حسن صحيح .

٢ - رواه الامام أحمد وأبو داود ، وقال الحافظ العراقي : إسناده صحيح ، وصححه السيوطى في الجامع الصغير .

٣ - راجع فتوى الشيخ رحمه الله بتحريم شرب الدخان .

عن السعال والهلزال .

### خطر التدخين على الاقتصاد القومي

ورد في ( أمور بدهية عن التدخين :

#### Common Sense About

(Smoking 1963) أن الباحثين توصلوا

إلى ان الشخص الذي يبتدئ حياته التدخينية في حوالى السابعة عشرة من

عمره - ينفق في بريطانيا وحدها ما يقرب من ( أربعة آلاف جنيه استرليني )

على التدخين . أى ما يعادل ( ثلاثين ألف ريال تقريبا ) على السيجارة

وحدها . ومن المؤكد أن هذه المبالغ قد تضاعفت بسبب ارتفاع الاسعار .

ويؤخذ من تقرير لجنة المستشارين لوزارة الصحة الامريكية : أن المدخنين

كانوا سببا في إشعال نيران الحرائق بنسبة أكبر من غيرهم ، لأن كثيرا

من المدخنين تطيش عقولهم فيذهلون عن عقب السيجارة . . وقد يدهمهم

النوم وهو ما زال بين أصابعهم فيتسببون في إشعال النار في فراشهم ، وبيوتهم

ويكونون هم أول الضحايا . . !

وكم من فنادق صارت انقضا ، ومثشات أصبحت رمادا ، ومؤسسات انصهرت واحترقت فيها مئات الأجساد

بسبب غفلة من مدخن ، أوقعه سوء عمله في إهلاك نفسه وإهلاك من معه ! !

وقد أعلنت إحدى شركات التأمين :

حرية التصرف الفاسد بأموالهم ، ثم إنه يحظى بصحبة شريرة وصدائة سخيفة

مع نوع من أرذل مخلوقات الله وهم الشياطين : ( إن المبذرين كانوا إخوان

الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا (١) ) وهذه الأخوة الشيطانية خليقة أن تجعل

كل مدخن يستحى من ربه ، ولا يستمرى هذه المصاوية التى هى عين الغواية ،

وأن يتوقف منذ اللحظة عن تعاطى هذه اللغائف التى هى أبواب الفساد

والإتلاف . إذ لا شك أن المدخن يبتاع بماله ما يدخل الفتور والإضعاف على

بدنه ، فيجمع بين ضررين في وقت واحد ! وإذا كان الإسراف في حد

ذاته محرما ، فكيف بمن يجعل الاسراف مدعاة للإتلاف والإضعاف ؟

علم الله انه لاجنون بعينه : أن ينساق المدخنون إلى حتفهم بظلمهم ، وأن

يسعوا بأنفسهم لشراء المنية بأموالهم ! ورد في الصحيحين عن النبى صلى الله

عليه وسلم أنه قال : ( إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ،

ومنعا وهات . . وكره لكم قيل وققال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ) .

فلو لم يكن التدخين محرما لما فيه من كثرة الإسراف ، فإنه لمحرّم أشد التحريم لما

فيه من الانتحار البطئ الذى يستنزف طاقة المدخن وعافيته حتى لا يكف

(١) سورة الاسراء : (٢٧)

عليه وسلم ( من أذى مسلما فقد آذاني  
ومن آذاني فقد آذى الله ) إسناده حسن  
وقد ورد في الصحيحين عن جابر  
رضي الله عنه ( ان الملائكة تتأذى مما  
يتأذى منه الناس ) . ومعلوم ان الاسلام  
يرعى حرمة المجتمعات الاسلامية ويوصى  
بحسن التأدب لها وضرورة الالتزام  
الخلقي وعدم الحاق الضرر بأهلها  
لا سيما تجمعات العبادة واماكن الصلاة  
ما دام الدافع الى ارتيادها طاعة الله  
والرغبة في الخير والثواب وابرار وحدة  
المسلمين . وقد أخرج الشيخان في  
صحيحيهما عن جابر مرفوعا ( من أكل  
ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، وليعتزل مسجدنا  
وليقتعد في بيته ) .

ولا شك أن رائحة الثوم والبصل أخف  
وطأة من رائحة التدخين المنتنة — لأن  
رائحة الثوم والبصل مؤقتة وليست دائمة ،  
فهي تزول بتطهير الفم منها ، ثم هي  
رائحة طعامين مباحين من أطعمة الله ،  
وفي السنن : أنه صلى الله عليه وسلم  
أمر آكل البصل والثوم أن يميتها طبخا .  
وقد أهدى إليه صلوات الله عليه طعام  
فيه ثوم ، فأرسل به الى أبي أيوب  
الانصارى ، فقال : يا رسول الله ،  
تكرهه وترسل به إلى ؟ فقال ( إني

أن ثلاثين بالمائة من الحرائق التي  
توصل التحقيق فيها إلى معرفة الفاعل  
الأصلي — ثبت ان مرتكبيها هم مدمنو  
التدخين . . فبالله اسمع وتعجب ! !  
ألم تر إلى كثير من المدخنين وقد اخترقت  
شرارة النار أثوابهم ، وأحرقت السجارة  
جلودهم أو سودت أصابعهم ؟ ما أغناهم  
لو أنصفوا — عن كل هذا الجحيم ! !  
**ثالثا : الرائحة المنتنة :**

أخبروني أيها السادة ، من منكم يستطيع  
أن يقرب من فم أحد المدخنين  
لمدة تزيد على دقيقة ؟ من منكم يطيق  
أن يدنو من مدخن برائحة فمه المنتنة ،  
التي سببتها ألوان التبغ الكثيرة فأصبح  
أسود الاسنان كويسه العثون ، قبيح  
النفس — بفتح الفاء — صعود وهبوطا ،  
كثير الشهيق والزفير كأنما حطّ من  
عبء كبير ؟ كم من صفّ في الصلاة  
اضطرب حبله بسبب رائحة خبيثة  
انطلقت من فم مدخن فأصابت الجميع  
بالتقرز والاشمزاز ، وكانت سببا في  
إلحاق الأذى والضرر بعباد الله دون  
ذنب جنوه إلا مجاورة هذه المدخنة  
المحترقة ! !

روى الطبراني في الاوسط عن أنس  
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله

تدبر ذلك يا أخى ثم تأمل كيف كان الصادق المصدوق صلوات الله عليه يدعو ربه فيقول ( اللهم كما حسنت خلقتى فحسن خلقتى ) ويقول ( اللهم جنبنى منكرات الأخلاق ، والأعمال والأهواء ، والأدواء ) . اخرج الترمذى وصححه الحاكم واللفظ له . فصلوات الله وسلامه على من كان المثل الكامل للانسانية الفاضلة .

رابعا : تخدير الجسم بمادة « النيكوتين »

قبل كل شىء دعوني هنا أعلن معارضتى المطلقة لمن يدعون ان التدخين غير مفر ، وغير مخدر . لأن وقائع الأحوال كلها تؤكد ان الادمان يبلغ بالمدخن حدا يفقد معه السيطرة على أعصابه تماما ،

ويبلغ هذا الحد أقصاه عندما يفقد المدخن

علبة السجائر مثلا ، فتراه هائجا كالمجنون

يذرع الطرقات هائما على وجهه بحثا عن

هذه المادة المخدرة . . التى تريح أعصابه

بعد أن سرى السم إليها وأصبح عادة لها .

وفي الحقيقة فإن الحقائق العلمية المعروفة

عن هذه المادة مخيفة تماما ، ونحن بدورنا

نقدمها هدية إلى المدخنين ، ليعرفوا

في أى طريق من طرق الشر يسبرون .

لم تكتشف هذه المادة إلا عام ١٨٢٨م

أناجى من لا تناجى ( ١ ) وقد ذكر ابن القيم من فوائد البصل أنه يقوى المعدة ، ويهيج الباءة ، ويزيد في المنى ويقطع البلغم ، ويجلو المعدة - كما ذكر من فوائد الثوم : أنه هاضم للطعام ، قاطع للعطش ، مطلق للبطن ، مدر للبول ، يقوم في لسع الهوام وجميع الاورام مقام الترياق ( ٢ ) . أما التدخين ، فما فوائده « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . !

فالأفضل لكل مدخن أن يراقب الله في نفسه وفي معاشريه ، وليعلم علم اليقين أنه يسبب غاية النفور لمن حوله من المرافقين والجلّاس بما يحمل من قبح الرائحة وثن الأنفاس ، حتى وان اخفوا عنه حقيقة شعورهم نحوه ، خوفا منه أو تأدبا معه . ولكن : هل يقلب التأدب الحق باطلا ؟ أو الكراهية حبا ؟ والسؤال بعبارة أخرى أكثر صراحة هو . . هل يعلم المدخن المفرط في التدخين حقيقة شعور زوجته نحوه ؟

هل استطاع أن يدرك أهي قادرة على

تحمل رائحة فمه أو هي تغالب نفسها في

ذلك ، وهل استطاع أن ينظف فمه قبل

نومه أو تركه ينفث الخبائث والنتن في

أرجاء المكان من حوله ؟

نقط النيكوتين على لسان إنسان ، لكان ذلك كافيا أقتله في عدة ثوان . فكيف بمن يصل النيكوتين إلى أمعائه ، ويتوزع على سائر اجزاء جسمه الداخلية وأعضائه ؟ . .

ومع أن كل جرام من التبغ - يحتوى على عشرين ملليجراما من النيكوتين فإن كمية النيكوتين ترتفع في ثلث السيجارة الأخير الى ٤٠٪ . وهى المنطقة المسماة (منطقة التكاثف : **Kondensation**) أما في « عقب السيجارة » فتقفز هذه النسبة إلى ٦٠٪ .

ويتزايد الأمر خطورة عند عملية التدخين نفسها ، فإن جرام التبغ المتوهج يا عزيزى المدخن ، يبعث إلى فمك ما يصل إلى ٧ ملليجرامات من تلك المادة السامة « النيكوتين » . هذا بخلاف السموم الأخرى ، التى تؤدى إلى الشعور بحرارة في المعدة ، وجفاف في الحلق واحساس بصعوبة النفس ، وفقدان الوعي الناتج عن تسارع النبض وهياج الأعصاب وزيف البصر والسمع ، ولا شك ان هذه المادة بما تحويه من

عناصر مخدرة ومفكرة - هى ما يحملنا على

الجزم بأن التدخين مخدر ، بل هو من

أشد المخدرات فتكبالإنسان، ولا يتطلب

اكتشفها عالمان ألمان هما : بوسلت

**Bosslet** ورايمان **Reimau**

وأطلقا على هذه المادة اسم نيكوتين **Nicotin** نسبة إلى رجل يدعى « جان نيكوت **Jean Nicot** » -

( وكان سفيرا لفرنسا في البرتغال ، وقد زرع هذه المادة في حديقة منزله مستهدفا تزيينها بأوراق التبغ الجميلة وأزهاره الجذابة ) . وفجأة طارت الشائعات ببعض الفوائد الطبية لهذا النبات وسرعان ما فشا وانتشر في أوربة كلها . وكانت تلك هى البداية الخطيرة . . بعدها أصبح التبغ مبسما في كل فم ، وذخيرة حية في كل جيب .

النيكوتين هوالمادة الفعالة المؤثرة في التبغ

. وهو مادة سامة قاتلة ، ويكفى منها

خمسون ملليجراما للقضاء على أى انسان في

عدة ثوان . فإذا عرفت أن نسبة ما يوجد

منها في السيجارة العادية حوالى خمسة

ملليجرامات أدركت الموت البطئ الذى

يتعرض له مدمن السيجارة والعياذ بالله .

وقد أورد بعض الباحثين دليلا على

شدة امتصاص الجلد المخاطى لسم

النيكوتين : « أنه لو وضع عدد من



في ذلك سوى يد تمتد إلى صندوق لتخرج  
منه أنبوبة السم الفتاك ، وتظل تراقص  
بين شفثيه وهو هائم بها مفتون ، حتى  
يؤول به الأمر إلى أن يسقط في النهاية  
مصروعاً ، وقد سرى في سائر جسده

### سم الأفعى .

يقول الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله  
( ولذلك يتركه كثير من الناس خوفاً  
من ضرره وكرهية لرائحته ، وقد  
يعلقون طلاق نسائهم على العود إلى  
يريدون بذلك تركه نهائياً ، فإذا حمل  
إليهم وقت الحاجة لم يستطيعوا الإعراض  
عنه أبداً ، بل يقبلون عليه بكلياتهم كل  
الإقبال ولو طلقت نسائهم - فله  
سلطان عظيم على عاشقيه وتأثير على  
العقل ، وذلك أن شاربته يفرغ إلى  
شربه إذا نزل به مكدر فيتسلى ، ويذهل  
العقل بعض الدهول ) ٥١ .

ويقول الشيخ رحمه الله في شرح طريقة

### عمل النيكوتين في إفساد الجسم :

( وقد أثبت الأطباء له مضار عظيمة  
وقالوا إنها تكمن في الجسم أولاً ثم  
تظهر فيه تدريجياً ، وذكروا أن الدخان  
الذي يتصاعد عن أوراق التبغ المحترقة  
يحتوى على كمية وافرة من المادة  
السامة - هي النيكوتين - فإذا دخل

الدم والرئتين أثر فيهما تأثيراً موضعياً  
وعموماً ، لأنه عند دخوله الدم تؤثر  
المادة الحريفة السامة التي هي فيه - في  
الغشاء المخاطي ، فيهيجه تهييجاً قوياً ،  
وتسيل منه كمية زائدة من اللعاب ،  
وتغير تركيبه الكيماوى بعض التغيير  
بحيث يقل فعله في هضم الطعام ، وكذلك  
تفعل في مفرز المعدة كما فعلت في مفرز  
الدم - فيحصل حينئذ عسر الهضم .  
وعند وصول الدخان إلى الرئتين عن  
طريق الحنجرة تؤثر فيهما المادة الحريفة  
فتزيد مفرزهما ، وتحدث فيهما التهاباً  
قوياً مزمناً . . فيتهيج السعال حينئذ  
لإخراج ذلك المفرز الغزير الذى هو  
البلغم - ويتسبب عن ذلك : تعطل  
الشرايين الصدرية ، وعروض أمراض  
صدرية يتعذر البرء منها ، وما يجتمع  
على باطن القصبة من آثار التدخين  
الكريهة الرائحة يجتمع مثله على القلب :  
فيضغط على فتحاته ويصد عنه الهواء  
فيحصل حينئذ عسر التنفس ، وتضعف  
المعدة ، ويقل هضم الطعام ، ويحصل  
عند المباشر له الذى لم يعتده دوار وغثيان  
وقيء وصداع ، وارتخاء للعضلات وهى  
للأعصاب ثم سبات . . وهى كناية  
عن حالة التخدير الذى هو من لرازم  
التبغ المتفق عليه - وذلك لما يحويه من  
المادة السامة ) ٥١ .

إن الخطورة الكبرى لحالة التخدير التي يسببها التبغ - ليست في كونه مغيبا لعقل شاربه فقط ، بل في كونه مهيتاله إلى إتيان المنكر بشئ أنواعه . نعم ، فإن من الحقائق المعروفة في « علم النفس الجنائي : أن الجنائي يتغلب على ترددده في ارتكاب الجريمة بتعاطى بعض المخدرات ، وحين يفقد وعيه ويضيع توازنه - يصبح قادرا بغير شعور على ارتكاب المحظور ! وكم من وقائع وصل فيها المجرم الى مرحلة الهياج - وكان التحكم في المخدر وسيلة ناجحة لإذلاله وتحطيم معنوياته .

ولعل القرآن الكريم يشير إلى ذلك - والله أعلم بمراده - في قوله سبحانه ( فتعاطى فعقر ) وهو أحد الرأيين في تفسير جزء الآية . يقول الشوكاني رحمه الله : أى تناول الناقة بالعقر فعقرها - أو اجترأ على تعاطى أسباب العقر فعقر . ١هـ وهذا الرأى الثاني أقرب والله أعلم إلى نظم الآية ، لأن من المعلوم لدى البلاغيين : أنه قد يُقصد تعلق الفعل بمفعول غير مذكور ، ولا بد من تقديره ، إن عاما فعام وإن خاصا فخاص . ومثاله قوله تعالى ( والله

يدعو إلى دار السلام ) أى يدعو كل مكلف . وقوله سبحانه ( إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ) أى أحدا - ولما كانت أسباب العقر ومقدماته والعوامل المساعدة عليه كثيرة ، ناسب أن يحذف المفعول لقصد التعميم مع الاختصار ، ويستأنس لهذا الاتجاه في معنى الآية بأن التعاطى هو تناول الشئ بتكلف ، والتكلف للشئ هو الاستعداد له والأخذ بأسبابه مع مجاهدة ومكابدة . وهذا أيضا تصوير لواقع وطبيعة المدمن الذى يكلف نفسه ضد طبيعتها الأصلية ، ويروضها بوسائل الإفتار والإسكار لتقوم بما ليس من شيمتها أن تقوم به ، ومن ثم يأبى المجرم في عاقبة أمره أن يعترف بما صدر عنه في حالة فقدان الوعي . والله في خلقه شئون .

**خامسا : تعريض الجسم للتهلكة**

**بسرطان الرئة :**

لم يعد هناك أدنى شك في أن التدخين سبب قوى من أسباب الإصابة بسرطان الرئة . هذه نتيجة علمية أسفرت عنها بحوث الهيئات الطبية المتخصصة في جميع أنحاء العالم . وكانت إشارة الخطر الأولى المنذرة بوجود علاقة

سنة واحدة - مصابين بسرطان الرئة - هم ثلاثة وعشرون ألفا عام ١٩٦٢ م . وأنه قد مات في بريطانيا حتى عام ١٩٦٣ م أكثر من (ربع مليون شخص) بسبب التدخين . وكل شئ بقضاء الله وقدره .

وجدير بالذكر هنا : أن جمعيات السرطان التي تكافح هذا الوباء في كل مكان - تؤكد للعالم كله ، أنها لا تنطلق في نشاطها المعادي للتدخين من دافع ديني أو اجتماعي أو أخلاقي ، وأنها إنما تنبعث من دافع واحد فقط : وهو خطر التدخين على الناحية الصحية

ذلك الخطر الذي يشتد ويتزايد مع بلع الدخان ، أو الإصرار على إخراجه من الأنف ، أو التدخين قبل تناول الطعام مطلقا ، أو التدخين في الغرف المغلقة بصفة عامة وغرف النوم بصفة خاصة .

وحيث قد تأكدت علاقة التدخين بالسرطان الرئوي ، فلم يعد ثمة مجال للقول بغير التحريم المطلق للتدخين بحكم كونه مفضيا الى التهلكة المنهى عن الوقوع فيها بالنص القرآني ( ولا تملقوا بأيديكم الى التهلكة ) . وبقوله سبحانه ( ولا تقتلوا أنفسكم

أكيدة بين السرطان وبين الفحم ومشتقاته - هي شيوخ « سرطان الصفن » بين كثير من منظفي المناجم ، الأمر الذي لفت انتباه السير « بير سفال بوث » عام ١٧٧٥ م . وأعقبت ذلك ظاهرة مشابهة لدى عمال المناجم في ساكسونية : حيث فشت الإصابات فيهم نتيجة التأثير نفسه مما جعل الأطباء يهتمون بدراسة المرض ومعرفة أسبابه المباشرة .

وهناك أيضا حقيقة مؤسفة بهذا الصدد : وهي أن السرطان الرئوي داء خبيث ، لا يتم اكتشافه في العادة إلا بعد أن تتضح آثاره خارج الرئة نفسها ، مما يجعل أربعة من كل خمسة أشخاص يصابون به لا يمكن تداركهم في الوقت المناسب فيواجهون القضاء المحتوم ولهذا السبب أعلن مجلس الأبحاث الطبية في بريطانيا عام ١٩٥٧ م « ان التفسير الوحيد المقبول لازدياد الوفيات بجوادر سرطان الرئة لدى الرجال في الخمس والعشرين سنة الأخيرة - هو أن هذا الازدياد ناتج في غالبته عن التدخين ، لا سيما التدخين الشديد ؛ ( أكثر من عشرين سيجارة يوميا ) . وفي الدراسة المشار إليها آنفا :

Common Sense About Smoking

إحصائية تقول : إن عدد الموتى في

وجاء ايضا في تقرير موجز للكلية الملكية للأطباء في بريطانيا عن التدخين والصحة **Smoking and Health** انه قد ثبت علميا ، من الدراسات التي أجريت ، أن نسبة الوفيات بين من بدءوا التدخين قبل سن العشرين أكبر مما هي عليه بين الذين بدءوا التدخين بعد سن العشرين .

« أثر التدخين في التخلف الدراسي »

هناك احصائية علمية قام بها عدد من الباحثين - أبرزت نتيجتين هامتين : أولاهما : وجود علاقة قوية بين التدخين ، وبين حدوث التخلف الدراسي

لدى الطلاب المدخنين « والمقصود بالتخلف الدراسي : انخفاض نسبة التحصيل دون المتوسط العام بانحرافين معياريين سالبين ، حيث نسبة التحصيل

العمر التحصيلي

$$(1) 100 \times \frac{\text{العمر الزمني}}{\text{العمر التحصيلي}} =$$

العمر الزمني

وثانيتها : امتياز غير المدخنين في الألعاب الرياضية والمجالات المهنية على المدخنين ، نتيجة لانخفاض طاقة القوة في عضلات المدخنين بنسبة تتراوح ما بين ١٥ % و ٣٢ % عن زملائهم ،

إن الله كان بكم رحيمًا . وقد أجمع على ذلك الأطباء المهرة من العدول وغيرهم ، الذين ثبت لهم من البحوث التجريبية والمعملية بما لا يدع مجالاً للشك أن التدخين خطر على الحياة نفسها ، مما يدخله مدخل الانتحار المحرم .  
لماذا يشيع التدخين بين الشباب ؟

لا أظن أن الآباء وكبار الأولياء قد جنوا على النشء البريء جنانية أفدح ضرراً ولا أعظم خطراً ولا أسوأ أثراً - من تلقينهم الدروس الأولى في التدخين ، وذلك منذ أرسلوهم ليبتاوعوا لهم علب السجائر أول مرة ، ثم استمرعوا بعد ذلك إشعالها وتدخينها على -مرأى ومسمع من أبنائهم الصغار ، الذين تحتل غريزة المحاكاة مكاناً أساسياً في طباعهم : وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

وقد نشرت مجلة النيوزويك الأمريكية تحقيقاً بتاريخ ١٩٦٨/٤/٨ م اثبتت فيه أن أهم سبب يدعو الشبان إلى التدخين هو « تقليدهم لأفراد الأسرة » وخصوصاً الأب ، والأخ الأكبر . وأن نسبة هؤلاء الشبان هي ضعف نسبة الأولاد الآخرين . . من آباء غير مدخنين .

التدخين بعد اعتمادك على الله تعالى ، واستمدادك العون منه وحده — سوى عزيمتك القوية ، وارادتك الصارمة ، مثل الغريق الذى يجد من حوله أمواجاً كالجبال ، فيضرب البحر بذراعه المفتولة وصدرة العريض حتى يجد نفسه على شاطئ النجاة : فقد خسر القليل من الجهد ، وكسب أعظم الأشياء وأثمنها : وهو النجاة من الموت غرقاً . وبدون هذه الارادة الشخصية وحدها ، لن تفيدك عشرات النصائح ، ولا مئات الاحصائيات عن عدد الضحايا .

إنك لم تعد مجرد إنسان مدخن ، بل صرت عبداً خاضعاً لشر العادات ، عادة التدخين التى تفتك بكل شئ ، وأهم شئ : وهو قوة العزيمة . ونقطة البدء في صراعك مع التدخين ، هى أن تستنقد هذه الارادة المسلوقة من برائن الداء ، وبعدها يسهل عليك كل شئ بإرادة الله .

٢ — لا تنس أبداً ان التدخين مجرد عادة يمكنك أن تستبدل بها غيرها ، بتغيير المكان ، أو الغياب عن العصابة المدخنة ، أو تغيير المناخ والقيام ببعض الجولات والرحلات ، والتسلى بهوايات جديدة مفيدة يغلب عليها

مما يؤثر في قوة تحملهم وصلابة عضلاتهم أما في المواد العامية فقد وجد الباحثون أن درجات غير المدخنين تعلو بنسبة تصل إلى ٢١ ٪ عن درجات زملائهم المساكين من ضحايا التدخين . ولم يكن ذلك راجعاً إلى مزيد من الاجتهاد لدى الممتنعين عن التدخين ، ولكنه راجع في الحقيقة إلى الحمود العقلى والتفكك الذهنى لدى أولئك الضحايا ، حيث يعيشون جل أوقاتهم في تشتت فكرى ، وضياح للأفكار ، وعدم القدرة على التركيز ، وضعف في الذاكرة ، واضطراب في الفهم .

وفي كتيب نشرته « الجمعية الامريكية للسرطان » — عرضت قصة طفل كانت أمه تدخن ، ومنها تعلم تدخين السيجارة الأولى ، فلما قام بزيارة لأحد معارض الجمعية وشاهد الأخطار المفزعة التى يتعرض لها المدخنون — تأكد أنه لو استمر المقطوع الحالى للسجائر في البلاد على ما هو عليه — فإن « مليون شخص من اليافعين » الذين ما زالوا حتى اليوم على مقاعد الدرس ، سوف يموتون من سرطان الرئة !

### كيف توقف التدخين ؟

١ — ليس ثمة ما يضمن نجاحك في إيقاف

الطابع الحركى الذى لا يترك للسيجارة مكانا بين إصبعيك ، ولا فرجة بين شفتيك . وعندئذ تصبح السيجارة مجرد ذكرى كثيفة تطردها الأيام والأعمال عن مخيلتك .

٣- سوف تجد من شياطين الإنس من يقول لك: إن الاقلاع عن التدخين مسألة أعقد من ذنب الضب ، بل هو من ذارع المستحيلات ! فإن لقيت مثل

هذا فاعلم أنه الصديق الجهول ، الذى خير منه العدو العاقل . وضع نصب عينيك أن الكف عن التدخين إنما هو طاعة لله تعالى قبل أن يكون شيئا آخر .

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن الامام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ( فلا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلتفت إلى قول أحد من الناس إذا تبين له كلام الله وكلام رسوله في مسألة من المسائل ، وذلك لأن الشهادة ( بأنه رسول الله ) تقتضى طاعته فيما

أمر ، والانتهاه عما عنه نهى وزجر ، وتصديقه فيما أخبر ) ٥١ . وقد أفتى

الشيخ خالد بن احمد من فقهاء المالكية بأنه لا تجوز إمامة من يشرب التبناك ،

ولا يجوز الاتجار به ، ولا بما يسكر ٥١ .  
١ هـ وبذلك يستقر في الذهن أن التدخين محرم ، والاصرار عليه كبيرة ، حيث من المقرر لدى أهل العلم أن الصغيرة تعطى حكم الكبيرة بالاصرار عليها ، أو التفاخر بها ، أو بوقوعها من ذوى الولايات الدينية ومن يقتدى بهم ويحتج بفعلهم أو قولهم أو سكوتهم من العلماء والقضاة والأئمة وأهل الفتوى .

٤- إذا لم تقلع عن التدخين من الآن - فلسوف يجبرك الأطباء غدا على إيقافه ، وعلى إيقاف تناول مجموعة أخرى معه من أحب الأطعمة والأشربة الى نفسك ، بعد أن يكون الخطر قد زاد ، والضرر قد استشرى : ! فهل فكرت حين يتقدم بك العمر وقد تسارعت ضربات قلبك ، وانسدت أوعية دمك ، وارتفع معدل ضغطك ، واصابك الهزال والضعف والصداع والرعدة ؟ هل فكرت وانت تهرب من رائحة الأخشاب والأعشاب المحترقة - أنك تسمح لدخان هذه الأعشاب والأوشاب ان يسرى في دمك ، ويتسلل إلى رئتيك . . ؟  
٥- قبل أن تمد يدك إلى السيجارة في

قهـر عدوك ، فإن التدخين أكثر ما يكون  
استجابة لطعام غـذى باللحوم .

٦ - وإني لأناشد الهيئات الصحية المختصة  
أن تفكر في فتح عيادات لعلاج التدخين  
. . مثل العيادات التي فتحتها في السويد

« دكتور بورجى أيروب Dr. Borje  
Eyrup » وعالج بواستطها ( ستة  
آلاف مدمن ) عن طريق الحقن المهدئة  
للأعصاب ، وحقن النيكوتين اليومية ،  
التي أعطت نتيجة حاسمة بعد عشرة  
أيام فقط من بدء العلاج ، وأعطت  
دفعة قوية من الأمل في القضاء على هذا  
الوباء الملعون !

### نداء إلى شباب الإسلام . . !

أيها الشباب المسلم . . إني أخطبكم  
بما للإسلام عليكم من حقوق ، وبما  
عليكم نحوه من واجبات ، وأولها أن  
تحفظوا عقولكم من الخلل ، وأجسادكم  
من المرض ، ونفوسكم من الأهواء  
والشهوات . افتحوا أعينكم جيدا على  
الخطر الداهم الذى يشعل نارا بين  
أصابعكم . انكم لم تولدوا والسيجارة  
في أفواهكم ، بل اكتسبتم التدخين  
باعتباره عادة من أسوأ العادات في  
مجتمعكم : ( والله أخرجكم من بطون  
أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم

الصباح وقبل الافطار ، تناول كأساً  
من الليمون المرّ ، فهذا أكبر مساعد  
لك على إيقاف التدخين طوال فترة  
الصباح . ثم اجعل معك من التين أو  
التمر ما يغنيك عن تناول علبه اللفائف  
الكريهة ، فكم لها من مزايا في طرد  
السموم . ويضيف ابن القيم الى التين  
أنه أعذى من جميع الفواكه ، وينفع  
خشونة الخلق والصدر وقصبة الرئة ،  
ويغسل الكبد والطحال ، وينقى الخللط  
البلغمى من المعدة ، ويغذى البدن غذاء  
جيـدا . ٥١

كما يقول عن التمر : وهو من أكثر  
الثمار تغذية للبدن بما فيه من الجوهر  
الحار الرطب ، وأكله على الريق  
يقتل الدود ، فإنه مع حرارته فيه قوة  
ترياقية ، فإذا أديم استعماله على الريق  
جفف مادة الدود وأضعفه وقلله أو  
قتله ، وهو فاكهة وغذاء ودواء وشراب  
وحلوى - ٥١ . وقد ثبت في الصحيح  
أنه صلى الله عليه وسلم قال ( من أصبح  
بسبع تمرات لم يضره ذلك اليوم سم ولا  
سحر ) . وقال ( بيت لا تمر فيه جـياع  
أهله ) .

كما وأنصحك أيضا بالكف عن تناول  
اللحوم مؤقتا حتى تنجح محاولتك في

السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون).  
\* ألا وإن اقبح عادة فيكم هي أن  
تكونوا عبدا لعاداتكم . .

فاستخدموا هذه الجوارح الظاهرة  
فيما خلقت لأجله ، ولا تجعلوا أفواهكم  
النظيفة مداخن للشيطان ينفث منها  
سمومه لتفسد الهواء النقي ، وتستذل  
الانف الحمى ، وتصيب البلاد والعباد  
بالأوبئة الفتاكة ، وتفسد بهاء الأسنان  
بالصدأ المثير للغثيان .

\* ألم تروا ما سببه التدخين لآبائكم  
وإخوانكم وذويكم من أمراض وعلل  
قليلها ظاهر ، وكثيرها مستور ؟ أليس  
من المخزى بالنسبة لكم أن تسلكوا  
نفس الطريق المفضى إلى الدمار وأنتم

تشاهدون الضحايا على الجانبين ؟ .  
واخية أمل الإسلام فيكم ، إذا  
دعاكم للجهاد فلم يجد فيكم غير  
رثات مسلوطة ، وأيادٍ مغلولة ، وأجساد  
عليلة ، وشيوخ يرتدون ثياب الشباب !  
نريد ان تبقى اخطار التدخين حية  
في وجدانكم على الدوام . نريدكم  
أن تضعوا رقابة العلى الأعلى نصب أعينكم  
فهو الله الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ،  
ونريدكم ان تكونوا رقباء على أنفسكم  
قبل أن يكون أولياء أموركم رقباء  
عليكم ، فتعسا للبشر اذا لم يرعوا  
حق رب البشر . . « وذروا ظاهر  
الإثم وباطنه ، إن الذين يكسبون الإثم  
سيجزون بما كانوا يقرءون » .





# رسائل

## لمجملة

## البريد

لفضيلة الشيخ عبدالرؤوف البدي - الأستاذ المساعد - بكلية الشريعة  
والدى العزيز :

لشد ما يحزن القلب ويحزب النفس أن أكتب إليك اليوم أني قد تزوجت ،  
وأنني قد تزوجت فتاة مسيحية ليس بينها وبين الإسلام نسب ولا سبب ،  
وأنها أجنبية الدم ليس لها في ديار العرب جدود ولا أرحام . .

لقد تزوجت منذ ثلاث سنوات خلت ، ولكنى كنتمكت الخبر خشية أن ينقطع  
عنى عونك المتواصل ، ويتخلى عن جيبى مالك المندفق ، أما اليوم فقد أصبحت  
طبيبا ألتدرب في أحد المستشفيات ، وأخذ راتبا يكفينى ويزيد ، وتخرجت  
زوجتى في كلية الآداب وأصبحت مدرسة في إحدى المدارس الثانوية ، وفي  
مرتبها ما يزيد مالنا قوة على قوة ، ووفرا على وفر .  
والدى العزيز :

سوف تقرأ هذه الرسالة مرة بعد مرة ، وفي كل مرة ترجع البصر كرتين  
تتعرف توقيعى المائل في ذيل هذه الرسالة ، وتبين اسمك الكامل الذى أخطه على  
وجه الغلاف ، وسوف ترجو في كل مرة أن تكون هذه الرسالة قد كتبها كاتب  
غيرى ، أو أن تكون قد وقعت بين يديك عن خطأ وغفلة من موزع البريد .

رفقا بنفسك يا والدى العزيز ، وأمسك عليك بقايا بصر كاد يودى به مرض  
السكر ، فما بك من حاجة إلى أن تقرأ هذه الرسالة أكثر من مرة ، كل ما فيها  
صدق لا يشوبه كذب ، وحق لا يعتره باطل ، وهذا التوقيع الذى تحدق فيه  
وتحملك هو توقيع ابنك لا شك ولا زيف .

سوف تتهمنى يا والدى العزيز أنى قد عققتك ودلست عليك ، وأنى لم أك ذلك  
الولد البار الذى كنت تتوقع وتؤمل ، سوف تتهمنى بالخداع والمراوغة ، أظهرت  
لك خلاف ما أبطن ، وقلت لك قولا لم أكن به أو من ، حتى إذا ما انتهت حاجتى  
إليك وأصبحت ذا غناء عنك ، سقط النقاب عما كنت أخفيه ، وأفصح اللسان عما  
كنت أطويه .

الحق يا والدى العزيز أنى لم أك عاقا لك ولا مدلتسا عليك ولا مخادعا مراوغا ،  
لقد كان على أن أسلك أحد سبيلين : سبيل الفاحشة التى حرم الله ، وليس لها من  
عقبى سوى الخسران والضيع ، أو سبيل هذا الزواج الذى تكره ، ولقد اخترت  
ما فيه عصمة لدينى ورعاية لخلقى وزلفاى إلى الله ، وهذا الخيار على ما فيه من  
مشكلات قد تحدث في المستقبل البعيد هو - فيما أعلم - خير عند الله وخير عند  
الناس وأحسن عاجلة وأفضل عقبى .

أما خيارك الثالث في الانتظار الطويل حتى أخرج فلم استطع عليه صبورا ،

وكيف يستطيع شاب مثلي غرثان مرمل ناهز الثلاثين من العمر ، تعرض عليه اللحوم البشرية عارية تفيض غضارة ونضارة ، وتناديه من عن يمينه ويساره على مقاعد الدراسة ، وتلقاه وجها لوجه في الحدائق العامة والشوارع المزدهمة ، وتنتظره من خلفه حيث يسكن ويأكل وينام ، كيف يستطيع شاب مثلي هذه حاله أن يظل سبع سنوات : صائما بلا طعام ، حياء بلا حس ولا قلب .

ما أسهل الحرب على النظارة يا والدى العزيز ! وما أصعب غمارها وأشد أوارها على أولئك الذين يصطلون بناها ويفغم أنوفهم دخانها وغبارها ! !

لقد طلبت إليك منذ أربع سنوات أن أتزوج فتاة من بلادى وجنسى ، وعلى دينى وحسى ، ولكنك أبيت كل الإباء ، ورفضت بعنف وشراسة تهدد وترعد وتوعد ، فلم أستطع إلا أن أسكت على خوف ، وأظهر الرضا على مضض ، وفي القلب لبيب حب تحت الرماد ، وفي النفس حسرات هوى تكاد تقتل .

ما أكثر ما كنت تعزبني عن ذلك الزواج وأنا أجلس إلى جوارك حزينا مطرق الرأس فتقول : صبرا صبرا يا بنى ، غدا تصبح طبيبا ، وسوف أفتح لك عيادة في أوسع شوارع عمان وأكثرها ازدحاما وحياة وحركة ، وسوف أعلق فوق باب العيادة لافتة كبيرة كتب عليها بخط كبير جميل اسمك مقرونا باسمى وباسم العائلة ، وسوف أزوجك فتاة من إحدى العائلات المعروفة ذات الصيت البعيد والسمة الطائفة والسلطان الواسع .

لن يقفل في وجهك باب يا بنى حين تكون طبيبا ، ولن يرد الناس لك طلبا ، كل فتاة في عصرنا الحاضر تود لو تصبح ذات يوم زوجا لطيب ، وكل أم تقول لجاراتها وهى ترضع طفلها وتمسح يدها على رأسه إن ابني هذا سيكون طبيبا .

يا بنى ستكون رجلا مشهورا حين تكون طبيبا ، فكيف ترضى أن تكون زوجا لفتاة مغمورة لا يكاد يعرف أهلها أحد ، سوف تعض على يديك ندما وحسرة يوم ترى فرق ما بينكما في المستقبل ، ولن ينفعلك يومئذ حسرة ولا ندم .

ما أكثر ما كنت تقول يا والدى وما أكثر ما كنت تؤمل ، ولقد كنت حريصا على أن أكون عند ظنك وأبى نداء نفسك وأجيب هتاف قلبك ، ولكن البيئة التى أعيش فيها سدّت الطريق أمام ما كنت تؤمل وأمام ما كنت أريد .

من الآباء يا والدى العزيز طائفة كانوا يودون لو يكونون في هذه الحياة شيئا مذكورا ، فقصرت بهم العزائم أو حالت دون أمانهم أحداث قاسية ومطالب عيش لا ترحم ، فهم يريدون أن يعوضوا أنفسهم ويعزوها بأن يروا ما فقدوه حياً ماثلاً في أبنائهم ، فتراهم يرسمون لهم الخطط ، ويضعون لهم معالم الطرق ، ويصبون النصائح في آذانهم صبا ، ويلقون عليهم الأوامر والنواهي كأنهم جنود يعيشون في ثكنات عسكرية .

ولكن كثيرا من أولئك الأبناء الذين يعيشون في بلاد أجنبية الدم والدين يكونون في شغل شاغل عما يريد آباؤهم :

هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى وإني وإياها لمختلفان  
على أننى سوف أسلك طريقا لعله يرضيك أو يخفف عنك ما بك ، طريقا ما كان يخطر لى على بال من قبل وما كان ليخطر لك أنت أيضا على بال ، ولكن هذا الزواج الذى نتمته هو الذى ساقه إلى وجعله سهلا لا حبا أمام عيني ، سوف أخذ جنسية هذه البلاد التى تعلمت في جامعاتها وتزوجت إحدى فتياتها وهأنذا اليوم طبيب في أحد مستشفياتها ، وبهذه الجنسية أستطيع العودة إلى وطننا الذى أخرجنا منه وإلى المدينة التى ولدت فيها وإلى دارنا المهجورة المغلقة الأبواب ، وسوف اتخذ شقة من شققها سكنا وأتخذ من أخرى عيادة ، وسوف أضع على مدخل الدار لافتة كبيرة أكتب عليها اسمى مقرونا باسمك وباسم العائلة كما كنت تأمل وترجو ، وسوف تكون هذه الأسماء كبيرة الحروف جميلة الشكل واضحة الرؤية إلى درجة أنها تقرأ بسهولة من الشارع المجاور ، وسيأتي يوم - أسأل الله ألا يكون بعيدا - تسترد فيه بعونه تعالى تلك الأرض المغصوبة وهذه المدينة المنكوبة ، وحينئذ تستطيع أن تجلس في حديقة الدار صباح مساء كما كنت تجلس من قبل ، وسوف يشير الوافدون على عيادتي للاستشفاء وهم يعبرون الحديقة جيئة وذهابا ، سوف يشيرون إليك بأطراف البنان وهم يتهايمون : والد الطبيب .

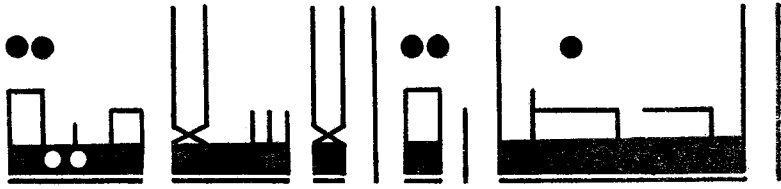
قد تحسب هذا خيالا أسوقه إليك ابتغاء مرضاتك وتخفيف وقع هذا الزواج على نفسك ، احسب يا والدى الحسبان الذى تشاء ، وظن الأمر كما تريد وتمهى ، فهذه هى الحقيقة قد جاوتها عايبك واضحة ، وهذا ما آل إليه أمرى قد صورته لك صادقا قد تقول وأين كانت هذه الحقيقة من قبل ، ولم تصور لى ما آل إليه أمرى منذ البداية؟! ولم كلفتنى نفقات زواجك ثلاث سنوات وأنت على يقين أننى غير راض عنه!؟

الناس يا والدى العزيز يحبون الحق ويحرصون على العدالة حين ينصبون أنفسهم  
حكاما وقضاة ، أما حين يكونون غير ذلك فما أكثر ما تقف العدالة والصرافة  
وكلمة الصدق على أبوابهم طويلا تطرقها وتطرق وتطرق فلا يأذنون لها ولا يعتدرون.  
لقد عشت أنت أيها الوالد العزيز أكثر من ثلاثين عاما موظف دولة ، أما حدث  
ذات مرة أن أمسكت عن قولة الحق وإبداء رأى الصدق حين كنت ترى بعض  
رؤسائك يبغون الأمور عوجا ويعرضون الرأى مبتسرا فجا ، ألم تك تنفذ بعض  
الأوامر وأنت تعلمها جائرة ، وتمضى بعض المعاملات على ما فيها من باطل ،  
ألم يحدث ذات مرة أن فعلت شيئا من ذلك حرصا على راتبك وإبقاء على وظيفتك؟!  
على أنك لست في هذا بدعا بين الموظفين ولا فردا بين الناس ، فالموظفون كثيرا  
ما يقولون الكذب وهم يعرفون أين يكون الصدق ، ويأتون الباطل وهم يبصرون  
طريق الحق ، ويعتدرون عن ذلك بلقمة الخبز لأفراد الأسرة ، وكسوة الصغار  
الذين يدرجون في البيت ، وتعليم الكبار الذين يغدون على المدارس ، ولا يذكر  
حق الدين وحق الفضيلة إلا كما يذكر الموتى وأسقاط المتاع .

علم الله أنى لم أقصد بهذا إساءة إليك ، ولا كشف منقصة فيك ، ولا إذاعة  
عيب عنك ، وأنتى لي هذا؟! ولكن الشئ بالشئ يذكر ، والحديث ذو شجون .  
وفي ختام هذه الرسالة أقول :

من الخير يا والدى العزيز أن تسمح لابنك هذا بالعودة ، وأن تفتح أبواب  
بيتك لاستقباله ، وأن تمد جناح العطف والرحمة على هذا الزواج .  
من الخير أن تسمح لهذا الولد الغريب أن يعود إلى بيت أبيه وأمه ، ومن الخير  
أن تجد هذه الزوجة الأجنبية أبواب البيت لها مفتوحة ، والقلوب التي في الصدور لها مشروحة  
وإذا كنت تبغى رضا الله وثواب الآخرة حقا ، وتحب ألا يضيع ما أنفقته  
سدى ، فمد أجنحة الحنان والرحمة على هذا الزواج ، وافتح الطريق أمام هذه  
الزوجة الحائرة كى تتعرف الإسلام من الواقع الذى تعيش فيه أسرتنا وأسر آخر  
تهتدى بهدى الإسلام وتستضىء بنوره ، غربها عن هذه البيئة التى تشد قدميها إلى الأرض  
كلما همت أن تسير على طريقه ، أنقذ أولادنا من أن يصبحوا على غير دين أو على  
دين لا يعرفون من شريعته حكما ولا من قرآنه حرفا ، أنقذني أنا من قبل أن أنسى  
مناسك دينى ومن قبل أن يصبح قلبي خاليا من الإيمان ، تذكر قوله تعالى « وإن  
تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم » وقوله تعالى « فعمى أن تكرهوا  
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

ابنك البار



## لفضيلة الشيخ أحمد عبدالرحيم السايح

لفظ الحضارة في مفهومه الحديث ، ومفهومه العالمي المعاصر ، قد أصبح أكثر اتساعاً ، مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي التقليدي . . وإذا كان أصل الحضارة : الإقامة في الحضر . فإن المعاجم اللغوية الحديثة ، ترى ان الحضارة هي : الرقي العلمي ، والفني ، والأدبي ، والاجتماعي ، والاقتصادي في الحضر . . وبعبارة أخرى أكثر شهولاً ، هي : الحصيلة الشاملة للمدنية ، والثقافة ، والفكر ، ومجموع الحياة ، في أنماطها المادية والمعنوية . . ولهذا كانت الحضارة هي : الخطة العريضة - كمياً وكيفياً - التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم ، ومنها الحضارات القديمة ، والحضارات الحديثة والمعاصرة . . ومنها الأطوار الحضارية الكبرى ، التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات ، من مرحلة إلى مرحلة . .

دين عبادة ، ودين معاملة ، وأنه أنشأ لونهاً من الحضارة ، عرف باسمه ، وهو الحضارة الاسلامية . . لهذا نجد أن المستشرقين مدفوعين بدوافع شتى ، قد ظلموا الحضارة الاسلامية ، حينما أطلقوا عليها في مؤلفاتهم وكتاباتهم : الحضارة العربية أو حضارة العرب ، وهذا يدل على الجهل والتجاهل ، لأن

ولئن كان الإسلام قد امتاز بأنه دين الحضارة الإنسانية ، فإن الواقع يبين للباحث والمفكر ، والدارس ، أن الحضارة الإسلامية استمدت كل مقوماتها ، وعناصر وجودها ، وأسباب نموها وازدهارها ، من الإسلام ذاته . . والإسلام كان ولا يزال دين الحضارة والإنسانية ، بمعنى أنه كان منذ نزوله

حضارة عربية بدون الإسلام لم تقم . .  
وقد قامت الحضارة الإسلامية ، على  
دعائم أساسية ، جعلت منها حضارة  
عالمية متميزة ، وفريدة في تاريخ  
البشرية . . ومن ذلك . .

**أولاً :** أن الإسلام قد انطوى على طاقة  
روحية ، جعلت منه قوة فاعلة ، والشئ  
المهم في هذه القوة الفاعلة . أنها كانت  
أصلاً جذرياً يمس كل الأوضاع في  
حياة الناس .

**ثانياً :** أن الإسلام كان دين دعوة . .  
وفكرة الدعوة في الاسلام ، قد  
وانتها ظروف الانتشار في النطاق  
العالمى ، وفي ظلال الدعوة المستمرة ،  
تمكن الإسلام من نشر طابعه الحضارى ،  
كعقيدة للحياة ، وأن يصبح في أقل  
من ربع قرن ، مقوماً أساسياً من مقومات  
الحضارة الإنسانية . .

**ثالثاً :** كان الإسلام ديناً سهلاً غير  
معتد ، ولا مركب في عقيدته ، وكان  
في الوقت ذاته ، ديناً مباشراً ، يتصل  
فيه الإنسان بخالقه دون وساطة :  
« وقال ربكم ادعوني استجب لكم » ،  
« وإذا سألك عبادى عنى فأني قريب »  
ولا نجد عقيدة تطلب من الإنسان شهادة  
أبسط من شهادة الاسلام ، على عمقها  
وعظمتها : « لا إله إلا الله محمد رسول  
الله » . . عبارة سهلة راقية نظيفة ،

تقف بالعاقل على عتبة الدخول في  
الإسلام ، موقفاً سهلاً . والمقوم  
الأصيل في هذه البساطة ، أن القرآن  
الكريم هو الوعاء الأساسى للعقيدة كلها .  
**رابعاً :** كان الإسلام ديناً رحباً ،  
يدعو إلى سبيل العقل ، في حدود  
أصول العقيدة ، كما يدعو إلى سبيل  
الضمير ، والحق . . ومن هنا كانت  
الدعوة إلى النظر ، وإلى المعرفة ،  
أساساً من أسس الدعوة الإسلامية ،  
وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة  
للحضارة . .

والإسلام في رحابته الحضارية ،  
استطاع أن يمتص ألوان الحضارات  
في البلاد التي أوقد فيها فتاديل الضياء ،  
وأن يسبغ عليها طابعاً إسلامياً شاملاً . .  
**خامساً :** البيئة بعواملها المحلية ،  
وموقعها الجغرافي ، قد ساعدت على  
إعطاء الحضارة الاسلامية ، ما كان  
لها من طابع ، ومن مكانة . . ولقد  
كانت الجزيرة العربية ذاتها ، منطقة  
وصل بين أطراف العالم ، عند ملتقى  
القارات الثلاث في العالم القديم « آسيا  
وافريقيا وأوربا » . . ومن شواطئ  
الجزيرة العربية ، تمتد بحار الشمال ،  
بادئة بالبحر الأبيض المتوسط . وبحار  
الجنوب بادئة بالبحر الأحمر ، والخليج  
الإسلامى (١) . . وقد كان عدم

(١) التسمية بالخليج الإسلامى هي افضل طريقة امام تحديثات العصر

التوجيه ، وفي الحكم ، وفي السياسة ،  
 وفي الثقافة ، وفي جميع نواحي  
 الحياة . . وقد قامت في السعودية نهضة  
 علمية وثقافية جبارة ، جعلت الجامعات  
 تعمل في إعداد كامل ، للمؤتمرات  
 إسلامية جامعة ، مثل مؤتمر الفقه الإسلامي  
 ومؤتمر العلم والتكنولوجيا ، ومؤتمر  
 الاقتصاد ، ومؤتمر الشباب ، ومؤتمر  
 الدعاة ، ومؤتمر المساجد ، ومؤتمر  
 المذيعين ، وصارت الجامعات والكليات  
 ومعاهد العلم ، تصدر صحفا ، ومجلات  
 ذات دراسة وعمق ، معدة إعدادا  
 يتفق مع ما وصلت إليه الطباعة من  
 تقدم . . ولا شك أن هذا كله دعامة  
 من دعائم الحضارة الإسلامية القائمة  
 على الإسلام . . حتى لا يأتي إلينا  
 مخرف من الشرق ، أو من الغرب ،  
 فيقول إن حضارة الإسلام قد شاخت  
 وهرمت . . شاء الله أن تظل تجربة  
 الحكم بالقرآن الكريم ، قائمة في أرض  
 الجزيرة العربية ، كما كانت في عهد  
 الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد  
 الخلفاء الراشدين . .

سادسا : الوسطية التي جاء بها الإسلام ،  
 والوسطية التي جعلت فيها الأمة الإسلامية  
 وشرفها الله بها . . ليست الوسطية

اتصال المياه بين الشمال والجنوب ،  
 سببا في أن شبه الجزيرة العربية ، كانت  
 نقطة تغيير ، في وسائل المواصلات ،  
 وفي ظهور الوساطة التي كتب للمسلمين  
 أن يقوموا بها . . ولم يكن الأمر بالطبع  
 مجرد التوسط الجغرافي على أهميته ،  
 وإنما كان الأمر أوسع وأعمق ، فهو  
 توسط من ناحية الطبيعة البشرية ،  
 ومن ناحية السلوك الإنساني ، ومن  
 ناحية الاعتدال في كل ما يتصل بالمادة  
 وهي أمور كلها اتصلت بطبيعة البيئة  
 العربية . ومن هذه البيئة الوسط ،  
 انتشر الإسلام شرقا وغربا ، وشمالا  
 وجنوبا ، بالبر والبحر على السواء . .  
 وقد شاء الله سبحانه وتعالى ، أن تستيقظ  
 الجزيرة العربية في القرن الرابع عشر  
 الهجري ، الموافق القرن العشرين  
 الميلادي ، والقرن العشرون يعتبر أزهى  
 قرون الحضارة في الغرب . شاء الله  
 أن تقوم - في الجزيرة العربية - المملكة  
 السعودية ، على أساس القرآن الكريم ،  
 لا على أنه المادة الأولى أو الثانية من  
 الدستور ، كما تفعل كثير من الدول  
 التي يقال عنها ، عربية وإسلامية .  
 ولكن على أساس أنه هو كل شيء ،  
 في التعليم ، وفي



المتدعة في الفكر المستورد الحديث .  
فالوسط المبتدع في الفكر العصري ،

وسط عفن ، قام بين تراكمات عفنة  
من اليمين واليسار . ولا شك أن اندفاع  
بعض المجتمعات الإسلامية إلى هذا  
الوسط العفن ، وما جاء حوله من يمين  
ويسار ، يعد عند الدارسين لتطور  
الشعوب ، كارثة فكرية خطيرة ،  
وردة جاهلية وثنية .. والوسطية الإسلامية  
وسطية عامة شاملة ، لا تعترف بتقسيم  
اليمين والوسط واليسار . بل إنها :

١- في العقيدة تقوم على توحيد الله  
وإفراده بالعبادة ، والتمسك بما  
شرع من آداب السلوك والمعاملة . .

٢- وفي التشريع تقوم على أصول  
رئيسية ، مصدرها الأساسي :  
القرآن الكريم ، وسنة الرسول  
محمد عليه الصلاة والسلام .  
٣- وفي الأخلاق تقوم على خلوص  
النية ، ونقاء الضمير ، والتمسك  
بقيم الخير ، والحق ، والتزام  
الآداب الفردية والاجتماعية . .  
٤- وفي الاجتماع تقوم على الأسرة  
المتماسكة القائمة على ركائز المودة ،  
والرحمة ، والإخلاص ، والاحترام  
والتعاون . .  
٥- وفي السياسة تقوم على الشورى ،  
واحترام حقوق الإنسان ، والتزود

بكل أسباب القوة ، والدفاع عن  
العقيدة . .

٦- وفي الاقتصاد تقوم على تبادل  
المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا ،  
غاية واحترام الملكية الفردية . .

٧- وفي الثقافة تعتمد على طلب  
المعرفة ، واستخدام العقل في  
كسب المعارف . .

٨- وفي الفكر تقوم على استنهاض  
العقول ، وحرية الفكر ، واستقلال  
الإرادة . .  
فأى وسطية أسمى من هذه الوسطية  
التي ارتضاها الله ، وجعلها سمة هذه  
الأمة الإسلامية ، ذات الحقيقة الكبيرة ،  
والوظيفة الضخمة في هذه الأرض ،  
ويقول في ذلك شهيد الأمة الإسلامية  
سيد قطب : « إنها الأمة الوسط التي  
تشهد على الناس جميعا ، فتقيم فيهم  
العدل والقسط ، وتضع لهم الموازين  
والقيم ، وتبدي فيهم رأيها . . فيكون  
هو الرأي المعتمد ، وتزن قيمهم ،  
وتصوراتهم ، وتقاليدهم ، وشعاراتهم .  
فتفصل في أمرها ، وتقول : هذا حق  
منها ، وهذا باطل . . لا التي تتلقى  
من الناس تصوراتها ، وقيمها ، وموازينها  
وهي شهيدة على الناس ، وفي مقام  
الحكم العدل بينهم . وبينما هي تشهد  
على الناس هكذا ، فإن الرسول هو

الذي يشهد عليها ، فيقرر موازينها ، وقيمها ، ويحكم على أعمالها وتقاليدها ، ويزن ما يصدر عنها ، ويقول فيه الكلمة الأخيرة . . . وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ، ووظيفتها ، لتعرف وتشعر بضمخامتها ولتقدر دورها حق قدره ، وتستعد له استعداداً لا تقا . . . وإنما للأمة الوسط بكل معاني الوسط . سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادى الحسى . « أمة وسطا » في التصور والاعتقاد . لا تغلو في التجرد الروحي ، ولا في الارتكاس المادى . إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد . أو جسد تلبس به روح . وتعطى لهذا الكيان المزدوج الطاقات ، حقه المتكامل من كل زاد ، وتعمل لترقية الحياة ورفعها ، في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق ، وعالم النوازع ، بلا تفريط ولا إفراط : في قصد ، وتناسق ، واعتدال . . . « أمة وسطا » في التفكير والشعور ، لا تجمد على ما علمت ، وتغلق منافذ التجربة والمعرفة . ولا تتبع كذلك كل ناعق ، وتقلد تقليد القردة المضحك .

إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب . . . وشعارها الدائم : الحكمة ضالة المؤمن أي وجدها أخذها ، في تثبت ويقين . . . « أمة وسطا » في التنظيم ، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضماير ، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب . إنما ترفع ضماير البشر بالتوجيه والتهديب وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزواج بين هذة وتلك . فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلمهم كذلك إلى وحي الوجدان ، ولكن مزاج من هذا وذاك . « أمة وسطا » في الارتباطات والعلاقات لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته ، ولا تلاشى شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً ، لا هم له إلا ذاته . . . إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء ، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه ، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو ، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة ، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد ، في تناسق ، واتساق . . .

« أمة وسطا » في المكان ، في سررة الأرض ، وفي أوسط بقاعها ، وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام ، إلى هذه اللحظة . . هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب ، وجنوب وشمال ، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا وتشهد على الناس جميعا ، وتغطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة ، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة ، وثمار الروح والفكر ، من هنا إلى هناك ، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء . .

« أمة وسطا » في الزمان ، تنهى عهد الطفولة البشرية من قبلها ، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها ، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام ، وخرافات ، من عهد طفولتها ، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى ، وتزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات ، ورصيدها العقلي المستمر في النماء ، وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك . فالأمة الإسلامية ليست في حاجة إلى الأحزاب التي أوجدتها ورعاها التبشير الصليبي . . وليست في حاجة إلى التقدمية ، والثورية ، واليمين والوسط واليسار . . وليست في حاجة

إلى اشتراكية المنحرفين ، من سماسرة الشيوعية ، والدجل الفكري ، وليست في حاجة إلى تعدد المناير ، واستيراد ما هب ودب . . وليست في حاجة إلى تجارب الأمم . إذن وبدون شك . الأمة الإسلامية في حاجة إلى الإسلام ، والإسلام فقط . .

سابعا : القرآن الكريم ذاته . وذلك أن القرآن كان أعظم ما عرفته الإنسانية في تاريخها الممتد الطويل . . وقد تضمن القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الإنساني السليم . تنشده الإنسانية فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية ، والعلائق الأسرية ، والمعاملات الاقتصادية والحربية ، والقوانين المدنية ، والأنظمة الدولية ، وبعبارة أوجز . . تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة ، الدين والدنيا . .

ثامنا : اللغة العربية نفسها كانت دعامة من دعائم الحضارة الإسلامية ، وذلك لأنها أعرق اللغات منبتا ، وأعزها جانبا ، وأقواها جلادة ، وأغزرها مادة ، وأدقها تصويراً لما يقع تحت الحس ، وتعبيراً عما يحول في النفس . .

وعندها من المرونة على الاشتقاق ، والتبول للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب . ما يمكنها من الاستمرار

قوة غلبت كل التحديات الجاهلية ،  
فانتشر طابع الحضارة الإسلامية على  
فعالية ، لم يعرف لها مثيل في تاريخ  
الإنسانية . .

عاشرًا : وما يذكر أن ترسيخ معالم

الحضارة الإسلامية ، قد تضاعف بفعل  
مقوم إنساني آخر . . وهو تنوع  
السلالات التي دخلت في الإسلام ، ثم  
هناك ظاهرة أخرى ترتبت على كل  
هذه الجوانب والعوامل ، وهي ظاهرة  
الاتصال والاستمرار الزمنى في الحضارة  
الإسلامية . . ومن وراء كل ذلك هناك  
الإيمان بالله ، فهو القوة الدافعة الموجهة  
التي تسند الضعيف من أن يسقط ،  
وتمسك القوى من أن يجمح ، وتعصم  
الغالب من أن يطغى ، وتمنع المغلوب  
من أن ييأس . .

وقد أثبت التاريخ أن الذين تربوا في مدارس

القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم

الحياة ، واعتدل في أيديهم ميزان الحق ،

والعدل . .

ولقد كانت المملكة الإسلامية تزدهر  
بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر  
فيها أرقى الصناعات على اختلافها ،  
وما تركه المسلمون من تراث علمي ،  
لأكبر شاهد على ذلك . .

في عطاءها ، نزل القرآن بلساتها فجعلها  
أكثر رسوخا ، وأشد بنيانا ، وأقوى  
استقرارا . وبفضل القرآن ، صارت  
العربية ، أبعد اللغات مدى ، وأوسعها  
أفقًا ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها  
الحضارية ، عبر التطور الدائم الذي  
تعيشه الإنسانية . واستطاعت العربية في  
ظل عالمية الإسلام ، أن تتمتع لتحيط  
بأبعد انطلاقات الفكر ، وترتقى حتى  
تصل أرقى اختلاجات النفس ، وليس  
هناك معنى من المعاني ، ولا فكر من  
الأفكار ، ولا عاطفة من العواطف ،  
ولا نظرية علمية من النظريات ، تعجز  
اللغة العربية عن تصويره بالأحرف  
والكلمات ، وتجسيده داخل الكلمات .

تاسعًا : وبجانب هذا وذاك ، كانت

هناك مقومات تاريخية وبشرية ، تتصل  
بالعصر الذي ظهر فيه الإسلام ، ثم  
بالعصر البشري ، والتكوين السكاني .  
فأما عن العصر ، فقد كان الإسلام  
ختام الأديان السماوية ، وكان الإسلام  
بذلك رباطا لها من الناحية التاريخية ،  
كما كان في الوقت ذاته تصحيحا لها  
لما أصابها من تحريف الفلاسفة والوثنيين . .

ولقد كان هذا كله ، قوة دفع للفكر  
الإسلامي ، وما اتصل به من حضارة ،  
ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامي على

الأرضية . وعبد الله الخوارزمي العالم المسلم الذي ولد في إقليم خوارزم (١) ، أول رجل في العالم يضع أصول علم الجبر ، وفي كتابه « الجبر والمقابلة » يقسم العلماء إلى ثلاثة أقسام : فمنهم المخترع المبتكر الذي لم يسبق إليه ، ومنهم الذي يتناول آراء العلماء قبله بالشرح والتفصيل والتوضيح ، ومنهم الذي لم يكلف نفسه أكثر من جمع المتفرق . .

وأبو الريحان محمد البيروني الذي ولد في بيرون ، وهي مدينة صغيرة تتبع مدينة خوارزم . يساهم في الفلك والرياضيات ، بمساهمات فعالة . وابن النفيس العالم الدمشقي ، يجرى التجارب والاختبارات ، حتى يثبت أن الدم ليس سائلا مستقرا في الأوردة والشرايين . بل هو سائل متحرك ، يدور في جميع أجزاء الجسم ، وذلك قبل أن يكتشف العالم البرتغالي ( هارفي ) الدورة الدموية بثلاثة قرون . .

وابن مسكويه ذلك المفكر الاسلامي الكبير الذي طرق الدراسات الأخلاقية والنفسية ، فذلل متونها ، وسبق علماء أوروبا ، فيما وصل إليه من النظريات النفسية والسلوكية . . هذا كله في

ولقد تلمست أوروبا الحضارة الاسلامية ، فاستقت من روافدها العلوم والمعرفة من الفلك والجبر والهندسة والحساب والكيمياء والطب والزراعة ، وسائر أنواع الفنون الحضارية . وبنى رجال أوروبا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالأندلس ، وبما نقلوه من علوم . . بنوا أسس النهضة الحديثة التي ظهرت بوادرها في القرن الثامن عشر ، وازدهرت في القرن العشرين . .

والإسلام بدعوته إلى العلم هو الذي خرج جهابذة الفكر ، ورجال الحضارة ، أمثال ابن الهيثم ، وابن البيطار ، وابن سينا ، وابن النفيس ، وابن زهر ، وابن بطوطة . والكندي ، والفارابي ، والبيروني ، والطوسي ، والدينوري ، والبغدادى ، والرازي ، والقزويني ، والأنطاكى ، والخوارزمي ، والإدريسى والمسعودى ، وجابر والحافظ ، وغيرهم ممن أفادوا الإنسانية . وهذا ابن الهيثم يبحث في السهول والأودية ، ويجول فيها طولاً وعرضاً ، حتى يضع قواعد علم الضوء . وابن الدجيلي ، يسهر على قمم الجبال العالية ، يحدق في الكواكب والنجوم ، ليحدد أفلاكها ، ويعرف أبعادها ، ويقيس محيط الكرة

١ - إقليم خوارزم هذا من الاقاليم الاسلامية التي كانت عامرة بالعلم والعلماء ، وهو واقع الان في قبضة

الوقت الذى كانت فيه أوروبا تعيش في ظلمات الجهل والهمجية ، ولم ينقذ أوروبا من ورطتها التى كانت واقعة فيها إلا نور الإسلام . وما زالت أسماء العلوم والمصطلحات التى أعطائها العلماء المسلمون لغرائب العلم ، ما زالت حية في جميع اللغات رغم ما مر عليها من تحريف وتغيير . . . ولقد سجل التاريخ الحضارة الاسلامية باعزاز . وتقول الكاتبة الألمانية الدكتور سيجريد هونكه ، في كتابها « شمس الله تشرق على الغرب » تقول : « إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التى نهض بها أبناء الصحراء من العدم ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشرى ، فسيادة أبناء الصحراء التى فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة ، وحيدة في نوعها ، وإن الإنسان ليقف حائراً أمام هذه المعجزة العقلية الجبارة » . . .

وإن من ينعم النظر في أعماق الحضارة الإسلامية ، وما حققته للإنسانية من أسباب النمو ، وعوامل الازدهار ، ويلم بما جاء به الفكر الاسلامى ، من مفاهيم تناولت أهم معضلات الحياة . إن من يتعمق في ذلك ، يدهشه مدى عمق التفكير الواعى الذى بلغ ذروته علماء الاسلام ، وقد يتضاعف إعجاب الباحث ، بهذا الفيض الزاخر ، من

الجهود العلمية التى شرقت بالحضارة وغربت ، ومألت الدنيا بإشراقها . . . وربما تزداد دهشة الباحث العاقل ، والمفكر الناصح ، ويتعظم تمجيدته لحركة التحول الخطيرة التى أصابت المجتمع العربي ، في تلك الفترة القصيرة . ترى أى سر هذا الذى استطاع أن يحول عرب الصحراء ، وهذه الشعوب المتفرقة . . . إلى أساطين في العلم ، ومشاعل في الحضارة ، ومناورات في الثقافة ؟ وأى قوة رفعت العرب من حال البداوة التى كانوا عليها إلى أبطال وقادة ، يفتتحون أعظم الممالك وأوسعها ، ويجولون في الأرض غير هيايين ولا وجلين . . . ؟ . . . وأى دعوة هذه التى حولت الناس من الجهل والجاهلية والمذاهب الوضعية ، إلى النور الذى يخرج الناس من الظلمات إلى النور . . . ؟ ليس من المعقول في نظر المفكر . . . ولا من المقبول في نظر الباحث . . . ولا من المعروف في نظر الدارس . . . أن يظفر الفكر العربي الذى قيده ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس . . . إلى مثل هذه المرتبة العالية ، دون أن تكون هناك الأسباب القوية التى دفعت به إلى الحياة المتحركة دفعا . . . فما هى تلك الأسباب التى استقى منها الفكر الإسلامى ، مادة حيويته وحركته ؟ وما هى الموارد

التي نهل منها أسباب تكامله . .  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله  
لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » .  
وبهذا قرر الرسول الصادق ، مبدأ  
علميا ، يعتمد عليه المسلمون ، فيما  
يتصل بالكون وما فيه »

وفي حادثة فيضان نهر النيل ، بإقليم  
مصر الإسلامي ، موضوعية علمية ،  
تنبئ عن نظافة الفكر الإسلامي . .  
حيث كان الاعتقاد قبل الفتح الإسلامي ،  
أن النيل لا يفيض بالماء ، إلا إذا ألقيت  
فيه فتاة حسناء ، لتموت فيه غرقا .

فلما حان وقتذاك . كتب الحاكم  
عمرو بن العاص ، والي أمر مصر ،  
إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ،  
في المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة  
الإسلامية ، يخبره بما تعود عليه المصريون  
فأجابه عمر بإرسال رسالة ، يلقيها في  
النيل ، وكان في الرسالة : « من عمر  
أمير المؤمنين إلى النيل إن كنت تجرى  
من عندك فلا حاجة لنا بك ، وإن كنت  
تجرى بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » .

وفي ميدان التطبيق العملي ، نجد أن  
عمر بن الخطاب في خلافته ، قد أمر  
بقطع شجرة الرضوان ، لأن بعض  
الناس قد أسبغ عليها صفات غير  
موضوعية . . هذا وأمثاله مظهر للتفكير

إن المنيع الأول والأصيل الذي استقى  
منه الفكر أسباب تقدمه ونمائه ، هو  
القرآن الكريم ، فهو السر الكامن ، وهو  
القوة المحركة ، وهو الدعوة القائمة  
المستمرة . . وذلك أن القرآن لم يكن  
كتاب دين يحث على العبادة وتوحيد  
الله فحسب ، وإنما كان إلى جانب  
تأكيد وحدانية الله ، وما يتبعها من عقائد  
وعبادات . . منبعاً أصيلاً من منابع  
الحضارة ، ولقد كان أول أثر من  
ثار القرآن في الحضارة الإنسانية ،  
الاهتمام الواسع بالعلم ، وذلك أن العلم  
عنوان التقدم الحضارى . . ولقد كانت  
عناية القرآن بالعلم ، تفوق حد الوصف  
واستطاعت توجيهات القرآن العلمية أن  
تكوّن منهجا علميا سليما ، حدد به  
المسلمون موقفهم من مشاكل الكون  
والحياة .

ومن هنا كان التفكير العلمي في  
الاسلام ، يقوم على الموضوعية ،  
والصدق ، ومن الحوادث البالغة الدالة  
على العقلية الموضوعية ، لدى الفكر  
الإسلامي ، ما حدث مصادفة ، أن  
كسفت الشمس يوم مات ابراهيم بن  
محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .  
فقال قوم إنها كسفت لموت إبراهيم . .

العلمي الموضوعي لدى المسلمين ينبي لكل عاقل أن الإسلام هو الدين الحق والصراط المستقيم .

ولهذا كانت للمسلمين حضارة ، وعلوم ، ومخترعات . . كانت هناك تشريعات وفلسفة ، وقوانين ، وطب ، وفلك ، ورياضيات ، وأدب ، واجتماع وتاريخ وجغرافيا ، وكيمياء ، وآداب للسلوك . . وكان لكل هذه العلوم أساتذة عباقره ، كأئمة الفقه ، وعلماء التفسير ، ورجال الحديث ، الذين خرّجوا المسائل والأحكام الفقهية ، وضبطوا أساليب النقد ، وقعدوا قواعد التشريع . . ويذكر لنا التاريخ عشرات المثات من العلماء في كل فن . . أصبح هناك قادة وحكام لم يعرف التاريخ لهم مثيلا . . وهم لم يدخلوا الكليات الحربية ، ولم يدرسوا في مدارس عسكرية . . ولكن دخلوا شيئا واحدا ، هو كلية القرآن الكريم ، ومدرسة الإسلام الخنيف . . وهناك مدن امتلأت بالعلم والعلماء ، ومعاهد الحضارة ، مثل : القاهرة ، وبغداد ، ودمشق ، وقرطبة ، وغرناطة ، واشبيلية ، وبخارى وغيرها من العواصم التي تزخر بكل ألوان الحضارة . . وكانت هناك دول وممالك ، في الشرق والغرب ، بسطت

نفوذها الإسلامي وعقيدها ، وعبقريتها ، وشرقت وغربت حتى نشرت الفكر الصحيح . . وكل هذا كان بفعل الاتجاهات القرآنية التي غرسها الإسلام ، في قلوب الناس ، والتي أدت إلى تنمية القوى العقلية في الإنسان المسلم ، ففتحت أمامه آفاقا واسعة لا حدود لها . .

واليوم على الغيورين أن يدرسوا حال المسلمين ، الذين ابتلوا بالأفكار المستوردة ، والأحزاب الحمراء المتنمرة . لئرى هل يمكن أن تعود حضارة المسلمين ، وتشرق من جديد ، فتنقذ الإنسانية من بلاء الإلحاد ، وحضارة المادية العفنة . . وقبل أن نقرر إمكانية عودة الحضارة الإسلامية اضع أمام القارئ الحقائق التالية :

أولا : العالم الإسلامي حياه الله بأعظم

النعيم ، اذ يتربع على كنوز ثمينة ويربض على ثروات معدنية هائلة ، ويملك من حقول البترول أجداها نفعا ، وأكثرها سخاء وثراء ، وأقواها تدفقاً وعطاء .

ثانيا : يملك العالم الاسلامى من شواطئ

البحار والأنهار ، والممرات ، والطرق ، البرية ، والبحرية ، والجوية ، ما يجعله في مركز القيادة ، ويمكنه من المساهمة والاشراف والتحرك الفعال .



نردد ، إن عودة المسلمين إلى إقامة حضارة إسلامية ، أمر ممكن ، ولا يحتاج منا إلى أن نجرب أنظمة الأمم ، ولا أن نتمسك بأحزاب بعثها المخربون ، ولا أن نقسم الأمة إلى أنظمة وجبهات ، ولا أن نمزق المجتمع الواحد إلى يمين ووسط ويسار ، واشتراكيين وأحرار .. وإنما يحتاج إلى أمر واحد فقط هو الاسلام . الاسلام سلوكا وعملا ، والاسلام ثقافة وتربية ، والاسلام نظاماً وحياة ، وإن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها . والله الموفق ..

أحمد عبد الرحيم السايح

مصر العربية - القاهرة - مدينة نصر

المنطقة الأولى - ١٤ شارع الرياضة

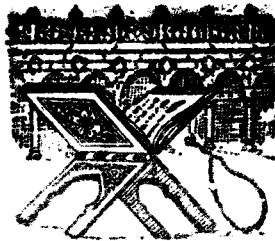
ثالثا : مناطق الثقل في العالم الإسلامي  
بعيدة عن القطبين ، ومصنوعة من الأعاصير ، والطوفانات ، والثلوج ، والمد والجزر ، والبراكين وهذا يتيح لها ما تستطيع به العمل والتقدم ..

رابعا : العالم الإسلامي غني بالمحاصيل الزراعية ، والانتاج الحيواني ، مما يمكن من قيام صناعات متقدمة ومتطورة.

خامسا : يعيش العالم الاسلامي اليوم في يقظة واعية ، وصحوة صحية ، إذا أحسن توجيهها ، أثمرت .

تلك وغيرها أمور تجعل العالم الإسلامي ، قوة ايجابية ، مرهوبة الجانب مهياة لانقاذ الإنسانية من وهدة الضياع ..

ولا شك أن الأمور الخمسة المذكورة مع ما سبق ذكره من مقومات الحضارة الإسلامية ، هي أسباب قيام حضارة كاملة .. ومن هنا نقول في غير



تأملات

## في كتاب (الله أو الدمار)

لفضيلة الشيخ محمد مصطفى المجدوب

بين يدي الساعة كتاب ( الله . . أو الدمار ) من تأليف الاستاذ سعد جدهه  
رئيس الوزارة الأردنية أيام النكبة ، التي زازات العالم الاسلامي عام ١٣٨٧ هـ  
( ١٩٦٧ م ) وقد سبق أن قرأت من تصانيفه كتابيه ( الاوارق وهدركة المصير )  
ثم ( مجتمع الكراهية ) فحفزني اعجابي بهما على تصفح هذا الثالث ، الذي لم  
يفارق سبيلهما في تقصى الوقائع واستشفاف الحقائق بنور الله ، الذي يفيضه  
على القلم النظيف ، فيهبز بما يكتب القاب المفتوح لأشعة الحق .

الجميل فثبعثه بين مختلف المذاهب  
والجوانب . ولو شئت الاشارة الى كل  
ما انطوى عليه هذا الجهد من الحسنات  
لاضطرتت الى الوقوف عند كل واحدة  
من صفحاته المثمين والسبعين ، التي  
حفلت بالقبسات البارعة ، والاستنباطات  
الرائعة ، والتعابير المتألقة الماتعة ،  
وما ذلك بالميسور في المحدود من السطور ،  
فبحسبي اذن أن أوجه نظر القارئ منها  
الى بعض النماذج الدالة على ما وراءها  
من الجمال ، لينهض الى استقصائها

لقد وفق المؤلف في هذا السفر الى  
استجلاء كثير من الاسرار ، التي لا  
يتوافر الحصول عليها الا للصابرين على  
المطالعة والمتابعة والملاحظة ، فهو  
حصيلة عشرات الكتب ، وخلاصة  
لدراسات نفسية على الطبيعة ، تغلغل  
بها الى الاعماق من التيارات التي  
واجهها ويواجهها اثناء وجوده في  
الحكم ، واستشرافه عن كئيب للعوامل  
التي ألقت عناصر المأساة ، ثم ما أعقبها  
من زعازع لا تزال تخض أعصاب

بنفسه فذلك أجدى عليه وأمتع له .  
 في صدر الفصل الخاص بالتبشير  
 والاستعمار مثلاً يقف المؤلف على عمل  
 المستشرقين في تمجيد ما يسمونه (التصوف  
 الاسلامي) لقربه في زعمهم من المفهومات  
 المسيحية ( فهم لذلك يسوغون عقيدة  
 الحلاول والفناء عند الصوفية التي  
 تدعو الى الرهينة والانعزال والهروب  
 من مشاكل الحياة ، وصرف المسلمين  
 عن فكرة الجهاد (١) ومع أن المؤلف  
 لم يطل وقفته هناك ، فقد قدح  
 بها رغبة القارئ في تتبع مجارى هذه  
 المكيذة الاستشراقية ، ليرى مدى  
 نجاحها في استهواء العديد من طلابهم  
 المسلمين ، ودفعهم الى التثبث بهذه  
 الانحرافات ، بعد أن تمكنوا من الاستحواذ  
 على إعجابهم ، فعادوا الى مواطنهم  
 يبثون في قلوب العامة وأشباههم هاتيك  
 السموم ، ويتعهدون تغذيتها بكل ما أوتوا  
 من طاقة ونشاط . .

ويتتبع المؤلف آثار المستشرقين  
 والمبشرين في أوساط البعثات التعليمية  
 ( التي عادت محملة بخمائر المذهبيات  
 الأوروبية.. ) وراحت تحقق أغراضهم في  
 بث الخلافات الايديولوجية التي صدعت  
 الشمل ، ونشرت بذور التشكيك .  
 وضرب على ذلك مثلاً بطه حسين الذي

حمل دعوة هؤلاء الشياطين للانفصال  
 عن الاسلام ، والاندماج في بناء  
 الحضارة الغربية بعُجْرَها وبُجْرَها . .  
 ثم يخص بالذكر الشيخ على عبد الرازق ،  
 الذي يعرضه كعينة لما يمكن لعدوى  
 الاستشراق والتبشير أن تعمله حتى في  
 أفكار بعض علماء الدين . وينقل هنا  
 رأى الدكتور محمد البهى في نقد كتاب  
 هذا الشيخ ( الاسلام وأصول الحكم )  
 ومهاجمته فيما حواه حيث يلخص  
 مضمونه بأنه دعوة صريحة لتهديم  
 النظام الاسلامي بابطال الجهاد ،  
 واعتبار الشخصية الجماعية في الاسلام  
 قد انتهى أمرها بوفاة صاحب  
 الرسالة - كبرت كلمة تخرج من  
 أفواههم ، ان يقولون الا كذبا -

ولقد أحسن المؤلف صنعا حين نقل  
 في امثال هؤلاء ، الذين خرَّبهم المستشرقون  
 والمبشرون ، شهادة ( جان بول سارتر )  
 في مقدمته لكتاب ( معذبو الأرض )  
 المترجم الى العربية وفيها يقول ( شرعت  
 الصنفوة الأوروبية تصطفي فتيانا مراهقين ،  
 ترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادئ  
 الثقافة الأوروبية ، وتحشو أفواههم  
 بشعارات رنانة ، ثم تردهم الى ديارهم  
 وقد زُيِّفوا ، واستحالوا أكاذيب  
 حية (٢) . . ) وانها شهادة دامغة  
 لهؤلاء الناعقين بأبواق الغرب يطوقهم

بعارها واحد من أساطين الهدامين الذين أسهموا في افسادهم . .

ومثل ذلك تصويره للخصائص اليهودية التي جمعت أولئك الشذاذ على اقامة اسرائيل حتى ينتهى بالقارئ الى ذلك المشهد الرهيب حيث احاطت جماهير اليهود بجائط المبكى ، يوم السابع من حزيران لتقيم صلاة النصر ، وهي تهتف بأصواتها المدوية : ليسقط . . اليوم انتهى محمد . . محمد مات وخلف بنات يالآثارات خبير !!!

ثم يردف ذلك العرض الفاجع بهذا التقرير الصادع : ( لم يهتفوا ضد ناصر أو الاتاسى أو عارف أو الحسين ، أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم لأن هدف المؤامرة هو محمد والاسلام . ) وانها والله لكذلك . .

فوا محمداه . . ووا اسلاماه !!!  
وبغد . . فتلك لمحات عجلى من روائع ذلك السفر لا تغنى عن قراءته في تدبر . . وان عنوانه ( الله . . أو الدمار ) لأدل على مضمونه من اى محاولة لتعريفه اذ هو حشد من البراهين الحاسمة ، تلاقي على صياغتها التاريخ والعلم والأحداث ، والدراسات النفسية والاعترافات الصارخة ، على اننا نحن العرب والمسلمين ، بل والبشرية أجمعين

مهددون - بعد الضياع - بالدمار الماحق ، الا ان نعود الى الله ، ونعتمص بجبله الذى لا ينقسم : الاسلام . ولكم كنا نود لو تمت له ميزة السداد ، فسلم من بعض الهفوات التي رأينا التنبيه اليها في هذا التعقيب ، خدمة للكتاب ، وتعاوناً على الخير الذى يهدف اليه الكاتب .

١ - في القسم الخاص بالحديث عن مفاسد المبشرين من مقدمة الكتاب يعرض المؤلف صوراً باهرة عن تسامح الاسلام ، وعن آثار المسلمين في ميادين العلم والحضارة ويستشهد لذلك بكلام من مؤلفات بعض المستشرقين . وهو منهج سليم ومفيد ، الا أن بعض نقوله تكاد تتجاوز الضرورى بل تكاد تؤدي الى غير ما يريد ، وتمثل على ذلك بما نقله عن المستشرق ( اميل درمنجهام ) في ص ٥٨ ، ٥٩ عن موضوع الصلة بين الاسلام والنصرانية ، ومحاولة هذا المستشرق تصوير الصلب الذى يزعمونه للسيد المسيح ، على أنه متفق مع تفسير بعض مفكرى المسلمين - كذا - اذ ينسب لهؤلاء القول بأن المسيح قد صُلب ولكنه لم يمت على الصليب ، بل أنزل عن صليبه قبل أن يلحق روحه بالرفيق الاعلى وهو زعم لا نعرف

له قائلًا في تاريخ الاسلام . اللهم الا ان يكون من المأخوذين بترهات هذا الأفاك . . الغافلين عن حكم الله بأنهم ( ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . ) وقد أجمع علماء القرآن على ان المراد بالتشبيه القاء شبه السيد المسيح ( ع ) على شخص الخائن يهوذا حتى أخذ مكانه ، وهو ما أثبتته برنابا في انجيله المعروف . ومع ذلك فان المؤلف ساعده الله يكتفى بعرض هذه المفتريات دون معارضة ولا مناقشة سوى قوله ( ليس قصدى من ايراد هذه النصوص الخوض في مناقشات دينية أو التسليم بكل ما احتوته . . ) وانما عمد الى ذلك النقل ليشبث مدى رعاية الاسلام للنصارى ، تألفاً لهم وتطميناً لقلوبهم . وقد كثر هذا الضرب من المعاملة هؤلاء المواطنين وبخاصة في هذه الايام ، حتى كدنا نتم بالملق ، دون أن يعود ذلك على قضايانا المصيرية بأى مردود مفيد . وأمامنا الامثلة القاطعة على هذا الاخفاق في لبنان ومصر والفلبين واندونيسية ، وعشرات الاقطار التي أطبقت عليها كوابيس التعصب الصليبي فلم ترع فيها الا ولا ذمة . . وكان الأحرى بنا والأكرم أن نعاملهم

بعدالة الاسلام وصراحته ، فنخاطبهم بما خاطبهم الله ( قل يا أهدل الكتاب . تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ٦٤/٣ ) ونؤكد لهم في تصميم حاسم اننا ملتزمون معهم أبداً بالمبدأ الآلى الخالد ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٨/٦٠ ) فما داموا سالمًا لنا ، مخلصين في معاملتنا ، فلهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، بل لهم فوق ذلك منا حق البر لهم الذى هو زائد على العدالة . . ولعمر الله ان لم يرضهم منا هذا كله فلن يرضيهم اسرافنا في التزلف اليهم بالغاً ما بلغ ذلك الاسراف .

٢- وفي القسم الأخير من الكتاب يتناول المؤلف الفاضل أوضاع المجتمع القائم في ديار الاسلام ، فيعرض للتناقضات الماثلة بين طبقاته وحقائق الوحي ، وفي أسف عميق يتساءل : ( أليس من عجائب دهرنا ومصائب زماننا ان يصبح علماء الاسلام في بعض

البلاد العربية هيئة دينية كالكليروس مهتها اللهات في مواكب الحاكمين والركض في ركابهم ، والانتفاء لتشريعاتهم المخالفة للإسلام ! . . )

وهو في هذه الزفرة اللاذعة انما يعبر عن ضمائر المؤمنين في كل مكان من عالم الاسلام . . غير انه في صدد النقد لبعض هؤلاء العلماء يحدثنا عن واحد من أساتذة كلية الشريعة في بلد عربي سمعه يخطب في احدى المناسبات الدينية فيقول ( ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الإنس وحدهم ، بل الى الانس والجن جميعا . . )

يقول المؤلف : هذا التقرير القطعي الذي لا سند له من قرآن أو سنة . . ومن أجل ذلك عاد إلي كتاب الله يكرر قراءته ، والى الحديث الصحيح يتلوه مجتهدا ، فلم يجد دليلا على أن رسول الله قد اجتمع برهظ من الجن ليلبغهم رسالته . . ثم يأخذ في سرد الآيات المتعلقة بذكر الجن ورسالته صلى الله عليه وسلم ليؤكد لنا ما ذهب اليه من نفى لدعوى ذلك الاستاذ ! .

وانا مع تقديري الكبير لمجهود المؤلف واخلاصه العميق للحق ، اجدي

مضطرا للوقوف بجانب ذلك الاستاذ ، لاني من المؤمنين بشمول رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم للثقلين جميعا . وفي اعتقادي ان الاستاذ المؤلف أيضا لن يتردد طويلا حتى ينضم الى صف المؤمنين بهذه الحقيقة ، بعد الاطلاع على دلائلها القاطعة ان شاء الله .

ولننظر الى الموضوع من زواياه المختلفة ، ففي كلام الاستاذ المؤلف حفظه الله أمور تقتضي التفصيل :

١ - انه ينفي اجتماع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأى رهظ من الجن

٢ - ومن ثم فهو ينفي أن يكون صلى الله عليه وسلم قد بلغ الجن

٣ - يفهم الاستاذ المؤلف من قوله تعالى (يامعشر الجن والانس . ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) . . ان لكل من الفريقين رسلا من جنسه ، فلاإنس رسلهم من الإنس ، وللجن رسلهم من الجن

٤ - ويستشهد لذلك بقوله تعالى في خطاب محمد صلى الله عليه وسلم ( وأرسلناك للناس رسولا . . ) اذ يفهم منه حصر رسالته صلى الله عليه وسلم بالناس دون غيرهم .

وعلى هذا فسنناول كلاً من هذه النقاط على حدة حتى ننتهي الى النتيجة المتوقعة .

ونبدأ بالأول فنقول ما قاله رواة السنة عن ابن عباس وغيره أن النفر الذين ورد ذكرهم في سورتى (الاحقاف) و (الجن) لم يجتمعوا برسول الله بل أوحى اليه خبرهم ، وانما أتاه داعى الجن بعد ذلك ، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل ، كما رواه البيهقى عن ابن مسعود (رض) (٣) وفي رواية البيهقى ايضاً عن ابي هريرة (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال له : أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد ، فدعوت الله تعالى لهم ألا يمروا بروثة ولا عظم الا وجدوه طعاماً ) وقد اخرج البخارى في صحيحه باسناد قريب منه .

وفي مسند الامام احمد عن علقمة عن ابن مسعود (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ( أتاني داعى الجن فقرأت عليهم ) وفيه أنهم سألوه الزاد فقال : ( كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم . . ) وهكذا رواه

مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن اسماعيل بن علي به نحوه (٣) .  
ومن أخبار ابن مسعود (رض) عن اجتماع رسول الله بالجن ما يرويه ابن جرير وغيره من أنه صلى الله عليه وسلم انطلق به ذات ليلة ( حتى اذا كنا بأعلى مكة خطأً لى خطأ ثم أمرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته . . )

والقارئ لتفسير ابن كثير لسورة الاحقاف يواجه العديد من الأحاديث التي ورد فيها هذا الخبر من طرق كثيرة العدد ايضاً . . مما يقطع بان اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن ، وتبليغه أيامهم الدعوة ، قد حصل في مرحلة تالية لاستماعهم منه دون علمه .

هذا الى أن سورة ( الرحمن ) بأسرها تؤكد لهذا الواقع ، الذى يتجلى في خطاب الثقلين ، وأقامة الحججة عليهم جميعاً ، بالآلته التي لا يسع أحداً من الثريقين إنكارها . ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ! ! )

وقد روى البيهقى والترمذى عن جابر بن عبد الله (رض) قوله :

عذاب الله الا باتباع هذا الداعى الجديد ، المصدق لما سبقه من كتب الله ، والمهادى الى الحق والى طريق مستقيم . وهو سياق لا يدع مجالاً لاريب بان هؤلاء كانوا مؤمنين برسالة موسى ( ع ) ثم اقبلوا يكملون ايمانهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك يسقط كل جدل حول هذه القضية . اذ لا يبقى مناص عن الاقرار بشمول الرسالة الخاتمة للثقلين جميعاً ، وبذلك ايضا ينتفى الوهم بخصر رسالته صلى الله عليه وسلم في الناس وحدهم كما فهم الاستاذ من قوله تعالى ( وأرسلناك للناس رسولا ) لان مساق هذا الجزء من الآية التاسعة والسبعين من سورة النساء صريح بأنه تفنيد لمغالطات المنافقين الذين لا يفقهون حقيقة الرسالة ، ويردون كل سوء يصيبهم الى اتباعهم - في الظاهر - لرسول الله ، فجاءت الآية ردّاً على تقولاتهم ، وبيانا لمهمته صلى الله عليه وسلم بأنها التبليغ عن الله ، مع تنزيهه عن كل ما ينسب اليه اولئك الخراصون .

والبحث مع مثل المؤلف لا يقتضى الاسهاب في موضوع الجن ، وجودهم وكونهم مكلفين وملزمين باتباع الرسالات الالهية . فذالك أمر مفروغ منه بحكم

قرأ رسول الله سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : ( مالى أراكم ساكوتا ؟ للجن كانوا احسن منكم ردا . ما قرأت عليهم هذه الآية ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) الا قالوا : ولا بشئ من آلائك أو نعمك ربنا نكذب . فلك الحمد . )

أما قوايه تعالى : ( الم يأتكم رسل منكم . ) فهو كقوله سبحانه ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) . ومعلوم أنهما لا يخرجان الا من أحد البحرين دون الآخر ، وهى من طرائق العرب في اعطاء حكم الواحد للأكثر لعلاقة بينهما ، وانما الآية تقرير ملزم بايصال الرسالة إلى الثقلين دون تحديد الجنسية الرسول من أى الفريقين . لأن هذه الهوية قد حددت في آيات أخر كقوله عز اسمه : ( وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم . . ) ففي ذلك تأكيد قاطع بأن الجن تابعون لرسول الانس ، وليس فيهم رسل من جنسهم وانما فيهم منذرون يبلغونهم رسالات النبيين من بنى آدم . ويستدل العلماء على ذلك من آية ( الأحقاف ) ( ٢٩ - ٣٢ ) حيث نرى المستمعين القرآن من الجن ينطلقون لفورهم الى قومهم منذرين ، فيربطون بين رسالة موسى ورسالة خاتم النبيين ، ويعلمون الأخلص من



الصارم على قولة الحق ، يفاجئنا بهذا الكلام : ( أما الصخب والكذب و . . فهي ليست من صفات من يحمل قلمه كصليب يسوع ! . . ) فلا نتمالك ان نتساءل في اسى : وما شأن الصليب ويسوع في هذا المقام ! . . وكيف سمح لقلمه أن يلتقط مثل هذا التعبير الدخيل المنافي لمعتقده الاسلامى ! . .

وفي ص ١٤٠ يقول ( فكل من يدعو الى القومية ، وينكر وجود الله ، هو حيوان في صورة انسان ! ) وأنا أستميحه عنذرا للدفاع عن حقوق الحيوان، الذى أفرط في اهانتة عندما وضعه على مستوى الملحد المنكر لوجود خالقه . . فكيف ؟ . . وربنا يشهد للحيوان بارتفاعه عن مكانة أولئك المسوخ حين يقول : ( ان هم الا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ٢٥ / ٤٤ ) ويستمر المؤلف في تسفيه هذا الضرب الحقير من شرادم الكفر حتى يقول : ( فهو جاهل غبي مخلوق خطأ . . ) وأحسب الاستاذ يريد بذلك أنه مقلوب العقل مشوه الفطرة ، الا أن التعبير بكونه ( مخلوقا خطأ ) من الأشياء التى كنا نود أن يتنزه عنها مثل ذلك القلم المؤمن . لأن أقل ما يفهم منه نسبة الخطأ الى

ايمانه بالكتاب والسنة ، وانما يكفى لاقناعه بالحق تذكيره بالنصوص الشاهدة له عملا بقوله تعالى : ( انما كان قول المؤمنين اذا دُعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ٥١ / ٢٤ ) وحسب المؤمن في ذلك قول ربه : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ٥١ / ٥٦ ) ولا عبادة الا بشرع ، ولا شرع الا بوحى ، ولا وحى الا برسول . وما اخال الاستاذ حفظه الله بعامد الى الجدال في الاحاديث المتعلقة بالبحث لكونها من الآحاد ، فذلك قول لا يقف امام الحجة البينة من أعمال الصحابة في التبليغ عن رسول الله ، وفي صحيح البخارى باب خاص في اجازة خبر الواحد لا يدع مجالاً للمعترض يريد وجه الله .

٣- وقد بقيت ثمة هفوات صغيرة ، ولكنها على ضآلتها مشوهة لجمال الكتاب رأينا أن نختم الكلام بالاشارة اليها رجاء ان يتداركها في الطبعات التالية فيكمل له الاجر من الله ، والدعاء من عباده ان شاء الله .

ففى ص ١٤ من المقدمة . واثناء تحديده لمهمة المفكر الشريف في اطار الاصرار

الخالق في ايجاد هذا النوع من المخلوقات ومثلهُ أبعد ما يكون عن قبول هذا المضمون ، لأن خلقه تعالى هؤلاء الكفرة كخلق الأفاعي والجرذان ، لا يخلو من حكمة تليق بجلاله سبحانه ، فلو سلمت الحياة من هذه الآفات لقتلت حوافز البحث في الانسان ولما كان ثمة ضرورة لاقامة المخابر والمصانع ، والآلاف من مظاهر المدنيات .

ولنختتم هذه الجولة بوقفة قصيرة حول كلمة صغيرة . ولكنها من حيث آثارها المجربة كبيرة .

لقد عني الاستاذ بالعبارة المشهورة ( اختلاف امتي رحمة ) فأقر نسبتها الى الرسول وجعل يؤكد بها يسر الاسلام ، وتقديره لحرية الفكر والعقل . وما الى ذلك (٤) . ولو هو قد رجع الى ما كتبه المحققون حولها لبحث عن نص آخر من الكتاب أو السنة يدعم به فكرته . ذلك لأن العبارة موضع ( اختلاف ) كثير ، ولم يثبت لها سند متصل عن رسول الله .

يقول السخاوى في ( المقاصد - عن بعض رواتها : جويز هذا ضعيف جدا ، والضحاك عن ابن عباس منقطع . ثم يقول : وعزاه الزركشى الى كتاب

الحجة لنصر المقدسى مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه ، وعزاه العراقي لآدم بن أبي اياس بدون بيان ولفظ : ( اختلاف أصحابي رحمة لأمتي ) وهو مرسل ضعيف (٥) . وفي ( الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ) يعقب السيوطي على العبارة بقوله : هذا يدل على ان المراد اختلافهم في الاحكام . وقيل المراد اختلافهم في الحرف والصنائع . ) وهذا أقرب الى المعقول من تسويغ الاختلاف في كل شئ . لان ذلك مناف لروح الاسلام الذي يحذر المسلمين الاختلاف وحسبنا في ذلك قوله تعالى : ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ٣ / ١٠٥ ) وأى خير يرجى من الاختلاف بعد ان جعله الله في مقابل الرحمة اذ يقول سبحانه ( ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ٨١ - ١١٨ و ١١٩ ) ولعمر الحق لو ان الاستاذ استحضر في ذهنه ما يعلمه من واقع المسلمين وما يعانونه من دواهي الاختلاف ، وما أدى اليه من تفرقهم حتى في العقائد ، لم يأذن ليراعه بأثبات هذه الكلمة ، ولتذكر ان موقف

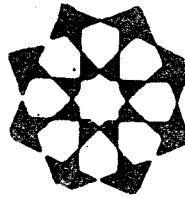
.. فليجزك الله يا سعد عنا كل خير ،  
وليغفر لك هفواتك التي لم ترد بها الا  
الخير . . . »

عاليه - لبنان ١٩ / ٧ / ١٣٩١ هـ  
وأكرر في كتاب اليوم ما قلته في  
كتاب الأمس . . سائلا الله جل وعلا  
ان يهدينا لما اختلف فيه الناس من الحق  
بأذنه ، فانه الهادي من يشاء الى  
صراط مستقيم .

المدينة المنورة ٩ / ١١ / ١٣٩٧ هـ

الاسلام من تقدير الفكر والعقل لا يعود  
الى الاختلاف بل الى التعاون على البر  
والتقوى ، وبذل الوسع في اصابة الحق  
والتزام القول السديد ، حسب توجيهات  
الكتاب المجيد . . ولا بأس بعد ذلك  
في تباين الفهوم ، وتفاوت القُدَر ،  
ففي هذا متسع للمواهب غير محدود .  
وأخيرا . . لقد سبق أن ذيلت آخر  
صفحات ( مجتمع الكراهية ) بالكلمات  
التالية :

« . . في هذه النشرات حقائق ووثائق ،  
ولكن أروع ما فيها هو صدقها وحرارتها



## المقاومة في الشعر الأندلسي

### دراسة تحليلية نقدية

لفضيلة الدكتور عبدالرحمن بيله على

يرى بعض الكتاب أن أوروبا هي أول من عرف أدب المقاومة ، وذلك حين وقعت في قبضة النازية ، فكان الأدب أحد العناصر القتالية التي قاومتها ، وشتت عليها حرباً شعواء، فقد بدأ الأدب يكشف مخازيها وأهدارها لكرامة الإنسان ، فعبأ النفوس واشعل جذوة الحماس ، ودعا للقتال ، ونادى لمقاومتها حتى يتخلص ظلها وتذهب ريحها ، فتسام البشرية من بالغ ضررها وعظيم خطرها

هذه النظرة إن خات من التعصب فهي قطعاً لا تخاو من التصور ، ذلك أن الأدب العربي قد سبق الأوربي إلى ميدان المقاومة ، فهو حتى في جاهليته لم يكن بمعزل عن وجدان الأمة منصرفاً عن احتياجاتها مقصراً في الذود عن قيمها . بل كان فكرها المدبر ولسانها المعبر يحدو مسيرتها ، ويعبئ توأما ، ويثير حماسها خاصة في الأوقات التي تتعرض فيها للهزائم العسكرية والمزات النفسية .

ونحن نعرف أن القبيلة في الجاهلية كانت تقيم الحفلات وتصدق الطبول ابتهاجاً بنوع شاعر ، لأنه سيكون الناشر لأبجدها الدائيد عن حياضها . وكان الشاعر إذا مدح قبيلة رفعها مكاناً علياً رغم دنو منزلتها وحقارة شأنها ، وإذا هجا أخرى حط من قدرها وإن كان ذاهباً في أجواء السماء . ومرجع هذا طبيعة الكلمة العربية ذات الخاصية المتفردة ، فهي إذا ما صيغ منها شعر موزون أو نثر مسجوع فعلت

في النفوس فعل السيف في الأبدان فلا غرو إن شبهوا اللسان بالسيف . قال سويد بن أبي كاهل اليشكري :

ولسانا صيرفيا صارما كحسام السيف ما مس قطع (١)

ولما جاء الإسلام بما خالف عليه العرب في حياتهم الدينية والاجتماعية ، وجد الشعر نفسه أمام معركة لم يلبث أن حدد فيها دوره ، وأخذ مكانه ، وأعلن التزامه ، فكان أحد الأدوات الحربية والوسائل النضالية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض حسان بن ثابت على قول الشعر رداً على المشركين ، وكان يخبره أن شعره أشد عليهم من وقع النبال ، ويدعوه : اللهم أيده بروح القدس (٢) وظل الشعر يواكب مسيرة الأمة في عصورها المختلفة ، يتغنى بنصرها ، ويستعرض مواقف المجد والبطولة في تاريخها ، ويستنهض هممها ، ويحرك مشاعرها وينعى عليها تخاذلها وعودها عن جهاد العدو المتربص بها الطامع في أرضها . . وهكذا مضى هذا التيار الهادر حتى وصل مداه وبلغ زباه في الأندلس .

ونعنى به هنا الشعر الذى أنشئ أيام الحرب الاسلامية المسيحية التى دارت رحاها في جزيرة الأندلس ، وكما عرفنا آنفاً بأن الأدب العربي حتى في جاهليته لم يخل من شعر المقاومة إلا أنه لم يكن بالتوسع والعمق اللذين نجدهما في الأدب الأندلسي، ولعله مما أكسبه ذلك طبيعة الأحداث التي جرت في مملكته ، إذ أن الأمة الإسلامية لم تعرف في تاريخها الطويل نكبة كتلك التي وقعت في أندلسها ، ورغم ما وقع في مشرقها من حروب التتر والمغول والصليبيين إلا أنها استطاعت أن تنتصر على هؤلاء جميعاً ، وأن تخرج من تلك النكبات وهي أقوى عوداً وأمضى عزماً وأشد مراساً بينما لم تستطع ذلك في الأندلس ، فقد تقلص هناك ظلها ، وطويت رايتها ، وافلت شمس وجودها ، فلا عجب إن كان الشعر الأندلسي أكثر بكاءً وأحر ندباً وأشد حرقة وأعلى صوتاً وأعمق أثراً في استنهاض الهمم وتحريك المشاعر حتى شعرهم الرثائي لم يكن خلوياً من المضامين النضالية والصرخات الإنذارية والإشراقات الوطنية ، فقد كانوا طوال فترة الحرب يعبثون بالجهود ، ويشحذون العزائم ، وهم يرتئون المدن الضائعة ويبكون جماها الذاهب ، وقد فطن بعض الكتاب لهذا الملحظ فقال : « . . ولم تسقط مدينة في يد مسيحي الشمال إلا بكوها ، وتفجعوا

١ - الفضليات ، ط ٣ القاهرة ٢٠١٠

٢ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى للبدر العيني ط بيروت ٤/٢١٧

عليها تفجعاً حاراً ، وهو تفجع كانوا يضمونونه استصراخاً للمسلمين في مغارب الأرض ومشارقتها لعلهم يستنقذون تلك المدن من براثن الأسبان ، ويستعيدونها إلى حظيرة الإسلام قبل أن تدك هناك كل صروحه ، وتسقط كل راياته وأعلامه . (١) وقد توسع مدلول المقاومة عندهم فشمل الدعوة إلى الثورة على الملوك الذين خضعوا للملوك النصارى ، واستعانوا بهم على إخوانهم في العقيدة والوطن ، كما شمل محاربة المنكرات الفاشية والمفاسد البادية بحسبانها سبب الضعف والهلاك ، وشمل كذلك الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومقاومة العدو المغير ، كما شمل أيضاً البحث عن قيادة رشيدة تجمع شمل الأمة ، وتمضى بها في عزم وثبات ، ولا ننسى القصيدة المادحة التي مجدت الأبطال ، وتغنت بانتصاراتهم وقد استعانت في نقل التجربة وتكثيف العاطفة بالمعنى الحى والكلمة المؤثرة والصورة المعبرة التي تستلفت النظر ، وتستوقف العجل ، وتستنهف القاعد ، وتجعل المرء يخوض غمار الحرب بصدور حب وجنان جرى وعزم قوى . هذا ، وقد ارتفع صوت هذا الشعر حتى جاوز حدود الأندلس الجغرافية فشرق وغرب مستنجداً مستنهضاً .

ونحب أن نقف عند بعض ضروب المقاومة التي ألمحنا إليها آنفاً ، وذلك على سبيل المثال لا الحصر ، إذ أن تتبع جزئياتها والإلمام بها يحتاج إلى جهد متصل وبحث منفصل قد لا تتسع له مجاة تعالج أكثر من موضوع .

من ذلك ما قاله خلف بن فرج الألبيرى في حكام غرناطة :

ناد الملوك وقل لهم	ماذا الذى أحدثتمو
أسلمتم الاسلام فى	أسر العدا وقعدتمو
وجب القيام عليكمو	إذ بالنصارى قمتمو
لا تنكروا شق العصا	فصا النبي شقتتمو(١)

فالشاعر هنا يعلنها ثورة على هؤلاء الحكام الذين فرطوا في الدفاع عن الإسلام وخذلوه حين أسلموه للأعداء برضوخهم لهم ، فتحلوا عن قيمه ، وقعدوا عن حمايته ، وقد مضوا في هذا الطريق الخطر إلى غاية ، ما بعدها إلا العثور وذلك حين استعانوا بالنصارى بعضهم على بعض في عراكتهم الذى هو في غير معترك ، ومن أجل ذلك وجب مقاومتهم وشق العصا عليهم ، لأن طاعتهم والتسليم لهم

١ - شوقى ضيف ، الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، ط ٦ القاهرة ، ٤٣٤

١ - انظر ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ م ، ١١٣

سيقود حتما إلى نهاية أليمة وعاقبة مخزية وخيدة . والشاعر هنا يبرر الخروج على الملوك بأنهم أحدثوا في الإسلام حدثاً ، وأنهم ساموه للأعداء ، وقعدوا عن نصرته ، وأنهم ما لأوا الكفار وواطؤهم على النيل منه ، وأنهم عصوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهذه كلها براهين يسوقها لتأييد قضيته وتدعيم دعوته ووجاهة فكرته . وقد تناول الشعر المنكرات ، فشدد النكير على مرتكبيها مبيناً مضارها وخطورة انتشارها ، فقال أحد الشعراء عند سقوط طليطلة ، في يد الأسبان عام ٤٧٨ هـ :

وَجاءهم من الله النكير	فإن قلنا العقوبة أدر كتبهم
نجور وكيف يسلم من يجور	فإننا مثلهم وأشد منهم
وفينا الفسق أجمع والفجور	أنأمن أن يحل بنا انتقام
إليه فيسهل الأهر العسير	وأكل للحرام ولا اضطرار
كذلك يفعل الكلب العقور	ولكن جرأة في عقر دار
على العصيان أرخيت الستور (١)	يزول الستر عن قوم إذا ما

إن نكبة طليطلة لم تأت ضربة لازب ، وإنما تقدمتها أسباب مهدت لها ، وسأقت إليها ، من تلك الأسباب ما ذكره الشاعر في أبياته المتقدمة ، وكما هو واضح فإن ما ذكره لم يكن قاصراً على طليطلة منتشراً بين أهلها وحدهم وإنما هو عام في كثير من الأقاليم والمدن ، ولو أن المسلمين هناك وعوا الدرس لعادت نكبة طليطلة ربحاً لبقية مدن الأندلس ، ولكنهم استمرأوا ارتكاب المنكرات من فسق وفجور وأكل للحرام من غير اضطرار ، ومن تجرؤ على حدود الله وارتكاب للمعاصي في السر والعلن ، فلاعجب إن عمت مصيبتهم ونزلت من سماء الأندلس رايبتهم ولا شك أن مقاومة هذه الأمراض الاجتماعية التي تفتك بالأمة أمر تحتمه المحافظة على جسم الأمة صحيحاً وروحها قويا وعزمها صلباً حديداً ، فذلك أدهى لصمودها أمام من عاداها وردّ سهام من رماها .

وكان الشعر يدعو إلى الجهاد ، ويرغب فيه ذاكراً ما أعد للمجاهدين من أجر عظيم ومثيراً الحفاظ بأبلغ ما تستثار به من حماية الدين وتدعيم لأركانه ، وتمهيد لنشره بين الناس . من ذلك ما قاله ابراهيم بن خلف المتوفي سنة ٦٤٩ هـ .

ورداً فمضمون نجاح المصدر  
 يا معشر العرب الذين توارثوا  
 إن الإله قد اشترى أرواحكم  
 أنتم أحق بنصر دين نبيكم  
 أنتم بنيتم ركنه فلتدعموا  
 ولكم عزائم لو ركبتم بعضها  
 الكفر ممتد المطامع والهدى  
 والحيل تضمر في المرابط غيرة  
 كم نكروا من معلمكم دمروا  
 كم أبطلوا سنن النبي وعطاوا  
 أين الحفايظ ما لها لم تنبعث  
 أئمة منكم فارس في كفه

هي عزة الدنيا وفوز المحشر  
 شيم الحمية كابرأ عن كابر  
 بيعوا ويهنيكم وفاء المشتري  
 وبكم تمهد في قديم الأعصر  
 ذاك البناء بكل لدن اسمر  
 أغنتكم عن كل طرف مضم  
 مستمسك بذناب عيش أغبر  
 ألا تجوس حريم رهط الأصفر  
 من معشركم غيروا من مشعر  
 من حلية التوحيد صهوة منبر  
 أين العزائم ما لها لا تنبرى  
 سيفاً ودين محمد لم ينصر (١)

فالشاعر هنا يأمرهم بورود حوض المنايا جهاداً في سبيل الله ضامناً لهم نجاح  
 المصدر فهو : إما نصر وسيادة وإما قتل وشهادة ، ثم يذكرهم بأنهم أهل الحمية  
 الاسلامية والنخوة العربية التي هي إرث موروث لهم أبا عن جد مستنهضاً بذلك  
 ما همد من عزائمهم ومشعلاً ما خمد من رجولتهم ، مذكراً لهم بأنهم قد باعوا  
 أنفسهم وأموالهم لله تعالى مشيراً بذلك إلى قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين  
 أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا  
 في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي  
 بايعتم به . . » الآية (٢)

وهو هنا يشتر من رياض القرآن ، ويعتصر رحيق الآيات ، ليأخذ من جماله  
 زينة لأسلوبه ومن قوته دعماً لمعانيه ، فما دام الأمر كذلك فليس هناك أحد أحق  
 بدعم هذا الدين منكم أنتم الذين بعم انفسكم وأموالكم في سبيله لقاء الجنة ، ثم  
 أنتم الذين شيدتم أركانه ، وأعلتيم بنيانه ، ومهدتم طريق نشره بين العالمين ، ومما  
 يعينكم على ذلك عزائمكم الماضية التي لو ركبتم بعضها لأغنتكم عن الخيول الضامرة ،  
 فلم هذا التقاعس والكفر مرفوع الراية ممتد الرواق مسنود الجانب طمعاً في القضاء



على الإسلام بينما « الهدى مستمسك بذناب عيش أغبر » وهذا التعبير كناية عما يعانیه الإسلام الذى هو دين الهدى من اضطهاد وخذلان وانكسار جناح ، ثم يبالغ في استنارتهم فيقول إن هذا الأمر قد استفز حتى العجماوات ، فها هي الخليل تتحرق شوقاً وتتحرك ضجراً في مرابطها الأتجد سبيلاً إلى ميدان الوغى لمقاتلة الرهط الكفار الذين أبطلوا سنن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وعطلوا المنابر من دعوة التوحيد ونكروا المعالم وغيروا المشاعر ، وقتلوا المسلمين ، لعله بذلك يبعث عزائمهم ، ويثير حفايظهم ، ويدفع إلى الجهاد كتابيهم ، ثم يخاطبهم في لهجة استنكارية ونغمة توبيخية فيقول :

أيهز منكم فارس في كفه سيفاً ودين محمد لم ينصر

ولئن سلكت هذه الكلمة مسلك الشدة في الخطاب والعنف في العتاب فان الكلمة الآتية قد نهجت نهجاً تميز بالهدوء والرفقة إلا أن قسوتها في رقتها، وعنفها في هدوئها، وأعنى بها تلك القصيدة التي أرسلها لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ إلى أهل المغرب في الاستنفار للجهاد وإغاثة الأندلس والتي يقول فيها :

إخواننا لا تنسوا الفضل والعظفا	فقد كاد نور الله بالكفر أن يطفأ
وإذا بلغ الماء الزبا فتداركوا	فقد بسط الدين الحنيف لكم كفا
تحكم في سكان اندلس العدا	فلهفا على الإسلام ما بينهم لهفا
وقد مزجت افواها بدمائها	فان ظمئت لارى الآ الردى صرفا
أنوماً وإغفاء على سنة الكرى	وما نام طرف في حماها ولا أغفا
أحاط بنا الأعداء من كل جانب	فلا وزراً عنهم وحداً ولا لهفا
ثغور غدت مثل الثغور ضواحكا	اقام عليها الكفر يرشفا رشفا (١)

فهو يبدأ قصيدته بكلمة « إخواننا » لإثارة الحمية والعطف في نفوس المخاطبين إدراكاً للإسلام الذى كاد الكفر يطفى نوره وقد بلغ الأمر مبلغه من الشدة والحرع ولم يعد ممكن الاحتمال ، وها هو الدين يبسط لكم كفه مستنجداً بعد أن مد الأعداء أياديهم إلى راياته ، وبسطوا سطوتهم على أهله ، وعاثوا في الأندلس فساداً ، وأذاقوا أهلها ذلاً واضطهاداً ، فمن ظمى منهم لا يجد إلا كأس المنية مشرباً ، فلم

١ - نهاية الاندلس ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ١٩٠

النوم والإغفاء وبلاد الإسلام لم ينم لها طرف ولا غفا لها جفن وها هم الأعداء قد أحاطوا بها من كل جانب ولا معين ولا نصير .  
 وفي البيت الأخير يشير إلى ما عليه ثغور الإسلام من رونق وجمال ، وكأنها بذلك تطمع الأعداء فيها ، وتغريهم بالهجوم عليها ، ولما شبهها بالثغور رشح ذلك أن يقول :

أقام عليها الكفر يرشفها رشفا  
 ثم بين الصلوة التي تجمعهم والحبل الذي يربطهم والعروة التي يعتصمون بها فقال :  
 وسيلتنا الاسلام وهو أخوة  
 من الملاء الأعلى تقربنا زلفى  
 أخوفاً وقد لذنا بجاه من ارتضى  
 وذلاً وقد عدنا بجز من استغنى  
 فهل ناصر مستبصر في يقينه  
 يجير من استعدى ويكفى من استكنى  
 وهل بائع فينا من الله نفسه  
 فلا مشر أولى من الله أو أوفى  
 أفي الله شك بعد ما وضح الهدى  
 وكيف يعيش الكفر فينا ودوننا  
 وكيف نوال كلما سئلوا الندى  
 وكيف لضوء الصبح في الاق أن يخفى  
 غيوث نوال كلما سئلوا الندى  
 قبائل منكم تعجز الحصر والوصفا  
 فقوموا برسم الحق فينا فقد عنى  
 ليوث نزال كلما حضروا الزحفا  
 وهبوا لنصر الدين فينا فقد أشفى (١)

فالاسلام هو الدين الذي يجمع بين المسلمين على اختلاف أجناسهم وتباعد أقطارهم ويجعل منهم إخوة يأسي بعضهم لجراح بعض ، ويسمو بأرواحهم إلى الملاء الأعلى ، ويكون . منهم وبهم قوة تهوى على رأس العدو وتحطمه ، فهم على الله متوكلون وبنصره واثقون ، فلم الخوف وهم أقوياء ، ولم الذل وهم أعزاء ، ولم التهيب وركنهم شديد .

ثم يلتفت فيسأل في لطفة وشوق عن رجل قوى اليقين واثق من نصر ربه ليكون غياثاً لهؤلاء الضعفاء ، فيرد الطمأنينة إلى قلوبهم وسهام الأعداء إلى نحورهم ثم يعتب عليهم بأنهم قبائل لا يحصيها العدد ، ولا يعوزها المدد والكفر ممتد رواقه ظاهر في الأرض عيئه وإفساده ، فليهبوا للجهاد بأموالهم فهم غيوث هائلة ، وبانفسهم فهم ليوث ضارية ، فقد أظلم زمانه ، وحل بينهم إبانة .

ومما يدخل في شعر المقاومة المديح الذي مجد البطولة ، وأثنى على الأبطال ، وألح

المشاعر الوطنية ، وأضرم القلوب والصدور غيرة وحماساً ، ونظر بعين الأمل والرجاء لعله يرى تباشير النصر تلوح من قريب . من ذلك ما قاله أبو جعفر المرقشي من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي صاحب مراکش عندما دخل الأندلس ، وأخذ يسترجع كثيراً مما أخذه النصارى من المدن مطلعها :

أبت غير ماء للنخيل وروداً      وهامت به عذب الحمام وروداً

يقول :

ألا ليت شعري هل يمدلى المدى      فابصر شمل المشركين طريداً  
 وهل بعد يقضى في النصارى بنصرة      تغادرهم للمرهفات حصيدا  
 ويغزو أبو يعقوب في شنت يافث      يعيد عميد الكافرين عميدا  
 ويلقى على إفرنجهم عبء ككل      فيتركهم فوق الصعيد هجودا  
 يغادرهم جرحى وقتلى مبرحاً      ركوعاً على وجه الفلا وسجوداً (١)

فهو هنا يتطلع مشتتراً إلى اليوم الذي يرى فيه شمل الكفار مبدداً ، وقد انتصر عليهم المسلمون بعد أن الحموهم سيوف الحق ، وجرعوههم كتوس الموت ، ومضى أبو يعقوب فغزاهم في عقر دارهم ومكان عبادتهم . . . . في شنت يافث وهي كنيسة عظيمة في ثغور ماردة لما عند النصارى قداسة دينية عظيمة لأسباب ذكرها الحميري في كتابه : صفحة جزيرة الأندلس صفحة ١١٥ ، وهناك القى عليهم بثقله ، ورماهم بجنده ، وأسر عميدهم فغادرهم ما بين قتيل وجريح وساجد على وجه الأرض . وهذا تعبير رائع يعجب بالحركة ، ويرسم صورة حية لما يتمنى أن تنتهي إليه هزيمة الكفار ، فهو أشبه ما يكون بمهندس بارع يرسم خريطة منزل علي صفحة الورقة ثم يطلب من العمال تنفيذها على صفحة الأرض .

وينعى شعر المقاومة على الناس تركهم أوطانهم ونزوحهم إلى غيرها هروباً من المدافعة والتماساً للنجاة ، فيقول أبو المطرف بن عميرة المتوفى سنة ٦٥٨ هـ :

كفى حزناً أنا كأهل محصب      بكل طريق قد نفرنا وننفر  
 وإن كلينا من مشوق وشائق      بنار اغتراب في حشاه تسعر  
 ألا ليت شعري والأمانى ضلة      وقول الآليت شعري تحير

هل النهر عقد للجزيرة مثلما  
وهل للصبأ ذيل عليه يجره  
وتلك المغاني هل عليها طلاوة  
ملاعب أفراس الصبابة والصبأ  
وقبل ذاك النهر كانت معاهد  
عهدنا وهل حصاؤه وهى جوهر  
فيزور عنه موجه المتكسر  
بما راق منها أو بمارق تسحر  
نروح إليها تارة ونبكر  
بها العيش مطول الحميلة اخضر (١)

في هذه الأبيات نجد نهجا جديداً في المقاومة . . نهجا يعتمد على الإقناع المنطقي والروح الإنساني ، ويعدل عن اللهجة الحادة التي نجدها في قصيدة المرقشي السابقة والتي دعا فيها إلى حصد الأعداء وسحقهم واتخاذ بساط من أشلائهم إلى غير ذلك . أما أبو المطرف فقد عدل عن كل ذلك إلى القول الهادى والأسلوب المقتنع حين ذكر أن هذه الأرض ذات الأنهار الجارية والحمايل المخضرة والمغاني الساحرة والهواء النقي هى ملاعب صبانا ومراتع لهونا ومنابت رزقنا ، وهى من أجل ذلك واجب علينا البقاء فيها والدفاع عنها ، وبهذه الجمل الهادئات الهامسات ينجح الشاعر في اقناع هؤلاء الفارين النازحين بالبقاء في ديارهم والعيش على أرضهم ودفع العدو المغير حتى لا تثبت أقدامه فيها ، وتمتد يده إلى ما سواها .

ونحن نعلم أنه عندما سقطت طليطلة في يد الأسبان ظهرت دعوة تنادى إلى شد الرحال والهجرة إلى خارج الأندلس من ذلك ما قاله ابن العسال :

حشوا رحالكم يا أهل أندلس  
السلك ينثر من أطرافه وأرى  
من جاور الشر لا يأمن بوائقه  
فما المقام بها إلا من الغلط  
سلك الجزيرة منشوراً من الوسط  
كيف الحياة مع الحيات في سفت (٢)

وقد تصدى الشعر لهذه الدعوة فحاربها ، وبين سوء عاقبتها وعظيم مخاطرها من ذلك هذه الأبيات الرائية التي استغل الشاعر فيها العاطفة الوطنية وما زال يبدئ فيها ويعيد ، ويعزف على هذا الوتر الحساس تكثيفاً للعاطفة وإثارة للحمية حتى يقنع هؤلاء النازحين بالرجوع إلى ديارهم والبقاء فيها ، فذلك أحفظ لكرامتهم ، وأحمى لحوزتهم .

ومن شعر المقاومة الشعر الذى تطلع إلى قائد ينهض بالأمة من كبوتها ، ويخلصها

من محتتها ، ويدفع عنها وبها كيد عدوها . يقول بعضهم :

ألا رجل له رأى أصيل      به مما نحاذر نستجير  
يكر إذا السيوف تناولته      وأين بنا إذا ولت كروور  
ويطعن بالقتنا الخطار حتى      يقول الرمح ما هذا الخطير  
عظيم أن يكون الناس طراً      بأندلس قتيلاً أو اسير  
اذكر بالقراع الليث حرصاً      على أن يقرع البيض الذكور  
يبادر خرقها قبل اتساع      لخطب منه تنخسف البدور  
يوسع للذي يلقاه صدرأ      إذا ضاقت بما تلقى الصدور (١)

فهو هنا يستشرف إلى رجل عبقرى في تفكيره حازم في رأيه وتدييره قوية عزيمته مشدودة شكيمته ، لا يرام ما وراء ظهره ، صبور في ميدان القتال ، لا يستسلم مهما عظمت الخطوب وكثرت العقبات وأظلمت الدروب بل يقتحمها بفكر نير وعزم قوى وسيف مسلول ذوداً عن حرمان الأمة وحماية لظهرها ، وأنه إذا رأى خرقاً بادر بسده وإذا أبصر خطراً سارع برده توحيداً للكلمة وصوناً لها من الفرقة والانقسام ، ويزين كل هذه الخلال سعة صدر يلقي بها الأمور الخطيرة إذا ضاقت بها الصدور .

إن الناظر في واقع الحكام المسلمين يومذاك يجدهم قد انشغلوا بملذاتهم عن الدفاع عن الاسلام وأهله ودياره ، كما أن المعارك فيما بينهم قد استوعبت جهدهم واستقطبت طاقتهم ، ومن ثم فإن الشاعر قد يئس منهم ، وانصرف عنهم ، واصبح كأنه يصيح في عالم المجهول بحثاً عن قائد زكى التفكير حكيم التدبير تجد فيه الأمة ضالتها المفقودة وأمنيتها المنشودة ، يوحد صفها ، ويجمع كلمتها ، ويتجه بها إلى ميدان المعركة ، ويواجه بها أعداءها صابراً محتسباً ، لا يجد اليأس إلى نفسه سيلاً ، ولا ترى في أعماله من الرياء فتيلاً .

ومما يدخل في هذا الباب الشعر الذى تحدث عما حل بالمساجد من تحويلها إلى كنائس وارتفاع صوت النواقيس بداخلها بدل الأذان وتعطيل الصلوات فيها وتلويتها بعقيدة الشرك وأكل الخنزير وشرب الخمر وما أصاب السكان من تقنيل

وتشريد للرجال وسبي النساء وامتهان لعفتهن، وفي هذا يقول عمرو بن المرباط :

كم من جامع فيها أعيد كنيسة  
القس والناقوس فوق مناره  
اسفى عليها أقفرت صلواتها  
وتعوضت منهم بكل معاند  
كم من أسير عندهم وأسيرة  
كم من عقيلة معشر معقولة  
كم من وليد بينهم قدوداً من  
كم من تقي في السلاسل موثق  
وشهيد معترك توزعه الردى  
ضجت ملائكة السماء لحالمهم  
ثم يقول :

أكذا يعيث الروم في إخوانكم  
يا حسرة لحمية الاسلام قد  
وسيوفكم للثأر لم تتقلد  
خمدت وكانت قبل ذات توقد

فشعر كهذا مثير للحفاظ محرك للمشاعر ، فقد استعمل فيه الشاعر القلم والريشة فجاءت صورته واضحة المعالم تستلقت النظر ، وتستوقف العجل ثم يبالغ في استثارة المشاعر الدينية والعواطف الإنسانية ، فيذكر ما حل بالمساجد التي حولت إلى كنائس والمآذن التي تعطل الأذان فيها ، وارتفع من فوقها صوت الناقوس والمحاريب التي خلعت من الركع السجود ، وعمرت بكل معاند متكبر لا ينطق بشهادة التوحيد .

وقد كان للنصارى تقاليد معينة في تحويل المساجد إلى كنائس ، فما إن يفتحوا بلداً ، وتم لهم السيطرة عليه حتى ينتظموا في موكب فخم يتقدمه الكهنة وفرسان الجماعات الدينية ، ويتجهوا صوب المسجد ، وهم ينشدون أناشيد الحمد والثناء ثم يتم تحويله إلى كنيسة ، ويرفع فوق ساريتها علم النصر . (١)

ومن ابشع ما ارتكبه النصارى انتهاك الحرمات وامتهان الكرامة الإنسانية والاعتداء على عفة النساء ، فكم من أسير وأسيرة امتهنت كرامتها ، ولم يجدا إلى الفداء

١ - يوسف اشباح ، تاريخ الاندلس ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ٤٣٣

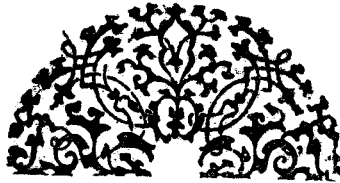
سبيلا ، وكم من امرأة مصونة اعتدى على عفتها حتى تمت لو أنها في قبر ، وكم من طفل حيل بينه وبين والديه حتى تمنيا أنه لم يولد ، وكم من تقي عابد كبل بالسلاسل ، وكم من شهيد قطعه السيوف أربا أربا . . إنها حال بلغت من القسوة النهاية ، وتجاوزت في سوئها الغاية حتى لقد ضج أهل المملأ الأعلى وانفطر منها قلب الجليلد ، واهتز لها وقار الحليم ، ولا شك أن ذلك من أبلغ ما يستثار به غيور ، أو تستنهض به همة ، او يدعى به إلى نجدة .

وقد استعان الشاعر في تعبيره للوصول الى هدفه باثارة العواطف الدينية والاسرية وبالإلحاح على صور المأساة وأوضاعها مما كثف آثارها فجعلها تسيطر على نفوسنا ، وتهيمن على حسنا ، وتنفخ في جمرة الحمية .

وقد استغل الشاعر ما وصلت إليه النفوس من حماس وغليان فقال :

أكذا يعيث الروم في إخوانكم      وسيوفكم للثأر لم تتقلد  
يا حسرة لحمية الإسلام قد      خمدت وكانت قبل ذات توقد

ولكن هذه الصيحات ذهبت جميعها أدراج الرياح ، ونفذ أمر الله ، وخرج المسلمون من الأندلس بعد ثمانية القرون التي كانت حجر الزاوية في بناء الحضارة الأوربية الحديثة . . خرجوا وقد تركوا تراثاً ثقافياً ضخماً على صفحات الكتب وآثاراً عمرانية رائعة على صفحة الأرض تشاهد الآن وكأنها نوادب تبكى قوماً رحلوا ، وتتطلع في لطفة إلى عودتهم .



## مَتَى يُفِيقُ الْغَافِلُونَ!

شهر فضيلة الشيخ محمد المجذوب

الجامعة الإسلامية

فَدَتِ بِفَضْلِ الْجَهْلِ جَمْرَهُ

عَلَى التَّوْفِيقِ وَالمُضَرَّةِ

رِيحَ مَالِئَاتٍ كُلِّ تَعْرَهُ

حَ وَكُلِّ زَاوِيَةٍ وَخُفْرَهُ

تِ وَخَذُكُمْ) عَنْ كُلِّ فِكْرَهُ

تِ عَنِ العِبَادَةِ وَالمُبْرَّه

نَ مِنَ الزَّخَارِفِ كُلِّ صُرَّهُ

أَحْدَاثِ فِي حُرْقٍ وَحَسْرَهُ

رَ الحَقِيَّ الضَّخْمِ سِتْرَهُ

نَ تُصِبُّ فِي سَرْفٍ وَشِرَّهُ

لِكِي يُحَقِّقَ مَا أُسْرَهُ

جَارٍ مِنْ جَدْوَاهِ قِشْرَهُ

عَ وَمَا لِهَمِّ لِهَوَاهِ سُحْرَهُ

مَنْ عُسْرِهِمْ لِلْغُرْبِ يُسْرَهُ

كَانَتْ هَدَايَا الْحَجِّ تَمْرَهُ

تَلَفًا لِمَالِ الْمُسْلِمِينَ

أَنَّ التَّفَتُّ تَرَالِبَهَا

الدَّرَبِ وَالأَرْضِ البِرَا

وَالكُلِّ مَشْعُولٍ بِرَهَا

فَتِنُوا بِتِلْكَ المَفْرِيَا

وَتَدَافِعُوا بِتَابَطُو

وَأُولُو النُّهْيِ مِنْ هَذِهِ الِ

كَشَفُوا بِحِكْمَتِهِمْ عَنِ الْمَسِ

فَإِذَا كُنُوزُ الْمُسْلِمِينَ

تَشْرَى بِهَا سَلْعُ العَدُو

كُلِّ اللِّبَابِ لَهُ وَتَلَّتْ

فَجُهُودُ هَاتِيكَ الْجُمُ

وَعَلَيْهِمْ وَأَنْ يَصْنَعُوا



وَبِحَسَبِهِمْ أَنْ يَنْظُرُوا  
فَكَأَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ  
وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
وَلَسَّتْخَلْ أَمْوَالُهُمْ  
فِيهَا يَدُكَ وَجُودَهُمْ  
وَلَوْ نَهَّمْ فَطِنُوا لَمَّا  
وَلَقَاطِطُوا أَسْوَاقَهُ  
وَإِذْ نَلَعَادُوا مِنْ وَفَا  
وَلَحَقَّ فِيهِمْ أَنْ يُقَا  
وَالْحُجَّ زَادَ مِنْ تَقَى الد  
فَمَتَى يُفِيقُ الْعَافِلُو  
فَلَقَدْ يَلَامُ الْحَبِثُ مَدَّ

مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بَيْضَ قَطْرَةٍ  
نَ سَوَى الَّذِي هُوَ قَدِ أَقْرَهُ  
يَوْمًا جَرَأْتُهُ وَكُفْرَهُ  
بِيَدِيهِ أَسْلِحَةٌ وَقَدْرَهُ  
وَبِهَا يُعَدُّ لِكُلِّ غَدْرِهِ  
أَمْنُوا عَلَى الْإَيَّامِ مَكْرَهُ  
حَتَّى يُطَاطِئُوا وَهُوَ مَكْرَهُ  
رَتِيهِمْ بِمَنْفَرَةٍ وَعَبْرَهُ  
لِ : لِيَهْنِكُمْ حَجَّ وَعَمْرَهُ  
حَمْنٌ لَا زَهْوُ وَشَهْرَهُ  
نَ وَتَنْقِضُ الْمَخْمُورُ سَكْرَهُ  
وَأَخْوَالُ الْعِبَاوَةِ الْفَمَنْ



# صيغة فعْلان واستعمالها

## في اللغة العربية



لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد الماس  
الاستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

المتبع لصيغة ( فعْلان ) بفتح الأول وسكون الثاني ، أو بضم الأول أو كسره في اللغة العربية يجد أنها من الصيغ العملية التي يدور استعمالها في كثير من أبواب النحو والصرف وقد آثرت البحث في هذه الصيغة كي أجمع حبات العقد المنفرط هنا وهناك وما يستتبع الأحكام الخاصة بما ورد على هذا الوزن تبعاً لنوعية استعماله عند العرب فأقول وبالله التوفيق .

صيغة ( فعْلان ) ( ١ ) الملحوظ فيها أنها ختمت بألف ونون زائدتين ، وهذه الزيادة مطردة في كل صفة مؤنثها على وزن ( فعْلَى ) لأن الصفات تشبه الأفعال والفعل أقعد في باب الزيادة وإذا وجدنا بعض الأعلام وأسماء الأجناس على صيغة ( فعْلان ) فهي بالحمل على الصفات فابن يعيش يقول في شرح المفصل ( ٢ ) ( فالاول وقوعها ( أى النون ) آخرها بعد ألف زائدة نحو سكران وعطشان ومروان وقحطان وأصل هذه النون أن تلحق الصفات مما مؤنثه ( فعلى ) لأن الصفات بالزيادة أولى لشبهها بالأفعال والأفعال أقعد في باب الزيادة من الأسماء لتصرفها ، والأعلام من نحو : مروان وقحطان محمولة عليها في ذلك وقد كثرت الزيادة آخرها على هذا

١ - وزيادة الألف والنون آخر الاسم ودلالاتها على النسب تعد من الظواهر التي تشارك فيها بعض اللغات الشرقية والغربية .

٢ - شرح المفصل ح ٩ ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

الحد ولا يحمل شئً منه على الأصل إلا بدليل . (١)

صيغة فعلان ومعانيها :

وردت صيغة ( فعَعلان ) متعددة المعاني والدلالة وهما أنواعها :

١ - فعَعلان المصدر :

قال في اللسان قال أبو الهيثم لم يجي من المصادر على فعلان ( بفتح فسكون ) الا « لَيَّان » وقال ابن الحاجب (٢) : وأما فعلان فنادر نحو لوى لَيَّانا (٣) وقد ذكره أبو زيد بكسر اللام ، وجاء أيضا شتآن وقرى في التنزيل بهما . وجاء في القاموس (٤) الزيدان بمعنى الزيادة فتكون فعلان جاءت مصدرا نادرا في ثلاثة معان . . . .  
قال ذو الرمة :

تُطَيِّبَن لَيَّانِي وَأَنْتِ مَلِيئَةٌ وَأُحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ التَّقَاضِيَا

وقال زيادة العنبري : (٥)

قد كنت داينت بها حسَّانًا مخافة الإفلاس والليَّانًا  
وأصل لَيَّان لَوَّيان اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء الخ فهو قليل في المصادر وكثير في الصفات .

- ١ - ومن الملحوظ أننا نشاهد استعمال هذا الوزن كثيرا في اللهجة الداريجة فقالوا فلان بخلان ، بردان ، بقران ، بهتان ، جربان ، جعدان ، حلمان ، خدران ، زعلان ، زهقان ، زوران ، سرحان ، طرشان ، شرقان ، صفقان ، عميان ، نجعان ، كحيان ، عمشان ، مردان ، شقيان ٥٠ الخ .
- ٢ - انظر الشافية ج ١ ص ١٥٩ وشرح الفصل ج ٦ ص ٤٥ .
- ٣ - تقول : نواه دينه ، ولواه دينه اذا مطله .
- ٤ - انظر القاموس مادة (الزيد) .
- ٥ - البيت لزيادة العنبري ونسبوه في كتاب سيبويه ج ١ ص ٩٧ الى الروبة بن العجاج

## ٢ - فَعْلَانُ الْعِلْمِ (١)

وردت صيغة فَعْلَانُ علما للإنسان وغيره نحو : بلران ، سعدان ، ومروان ، ورغدان ( اسم قصر بالأردن ) وشعبان علم على الشهر المعروف كما وردت اسماً للجنس مثل سعدان نبت من أفضل المراعى كما يقول القاموس ومنه قولهم في المثل : ( مرعى ولا كالسعدان ) وقد اتفق العلم واسم الجنس .

## ٣ - فعلان الصفة :

تستعمل صيغة فعلان صفة مشبهة من الفعل اللازم المكسور العين قياسا بشرط أن يدل على الامتلاء كسكران وريان (٢) والشعب كشعبان والحلو مثل غرثان (للجائع) وصديان وحرارة البطن كغضبان وثكلان وحران قال عروة بن حزام :  
لَسْنُ كَانَ بَرْدُ الْمَاءِ حَرَّانَ صَادِيَا إِلَى حَبِيْبَا إِنَّهَا لِحَبِيْبُ  
والمؤنث لَفَعْلَانُ يكون صفة ممنوعة من التاء بأن يكون المؤنث على فَعْلَى مثل جوعان ، وسكران وهذا هو المطرُودُ الغالب وقد يخرج عن هذا الاصل وعده علماء اللغة شاذاً كقولهم نعس (٣) بالفتح فهو نعسان ومثله جوعان من جاع وقد يكون صفة لا تمتنع من التاء مثل سفيان للطويل ومؤنثه سفيانة وقد حصر ابن مالك الألفاظ التي مؤنثها بالتاء ومذكرها على صيغة فَعْلَانُ وهي كما نظمها في كتابه الفرائد في قوله :-

١ - كثير من الاوصاف قد استعمله اسلافنا اعلاما ومنه ما يستعمل حتى الان مثل حسان بن ثابت شاعر النبي وحمدان ( بنو حمدان ) ومنهم سيف النولة الحمداني وحيسان ومنهم ابوحيان التوحيدى البغدادي ، وابو حيان الاندلسي النحوي وسحبان الخطيب المشهور يضرب المثل بفصاحته ، شعبان وشهران ، وعدنان عفان ، غسان غيلان ( اسم الشاعر ذو الرمة ) قحطان وكهلان وهمدان ( قبائل عربية ) وردان ( مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه ) يقظان ( حى بن يقظان ) ومن الكنايات عن مجهول النسب ( هبان بن بيان ) .  
\* كذلك صفوان وصفا لمن ينقها له رياء في قوله تعالى ( كمثل صفوان عليه تراب ) .  
فصفوان في الاصل حجر وقد يستعمل علما مثل خالد بن صفوان .

٢ - قال سيبويه ج ٢ ص ٢٢١ : ( وقالوا قحح نفاغان وجمجمة نصفى ، وقحح قربان وجمجمة قربى اذا قارب الامتلاء جعلوا ذلك بمنزلة اللآن ، لان ذلك معناه معنى الامتلاء لان النصف قد امتلأ والقربان ممتلىء ايضا الى حيث بلغ ولم نسمعهم قالوا : قرب ولا نصف اکتفوا بقارب وناصف ولكنهم جاءوا به كأنهم يقولون قرب ونصف كما قالوا مذكر ولم يقولوا : مذكر ولا مذكر انتهى كلام سيبويه .  
٣ - انظر القاموس مادة ( نعس )

كل ما جاء على (فَعْلَان) فمؤنثه على (فَعَلَى) غير اثني عشر اسما فإنها جاءت على (فعلانة) ثم نظمها فقال : —

أَجَزَ فَعَلَى لَفَعْلَانَا	إذا استنيت حَبْلَانَا
وَدَخْنَانَا وَسَخْنَانَا	وَسَفْيَانَا وَضَحْيَانَا
وَصَوْجَانَا وَعَلَانَا	وَقَشْوَانَا وَمَصَّانَا
وَمُوتَانَا وَنَدْمَانَا	وَأَتْبَعْنِ نَصْرَانَا

انظر المزهرة للسيوطي ج ٢ ص ١١٣

- ١- ( الحبلان ) الرجل الكبير البطن قال في القاموس حبل من الشراب والماء فهو حبلان وهي حبلى ومن الغضب وهو حبلان وهي حبلانة .
  - ٢- ( الدخنان ) يوم دخنان كثير الدخان .
  - ٣- ( يوم سخنان ) كثير السخونة .
  - ٤- ( سفيان ) الرجل الطويل المشوق الضامر انظر القاموس .
  - ٥- ( ضحيان ) يوم ضحيان ضاحى قال في القاموس رجل ضحيان يأكل في الضحى ، ويوم ضحيان : لاغيم فيه
  - ٦- ( الصوجان ) من الابل والدواب الشديد الصلب .
- قال في القاموس : الصوجان كل يابس والصلب من الدواب والناس ونخلة صوجانة يابسة كزة السعف ، وأى صوجان ؟ هو أى الناس ؟
- ٧- ( غلان ) الرجل الكثير النسيان وقال في القاموس :  
الغَلَّكَل محركة وكأمير العطش أو شدته أو حرارة الجوف وقد غُلَّ بالضم فهو غليل ومغلول ومغتل ومعبر غل ( وغلان ) ( وغلَّ يَغْلُ ) بفتحهما الحقد كالغِلِّ بالكسر ، وقد غلَّ صدرى يَغْلُ ( من باب ضرب يضرب ) من حرارة الحب والحزن ، والعلَّان ( بالعين ) الصغبر الحقير كما في المرجع ج ١ ص ٩٦ .
  - ٨- ( القشوان ) القليل اللحم وفي القاموس : القشوان الدقيق الضعيف وهي بهاء .
  - ٩- ( المصان ) اللثيم .
  - ١٠- ( الموتان ) الضعيف الفؤاد قال في القاموس : رجل موتان الفؤاد بليد .
  - ١١- ( ندمان ) النديم : ندم فهو ندمان أى نادم ، ونادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامي والمرأة ندمانه والنسوة ندامي أيضا .

١٢ - (نصران) نصراني والجمع نصارى والنصرانة واحدة النصارى قد استدرک عليه لفظان وهما خَمَصَان لغة في خُمَصَان بضم الخاء وأليان في كبش أليان أى كبير الالية فذيل الشارح المرادى أبياته بقوله

وزد فيهن خمصانا على لغة وأليانا

ومما يجدر ملاحظته أن النحاة يمثلون (لفعلان) الذى مؤنثه على (فعلى) بعطشان وغضبان وسكران مع أن كتب اللغة كالقاموس تذكر للثلاثة مؤنثا محتوما بالتاء ومؤنثا آخر ليس محتوما بها ومَرْدٌ ذلك أن كتب اللغة تذكر ذلك تبعا للغة بنى أسد التى تلحق التاء في مؤنث فعلان اطرادا مثل سكران ونظائرها قال ابن جنى في المحتسب (١) :

يقال رجل سكران وأمرأة سكرى كغضبان وغضبي ، وقد قال بعضهم (يعنى لغة بنى أسد) سكرانة كما قال بعضهم غضبانية (والأول أقوى وأفصح) انتهى .

ونظرا لكثرة ما ورد من ذلك أخذ المجمع اللغوى القاهرى بلغة بنى أسد في جواز إلحاق تاء التأنيث بكلمة سكرانة ونظائرها وفيما يلي نص القرار كما قدمته اللجنة المختصة (٢) ووافق عليه المجمع وأخذ به نهائيا (أن تأنيث (فعلان) بالتاء لغة كما في بنى أسد (كما في الصحاح) - أو لغة بنى أسد (كما في المخصص) (٣) وقياس هذه اللغة صرفها في النكرة (كما في المفصل\* ) .

والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء خيرا (كما في قول ابن حنى) لذا يجوز أن يقال : عطشانة وغضبانة وأشباهاها ومن ثم يصرف (فعلان) وصفا ويجمع (فعلان) ومؤنثه (فعلانة) جمع تصحيح ولعلك تدرك الآن أن الجمهور من النحاة يأخذ بما اطرد عن جمهور العرب وهو أن فعلان مؤنثه الغالب المطرد على (فعلى) وورد من غير الغالب الاسماء التى ذكرتها تبعا لابن مالك في منظومته .

فعلان وصف للمذكر ولا مؤنث له :

وقد تكون صيغة (فعلان) دالة على المذكر الذى لا مؤنث له في الواقع لا على (فعلى) ولا على (فعلانة) مثل : (رحمان) علم على الله جل شأنه ، و (لحيان) لكثير اللحية

١ - انظر المحتسب ج ٢ ص ٧٢

٢ - انظر المجلد الشامل للمحاضرات والبحاث ص ٨٣ ، ٩١ التى ألقىت في مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين المنعقد ببغداد سنة ١٩٦٥

٣ - المخصص لابن سيدة شرح المفصل لابن يعيش ج ١ ص ٦٦

## جمع فعلان

(فَعْلَان) المذكر الذى مؤنثه على ( فعلى ) لا يجمع جمع التصحيح وإنما يجمع جمع التكسير وذلك لأنه وصف غير جار على فعله وذلك أن الصفات على ضربين أحدهما ما كان جاريا على الفعل كضارب وضاربة وثانيهما ما ليس جاريا على الفعل كأحمر وحمراء ، وسكران وسكرى فما كان من الأول فإنه يجمع جمع السلامة أى بالواو والنون في جمع المذكر السالم وبالألف والتاء في جمع المؤنث السالم تقول : قائمون وقائمات وضاربون وضاربات وذلك لأنه لما جرى على الفعل شبه بلفظ الفعل الذى يتصل به ضمير الجمع للمذكر والمؤنث لان الفعل يسلم ويتغير بما يتصل به فقولك ضاربون مثل يضربون وضاربات بمنزلة يضربن .

وما كان (١) من الثاني وهو غير الجارى على الفعل فلا يجمع جمع السلامة مثل (فَعْلَان ومؤنثه فعلى) (وأفعل ومؤنثه فعلاء) إلا في ضرورة الشعر مثل قول حكيم الأعور يهجو امرأة الكميث بن زيد باهل وكان مولعا بهجاء مضر ؛ لأنه من بنى كلاب .

فما وَجَدْتُ بناتُ بنى نزارٍ حَلَّائِلَ أَحْمَرِينَ وَأَسْوَدِينَ

ولا يجوز هذا الا ابن كيسان فيقول لا أرى بأسا به ولكن مذهب الجمهور يمنعه ويجعله ضرورة لا يصح لنا ارتكابها ولذلك لا يجمع (فعالن : فعلى) جمع السلامة فان سميت بشئ من ذلك جاز أن تجمعه جمع السلامة لأنه اسم . . . وقال الرضى في شرح (٢) الكافية مفصلاً هذا الحكم :

« وأما الخاص من شروط الجمع بالواو والنون فشيئان : العلمية وقبول تاء التأنيث أما العلمية فمختصة بالأسماء وأما قبول التاء فمختص بالصفات فلم يجمع هذا الجمع (أفعل فعلاء) (وفعالن فعلى) وما يستوى مذكره ومؤنثه كما ذكرنا في باب التذكير والتأنيث ، وإنما اعتبر في الصفات قبول التاء لان الغالب في الصفات أن يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء لتأديتها معنى الفعل ، والفعل يفرق بينهما فيه بالتاء ، نحو الرجل قام ، والمرأة قامت وكذا في المضارع التاء وان كان في

١ - انظر شرح المفصل لابن يعيش ج ٥ ص ٦٠ .

٢ - انظر شرح الكافية ج ٢ ص ١٨٢ طبعة بيروت .

الاول نحو : تقوم والغالب في الأسماء الجوامد أن يفرق بين مذكرها ومؤنثها بوضع صيغة مخصوصة لكل منها ( كبير وأتان ) وجمل وناقاة ( وحصان وحجر ) (١) ويستوى مذكرها ومؤنثها كبشر وفرس هذا هو الغالب في الموضوعين وقد جاء العكس أيضا في كليهما نحو احمر وحمراء والأفضل والفضلى وسكران وسكرى في الصفات وكامرى وامرأة ورجل ورجلة في الاسماء فكل صفة لا يلحقها التاء فكأنها من قبيل الاسماء ، فلذا لم يجمع هذا الجمع ( افعل فعلاء ) ( وفعلان فعلى ) وأجاز ابن كيسان أحمر و سكران و اسندل بقوله :

فما وجدتُ بناتُ بني نزارٍ      حلائلُ أسودينِ وأحمرينا

وهو عند غيره شاذ وأيضاً حمراوات وسكريات بناء على تصحيح جمع المذكر والاصل ممنوع فكذا الفرع وأجاز سيويه قياسا لا سماعا ندمانون في قولهم :

ندمان لقبوله التاء كندمانة وكذا سيفانون لقولهم : سيفانة قال سيويه : لا يقولون ذلك وذلك لأن الأغلب في ( فعَلمان ) الصفة ان لا يلحقه التاء فندمانة وسيفانة كأنهما من قبيل الشذوذ فالأولى ان لا يجمع هذا الجمع حملا على الأعم الأغلب انتهى .

ومن هذه النصوص يتبين أن ( فعَلمان ) الذى مؤنثه على فعَلى لا يجمع جمع التصحيح وانما يجمع جمع التكسير (٢) وقد جمع ( فعلان ) تكسيرا على صيغ كثيرة منها :

### ١ - ( فعَعال ) (٣)

شاع فعَعال ( بكسر الفاء ) في وصف على فعَعلان ومؤنثيه فعَلى وفعلانة تقول :

غضبان وغضباب ، وغضبي وغضباب وندمان وندام ، وغرثان (٤) وغرثا ،

١ - هي بالاصل حجر بكسر العاء

٢ - انظر الشافية ج ٢ ص ١٧٤

٣ - قال ابن مالك في الالفية حيث يتحدث عن الاسماء والصفات التى تجمع على فعال : وشاع فى وصف على فعلانا وانثية او على فعلانا وانظر شرح الاشمونى ج ٤ ص ٩٨ والشافية ج ٣ ص ١٧٣ .

انظر سيويه ج ٢ ص ٢١٢

٤ - غرث جمع غرثان كعطشان وهو الجرعان وتقول غرث الرجل يغرث كفرح يفرح فهو غرث وغرثان وامرأة غرثى وغرثان والجمع غرثى كجرحى ، وغرثى كسكارى ، وغرث كعطاش . قال الشاعر : غرث الوشح صافية البرين اى دقيقة الخمر لا يملأ وشاحها فكانه غرثان والبرين كل حلقة من سوار وقرط وهذا كناية عن كونها مينة .



## ٢- ( فعلى ) وجمع فعّلان على ( فعّلى ) تقول :

وجياع جمع جوعان إلا أنه لا يطرد فيه وجعله ابن مالك في التسهيل مطردا فيه .  
رجل سكران ورجال سكرى (١) ، ورجل روبان (٢) وقوم روبي قال بشر :  
فأما تميم تميم بن مر فآلفاهم القوم روبي نياما  
قال الرضى (٣) : ( ولا يبعد أن يكون سكرى وروبي ) في مثل هذا الموضع  
مفردا مؤنثا ( لفعلان ) وذلك لان مؤنث فعلان الصفة من باب فعل يفعل قيامه  
( فعلى ) وصفة المفرد المؤنث تصلح للجمع المؤنث .

## ٣- ( فعّالى ) وجمع ( فعّلان ) (٤) على فعّالى تقول :

سكران وسكارى . وغضبان وغضابي ومثلهما سكرى وغضبي وتقول : شاة  
حرمى أى مشتبهة للنكاح وشياه حرامى . وانما جمع فعّلان كسكران على فعّالى  
تشبيها للألف والنون بالألف الممدودة فسكران وسكارى كصحراء وصحارى .  
وجاء الضم في جمع بعض فعّلان الذى مؤنثه فعلى خاصة وهو في كسالى وسكارى  
أرجح من الفتح ، وانما ضم في جمع فعّلان خاصة لكون تكسيره على أقصى الجموع  
خلاف الأصل ؛ وذلك لانه إنما كسر عليه لمشابهة الألف والنون فيه لألف التأنيث  
فغير أول الجمع غير القياسى عما كان ينبغى أن يكون عليه لينبه من أول الامر  
على أنه مخالف للقياس وأوجب الضم في قدامى جمع قادمة وأسارى جمع أسير  
والزام الضم فيهما دلالة على شدة مخالفتهما لما كان ينبغى أن يكسرا عليه .  
وفي المفصل أن بعض العرب يقول : كسالى وسكارى وعجالى ، وغيارى  
كل هذا يضم أوله .

١ - وبه قرأ حمزة والكسائى (وترى الناس سكرى وما هم بسكرى) مع الامالة

وانظر الاشمونى ج ٤ ص ٩٧ .

٢ - قال فى اللسان : راب الرجل روبا تجر وفترت نفسه من شبع اونعاس ، وقيل سكر من النوم وقيل  
اذا قام من النوم خائر البين والنفس، ورجل رائب واروب وروبان والانى رابئة عن اللحيانى لم يزد على من قوم روبي  
اذا كانوا كذلك وقال سيبويه : هم الذين اتخضهم السفر والوجع فاستلقوا نوما وهو فى الجمع شبيه بهلكى  
وسكرى ، واحدهم روبان وقال الاصمعى : واحدهم رائب مثل مائق وموقى وهالك وهلكى .

انظر سيبويه ج ٢ ص ٢١٤

٣ - انظر الشافية ج ٢ ص ١٤٠ والاشمونى ج ٤ ص ٩٧

٤ - انظر سيبويه ج ٢ ص ٢١٢، والاشمونى ج ٤ ص ١٠٥

والشافية ج ٢ ص ١٦٧ ، ص ١٧٤

## ( جمع عُريَان )

ومما تجدر ملاحظته أن بعض الناس يتعمون في أخطاء شائعة فيشيع على الألسنة جمع عريان على عرايا وهذا الجمع للعريان غير صحيح وإنما العرايا جمع ( العرية ) وهى النخلة يمنحها الغنى الفقير ليستمتع بشمرها .

فأما عريان فيجمع في التصحيح إذا كان | للعتلاء | على عريانون وفي التكسير يجمع على عراة وقد جاء الخطأ في جمع | عريان | على عرايا من قبل شبهه بخزيان وندمان وهما يجمعان على خزايا وندامى .

واني أقدم اليك نصا لسيبويه قال في الكتاب ج ٢ ص ٢١٢ ( وان شئت قلت في عريان عريانون فصار بمنزلة قولك : ظريفون وظريفات ، لان الهاء ألحقت ببناء التذكير حين اردت بناء التأنيث فلم يغيروا ولم يقولوا في عريان : عراء ، ولا عرايا ، استغنوا بعراة لأنهم مما يستغنون بالشئ عن الشئ حتى لا يدخلوه في كلامهم » وقوله ( لم يقولوا : عراء ) أى كما قالوا خُصمان وخِصاص فكان هذا سائغا لهم في القياس أن يقولوا : ( عراء ) ولكنهم اطرحوه استغناء عنه بعراة ، وقوله ( ولا عرايا ) أى كما قالوا : خزيان وخزايا وسكران وسكارى ، لان عريان ليس من باب خزيان ) .

وقد بان من كلام سيبويه أن عراة ليس في القياس | جمعا لعريان وانما هو قام مقام جمعه وهو عراء كخصاص ، وذلك أن عراة جمع لعار كقضاه جمع لقاض غير أنه لما كان عريان في معنى عار جعل عراة جمعا لعريان في الاستعمال واستغنى به عن عراء وهذا كما استغنوا بكماة في جمع كمى عن ( اكمااء ) لما كان ( كمى ) في معنى كام ( وفي اللسان ) والكمى الشجاع المتكى في سلاحه لانه كمى نفسه أى سترها بالدرع والبيضة ، والجمع كماة كأنهم جمعوا كاميا مثل قاضيا وقضاة .

**جمع فعلان اسم الجنس والعلم :**

٤ - ( فعالين ) وقد جمع ( فعالان ) على فعالين بشرط أن يكون اسما تقول في شيطان شياطين لأنه من شاط يشيط اذا بطل وهلك قال الاعشى : -  
قد تحضَّبُ العيرُ من مَكْنُون (٢) فائِله وقد يَشِيطُ على أرماحنا البطلُ

١ - انظر الاشعورنى ج ٤ ص ١٠٥ والثافية ج ٢ ص ١٦٧ ، ص ١٧٤  
٢ - مكنون فائله : الدم

## فِعْلَانٌ بِكسرِ الفاءِ وضمِّها :

ويشارك ( فِعْلَانٌ بالفتح ما كان مكسور الفاء أو مضمومها تقول : سِرْحَانٌ وسراحين وسُلْطَانٌ وسلْطَانٌ قال في المفصَّل (١) : اعلم أن ما كان من الاسماء على وزن فَعْلَانٌ فانه يكسر على فعالين ولا فرق في ذلك بين المفتوح الاول والمضمومة والمكسورة .

وقال الرضى (٢) : ( كل اسم على فِعْلَانٌ مثلث الفاء ساكن العين كان أو متحركة كَوْرشَانٌ والسَّبْعَانٌ والظَّرَبَانٌ يجمع على فعالين الا أن يكون علما مرتجلا كسلمان ، وعثمان وعفان ، وحمدان وغطفان وذلك لان التفسير في المرتجل مستغرب بخلافه في المنقول إذ له عهد بالتكسير ولا سيما اذا كان في المرتجل ما ينبغي أن يحافظ عليه من الألف والنون لشبهه بألف التأنيث .

## ( فعْلَانٌ ) الممنوع من الصرف

١ - صيغة ( فَعْلَانٌ ) اذا كانت صفة فانها تمنع من الصرف وذلك بشرطين أن تكون وصفية أصلية ( غير طارئة ) وأن يكون تأنيثه بغير التاء وذلك صادق على نوعين أحدهما أن يكون تأنيثه الشائع عند العرب بألف التأنيث المقصورة ، والثاني أن يكون خاصا بالمذكر فلا مؤنث له كالحيان ، ورحمان ومثال الأول عطشان وغضبان وسكران ، صديان فأشهر مؤنثاتها على ( فعلى ) فان كان الغالب المسموع على مؤنثه وجود تاء التأنيث في آخره لم يمنع من الصرف تقول : نظرت الى سيفان بالجر بالكسرة ، وكذلك لا يمنع من الصرف اذا كانت الوصفية طارئة غير أصلية مثل كلمة صفوان والتي معناها الحجر قد تستعمل استعمال الصفات فتقول : لا حبذا رجل صفوان قلبه فكلمة صفوان هنا لا تمنع من الصرف ، واذا كان من الصنمو فتقول يوم صاف وصفوان أى بارد وبلا غيم فحينئذ يمنع من الصرف فهى في الأول عارضة الوصفية فصرفت بخلافه في الثاني .

١ - انظر شرح المفصل لابن يعسرج ٥ ص ٦٤

٢ - انظر شرح المفصل لشافية ج ٢ ص ١٧٢

٣ - انظر ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٣٥ ، ٣٦

٢- وصيغة ( فعلان ) اذا كانت علما (١) فإنها تمنع من الصرف كذلك للعلمية وزيادة الالف والنون سواء كان علما على الإنسان أم علما على غيره نحو بدران ، قحطان ، عدنان ، شعبان .  
ويشارك ( فعلان ) بالفتح والسكون ما كان بغيره كرمضان ، غطفان (٢) ، عمران وعثمان .

فإن كان الألف والنون صالحين للزيادة والأصالة جاز في الاسم الصرف وعدمه بهذين الاعتبارين نحو (حسان) علما على شخص فيجوز ان يكون مشتقا من الحسن بمعنى الشعور فيمنع من الصرف لان الحرفين زائدان ، وان كان مشتقا من الحسن وهو الجمال فلا يمنع من الصرف لأن وزنه حينئذ فعّال لا ( فعلان ) ومثله ( غسان ) قد يكون من الغس بمعنى الدخول في البلاد فيمنع من الصرف وقد يكون من الغسن بمعنى المضغ فلا يمنع لان وزنه ( فعال ) وكذلك عفان من العفة والعفن وحيان من الحين وهو الهلاك ومن الحياة .

وكذلك قبان من قبن في الارض اذا ذهب فيها وعلى هذا يصرف لان النون فيه اصلية ووزنه ( فعال ) ويجوز ان يكون من القب وهو شدة الحصومة ، وقب بطنه اى قطع وحينئذ يمنع من الصرف لأن وزنه ( فعلان ) .

يقول ابن يعيش (٣) وأما الالف والنون المضارعتان لالفي التأنيث (٤) فهى من لاسباب المانعة من الصرف من حيث كانتا زائدتين والزائد فرع على المزيد عليه وهما مع ذلك مضارعتان لالفي التأنيث نحو حمراء وصحراء ، والالف في حمراء وصحراء يمنع الصرف فكذلك ما اشبهه وذلك نحو عطشان وسكران وغرثان وغضبان واعتباره ان يكون ( فعلان ) ومؤنثه ( فعلى ) نحو قولك : في المذكر عطشان وفي المؤنث عطشى وسكران ، وفي المؤنث سكرى وغرثان وفي المؤنث

١ - قال ابن مالك :

كذلك حاوى زائدى فعلانا كغطفان وكاصبهانا

وفى اصبهان لغات كثيرة : منها كسر الهمزة ، ومنها ابدال بانها فاء ولا تكون الالف والنون زائدتين الا على اعتبار ان اصل الكلمة عربى اما على الراى القائل انها اعجمية وهو الصواب فلا تمنع للعلمية مع الزيادة وانما تمنع للعلمية والعجمة

٢ - الفظف : اتساع النعمة .

٣ - انظر شرح المفصل ج ١ ص ٦٦ ، شرح الكافية ج ١ ص ٦٠

٤ - فالسبب فى منع ( فعلان ) من الصرف فيه خلاف اما لانه ينتهى بزيادة تشبه الف التأنيث وهذا عند سيبويه ، والمبرد يقول امتنع فعلان من الصرف لكون النون بعد الالف مبدلة من الف التأنيث ، والكوفيون يقولون امتنع ( فعلان ) لكون النون بعد الالف زائدتين لا يقبلان الهاء .  
انظر شرح الاشمونى ج ٣ مبحث المنوع من الصرف للزيادة .

غرثي لا تقول : سكرانة ولا عطشانة ولا غرثانة في اللغة الفصحى ، وانما قلنا :  
 فعلان ومؤنثه فعلى ( احترازا من فعلان آخر لا فعلى له في الصفات قالوا رجل  
 سيفان للطويل المشوق ، وقالوا امرأة سيفانة ولم يقولوا ( سيفى ) ووجه المضارعة  
 بين الألف والنون في سكران وبابه وبين الفى التأنيث في حمراء وقصباء انهما زيدتا  
 معا كما انهما في حمراء كذلك وأن الاول من الزائدتين في كل منهما ألف ، وأن  
 صيغة المذكر مخالفة لصيغة المؤنث وأن الآخر من كل واحد منهما يمتنع من إلحاق  
 التاء للتأنيث ، ثم يقول : اما الاعلام نحو : مروان وعدنان ، وغيلان فهى اسماء  
 لا تنصرف للتعريف وزيادة الألف والنون واعلم ان هذه الالف والنون في هذه  
 الاعلام وما كان نحوها محمولات على باب عطشان وسكران لقرب ما بينهما الا  
 ترى انهما زائدتان كزيادتهما وأنه لا يدخل عليها تاء التأنيث لا نقول : مروانة  
 ولا عدنانة لان العلمية تحظر الزيادة كما تحظر النقص وليس المانع من الصرف كونه  
 على فعلان بفتح وسكون ) ألا ترى ان عثمان وزبيان وشعبان حكمها حكم عدنان  
 وغيلان ) انتهى .

وقال الرضى (١) : اعلم أن الألف والنون إنما تؤثران لمشابهتهما ألف التأنيث  
 الممدودة من جهة امتناع دخول تاء التأنيث عليهما معا وبفوات هذه الجهة يسقط  
 الألف والنون عن التأثير . .

ثم انهم بعد اتفاهم على ان تأثير الالف والنون لاجل مشابهة ألف التأنيث  
 اختلفوا ، وقال الأكثرون تحتاج الى سبب آخر ولا تقوم بنفسها مقام سببين كالألف  
 لنقصان المشبه عن المشبه به [ وذلك الاخر إما العلمية ( كعمران ) وإما الصفة كما  
 في ( سكران ) .

وذهب بعضهم إلى أنها كالألف غير محتاجة إلى سبب آخر فالعلمية عندهم في  
 نحو ( عمران ) ليست سببا بل شرط الالف والنون ، اذ بها يمتنع عن زيادة التاء  
 وهذا الانتفاء هو شرطها سواء كانت مع العلمية أو الوصف والوصف عندهم في  
 نحو ( سكران ) لا سبب ولا شرط ، والاول أولى لضعفها فلا تقوم مقام علتين .

١ انظر شرح الكافية ج ١ ص ٦٠ وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٣٥ ، ٣٦

## هل المؤثر انتفاء التاء أم وجود فعلى ؟

الرأى السائد أن المزيد بالالف والنون انما يمنع من الصرف بشرط الا يكون مؤنثه بالتاء ، فانتفاء التاء هو الشرط الضرورى للمنع من الصرف .  
وقرل بعضهم إن الشرط هو أن يكون مؤنثه على فعلى أى يكون مؤنثه على غير لفظه ، قال ابن الحاجب في الكافية عارضا هذين الرأىين ( أو صفة فانتقاء فعلانة وقيل وجود فعلى ومن ثم اختلاف في رحمان دون سكران وندمان ) قال الرضى معقبا عليه : وقوله : ( وقيل وجود فعلى ) والاول أولى لان وجود ( فعلى ) ليس مقصوداً لذاته بل المطلوب منه انتفاء التاء ، لأن كل ما يجيئ منه ( فعلى ) لا يجيئ منه فعلانة في لغتهم الا عند بعض بنى أسد فانهم يقولون في كل فعلاان جاء منه فعلى : ( فعلانة ) أيضا نحو : غضبان وسكران فيصرفون إذن ( فعلاان فعلى ) وهذا دليل قوى على أن المعتبر في تأثير الالف والنون انتفاء التاء لا وجود فعلى ، ثم يدل على قوله ببعض الالفاظ التي لا يكون مؤنثها على - ( فعلى ) ومع هذا فهي ممنوعة من الصرف .

يقول الرضى : فاذا كان المقصود من وجود ( فعلى ) انتفاء التاء وقد حصل هذا المقصود في ( رحمان ) لا بواسطة وجود ( رحمى ) بل لانهم خصصوا هذه اللفظة بالبارئ تعالى فلم يطلقوه على غيره ولم يضعوا منه مؤنثا لا من لفظه أعنى بالتاء ولا من غير لفظه أعنى ( فعلى ) فيجب أن يكون غير منصرف .  
فان قلت لا نسلم أن وجود ( فعلى ) مطلوب ليطلق به الى انتفاء فعلاانه بل هو مقصود بذاته لانه يحصله بوجودها مشابة بين الالف والنون وبين ألف التانيث لكون مؤنث هذا على غير لفظه كما أن مذكر ذلك على غير لفظه قلت هذا الوجه وان كان يحصل به بينهما مشابة الا أنه ليس وجهها للمشابة ضروريا بحيث لا يؤثر الألف والنون بدونه بل الوجه الضرورى كما ذكرنا في التأثير انتفاء فعلاانه الا ترى الى عدم انصراف مروان وعثمان بمجرد انتفاء التاء من دون - وجود ( فعلى ) انتهى كلام الرضى .

ويقول الامام بدر (١) الدين محمد الزركشى في التنبيه الثالث في معرض - الحديث عن لفظه ( رحمان ) : أنه | لو جرد عن الالف واللام لم يصرف لزيادة

١ - انظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٥٠٩ التنبيه الثالث .

الألف والنون في آخره مع العامية أو الصفة .

وأورد الزمخشري (١) بأنه لا يمنع (فعلان) صفة من الصرف الا اذا كان مؤنثه على (فعلى) كغضباط وغضبي وما لم يكن مؤنثة على (فعلى) ينصرف كندمان وندمانه وتبعه (٢) ابن عساكر بأن رحمن ، وان لم يكن له مؤنث على فعلى فليس له مؤنث على فعلاثة لأنه اسم مختص بالله تعالى فلا مؤنث له من لفظه . فاذا عدم ذلك رجع فيه إلى القياس وكل ألف ونون زائدتين فهما محمولتان على منع الصرف . قال الجوينى وهذا فيه ضعف في الظاهر وان كان حسنا في الحقيقة لانه اذا لم يشبه غضبان ولم يشبه ندمان من جهة التأنيث فلماذا ترك صرفه مع أن الأصل الصرف كان ينبغي أن يقال ليس هو كغضبان فلا يكون غير منصرف ولا يصح أن يقال هو كندمان فلا يكون منصرفا لان الصرف ليس بالشبه انما هو بالأصل وعدم الصرف بالشبه ولم يوجد لعل تقدير ابن عساكر السابق يؤيد إنكار ابن مالك على ابن الحاجب تمثيلا ب « رحمن » .

لزيادة الألف والنون مع منع الصرف وقال لم يمثل به غيره ولا ينبغي التمثيل به فانه اسم علم بالغلبة لله مختص به وما كان كذلك لم يجرى من (أل) (٣) ولم يسمع مجردا من (أل) الا في النداء قليلا مثل (يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة) . وقد أنكر الزمخشري (٤) على شاعر اليمامة قوله :

سموت بالمجدِ بابنِ الأكرمين أبَا  
وأنتَ غيثُ الوَرَى لا زلتَ رَحْمَانَا

١ - انظر الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦

٢ - انظر التكميل والافهام لابن عساكر

٣ - والذي يدل على أن العرب كانت تعرف هذا الاسم قوله تعالى : قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايما توعوا فله الاسماء الحسنى وقوله : الملك يومئذ الحق للرحمن وقوله : واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فجهلوا الصفة دون - الموصوف ولذلك لم يقولوا ومن الرحمن .

انظر البرهان ج ٢ ص ٥٠٣ ويقول ابو حيان في البحر المحيط ج ١ ص ١٧ الرحمن فعلان من الرحمة واصل بنانه من اللازم من المبالغة وشذ من المتعد ( وال ) فيه للغلبة كهي في الصق فهو وصف لم يستعمل في غير الله كما لم يستعمل اسمه في غيره وسمنا مناقبة قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ووصف غير الله به من تمتن الملحدين ، واذا قلت الله رحمانا ففي صرفه قولان يسند احدهما الى اصل عام وهو ان اصل الاسم الصرف ، والاخر الى خاص وهو ان اصل (فعلان) المنع لغلبته فيه . ومن غريب ما قيل فيه انه اعجمى بالخاء المعجمة فعرب بالخاء قاله ثعلب وذهب الا علم وابن الطراوة وغيرهم الى انه اسم علم مشتق من المتعدى كما اشتقوا الدبران من دبر صيغ للعلمية ويبدل على علميته وروده غير تابع لاسم قبله في أكثر الكلام فعلى قول هؤلاء يكون الرحمن بدلا من اسم الله .

٤ - مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ج ١ ص ٥

وأجاب ابن مالك بأن الشاعر اراد (لا زلت ذا رحمة) ولم يرد الاسم المستعمل بالغلبة وحينئذ يستعملونه مضافا ومنكرا وقد أنكر على الشاطبي قوله في أول أرجوزته المعروفة في القراءات والمسماة حرز الأماني ووجه التهاني .

بدأت بيسم الله في النظم أولا تبارك رحمانا رحيفا وموثلا  
لانه اراد الاسم المستعمل بالغلبة وكان ينبغي عليه ان يعرفه بالألف واللام ،  
ولما كان الرحمن علما لا صفة كما يقول :

الأعلم وابن مالك وصف بقوله في البسملة (الرحمن الرحيم) وليس الرحيم مرادفا للرحمن (١) فالرحمن كالعلم لا يوصف به الا الله تعالى فلهذا قدم ، لان حكم الاعلام وغيرها من المعارف ان يبدأ بها ثم يتبع الأنكر أى الأقل في الصفة وما كان من التعريف أنقص .

وهذا مذهب سيبويه وغيره من النحويين فجاء هذا على منهاج كلام العرب ومثل (رحمان) ، (لحيان) (٢) لكبير اللحية وفيه الخلاف المذكور والصحيح منع صرفه ايضا ، لانه وان لم يكن له (فعلى) وجودا فله (فَعَلَى) تقديرا لانا لو فرضنا له مؤنثا لكان (فعلى) أولى به من (فَعَلَانَةٌ) لان باب فَعَلَانٌ فَعَلَى أوسع من باب فعلان فعلانة فالأولى أن يحمل على أوسع البابين انتشارا عند العرب ، والتقدير في حكم الوجود بدليل الاجماع على منع أكرم (٣) وآدر (٤) مع أنه لا مؤنث له ولو فرض له مؤنث لامكن ان يكون كمؤنث أرمل وان يكون كمؤنث أحمر لكن حملة على احمر اولى لكثرة نظائره .

ويقول ابو حيان الصحيح فيه الصرف لانا جهلنا النقل فيه عن العرب والاصل في الاسم الصرف فوجب العمل به فهذه المسألة مما تعارض فيها الأصل والغالب .

### (للحديث بقية)

١ - قال الامام محمد عبده في تفسيره لمودة الفاتحة وقد ميز بين صيغتي الرحمن الرحيم فعنده ان الرحمن من الافعال الرحيمة فهي صيغة مبالغة ، والرحيم من طبيعته الرحمة فالرحيم كسائر ما نسميه في الصرف صيغة مشبهة تدل على الطبيعة اللازمة له احبها .

٢ - انظر شرح الاشموني ج ٣ ص ١٧٤ ، وما لا ينصرف للسزجاج ص ٢٥ ٣٦

٣ - الأكرم وصف على الفعل لا مؤنث له يقال لكبير الحشقة .

٤ - الأدر وصف على الفعل لا مؤنث له يقال لكبير الخصيتين

انظر البحر المحيط ج ١ ص ٧



## تسعة أغلاط في خبر صغير

قال مؤلفو المنجد في تعريف ابي سفيان بن حرب (رض) :  
أبو سفيان تاجر عادى النبي وحاربه في بدر واحد وقاد جناحاً من الجيش  
الكبير الذى زحف لحصار المدينة في وقعة مؤتة سنة ٦٢٧ ثم اعتزل الحرب  
وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة . كان في وقعة اليرموك توفي نحو ٦٥٢ .



### التعقيب

- ١- هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموى القرشى .
- ٢- ابو سفيان لم يشهد بدرأ بل مضى بالقافلة الى مكة .
- ٣- خلط مؤتة بالمدينة وإنما قاد الجناح في معركة الخندق .
- ٤- لم يشهد مؤتة قط .
- ٥- وكانت وقعة مؤتة سنة ثمان للهجرة وتقابل سنة ٦٢٩ م لا ٦٢٧ كما زعم المنجد .
- ٦- لم يحضر صلح الحديبية وكان سهيل بن عمرو هو مندوب قريش اليها .
- ٧- صلح الحديبية لم يسفر عن تسليم مكة وإنما تم فتحها بعد ذلك .
- ٨- لم يسلم ابو سفيان مكة بل منج بعض التكريم من قبل رسول الله تألفاً له .
- ٩- يحدد المنجد وفاته بعام ٦٥٢ وإنما هو عام ٦٥٥ الموافق لعام ٣٤ للهجرة .



# الإسراء في فلسطين ودولة اليهود

لفضيلة الشيخ أسعد بيوض التميمي - مدير المسجد الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسراء وعلاقته بقضية المسلمين في الأرض المباركة

اشتد الصراع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكفار من قريش حيث خافت قريش على ما يوفره الكفر لها من امتيازات طبقية ودينية ، وامتيازات اقتصادية واخذ الصراع بين الحق والباطل يتصاعد بين الدين الحديد وما يمثله من خير للانسان وما يعطيه للبشرية من حياة كريمة يعبد فيها الانسان ربه الذي خلقه ويسجد لبارئته الذي اوجده فلا يسجد لبشر ، ولا ينحني امام حجر او شجر . ولا يعبد فلكا ولا مظهرا من مظاهر الكون وانما يستمد العزة لنفسه من عبادة الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

ولا حرام ، وانما كل امر مباح من قتل نفس او ظلم انسان أو اكل مال حرام ، او استعباد نفس واذلال للخلق فلا عجب ان ظهرت الطبقة العرقية الممثلة في السادة والعبيد والاشراف والسوقة والطبقة الاقتصادية الممثلة في تجارة الربا وأكل اموال الناس بالباطل ،

اشتد الصراع بينه وبين الشرك وما يمثله من انحطاط في الفكر الانساني والسلوك البشري الذي يظهر في السجود لحاكم أو رجل دين او حجر أو شجر أو فلك. ذلك الانحطاط الذي ينتج عنه ان الغرائز في الانسان تتحكم في مسيرته لا مقياس عنده يقيس به الامور ولا حلال

واستغلال حاجة الآخرين للائراء غير المشروع والطبقية الدينية بحيث يصبح الدين وفهمه احتكارا على طبقة معينة وناس مخصوصين يستغلون جهل الناس ويطلبون منهم أن يعبدوهم ويطلبون منهم تقديم النذور والقرايين لهم ولما يمثلون .

واخذ الكفر يقاتل عن واقعه بشراسة حتى اضطر المسلمون الى الهجرة مرتين فرارا بدينهم وحرصا على عقيدتهم ، وحتى يأذن الله بالفرج .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة يقارع قومه الحجة ، يبين باطل ما هم فيه وما عليه حياتهم ، ولكنهم اصابهم الكبر ولحق بهم العناد وكان الله قد هيا له زوجة سالحة تعنى بامرته وتدعمه بما لها ، وتحفف عنه قسوة عناد قومه ، وجهل عشيرته ، وهيا له كذلك عمه ابا طالب يحميه ، ويمنعهم من قتله واغتياله ، وان لم يمنع عنه ما دون القتل والاغتيال من الاذى وهم مع هذا يحسبون حساب عمه من حين ايذائه حتى ان بعضهم يطرح عليه سلا جزور وهو يصلى .

ثم ان خديجة رضى الله عنها ، و ابا طالب هلكا في عام واحد قبل هجرته

بثلاث سنين فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما وذلك ان قريشا وصلوا في اذاه بعد موت ابي طالب الى مالم يكونوا يصلون اليه في حياته منه حتى نثروا التراب على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فدخل الرسول بيته والتراب على رأسه فقامت اليه احدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكى ورسول الله يقول لها يا بنية لا تبكى فان الله مانع اباك .

ولما استعصت قريش ، وصمت اذانها ، واغلقت قلوبها وعقولها ، اتجه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف فلما وصلها عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم ثلاثة اخوة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير وحبيب بن عمرو بن عمير ، فردوه ردا غير جميل فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله قد ارسلك ، وقال الآخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك ، وقال الثالث والله لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي ان اكلمك .

فقام رسول الله من عندهم وقد  
 ينس من خير ثقيف ، وقد قال لهم  
 فيما ذكره شيخ المؤرخين المسلمين  
 الطبري وانا اروى عنه : اذا فعلتم  
 ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه  
 عنه فيذترهم ذلك عليه فلم يفعلوا  
 واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسونه  
 ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس  
 والجأوه الى بستان لعتبة بن ربيعة وشيبة  
 بن ربيعة ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف  
 من كان يتبعه فلما اطمان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم اخذ يناجي ربه  
 مناجاة الصابر المحتسب يطلب منه  
 المدد والعون حيث قومه لا  
 يستجيبون للنور ولا يلتقون على الخير ،  
 والطائف كانت اسوأ من مكة ، وأقصى  
 من قریش ، فاخذ يقول كما يروى  
 الطبري « اللهم اني اشكو اليك ضعف  
 قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس  
 يا ارحم الراحمين ، انت رب المستضعفين  
 وانت ربي الى من تكلمني الى بعيد يتجهمني  
 ام الى عدو ملكته امرى ان لم يكن  
 بك على غضب فلا ابالي ولكن عافيتك  
 هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك  
 الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح  
 عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل

بي غضبك ، او يجل على سخطك لك  
 العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة  
 إلا بك »

في هذا الجو القاتم الشرس كان الله  
 بنبيه رؤوفا رحيفا ، وكانت حادثة  
 الاسراء من مكة الى القدس ، وكان  
 المعراج من ارض المسجد الاقصى الى  
 السموات العلا الى سدرة المنتهى عندها  
 جنة المأوى ، وكان في الاسراء  
 اكثر من معنى ، واثره لا يزال على  
 مر الايام وكر السنين يفعل .

يكرم الله نبيه على صبره ويجازيه  
 الجزاء الاوفي على تحمله فيستدعيه اليه  
 ويقربه منه ، ويرفعه الى درجة لم يصلها  
 احد من خلقه حتى ولا الملائكة المقربون .  
 ويقدم له ارض الشام ، ارض فلسطين  
 ارض القدس ، المسجد الاقصى هدية  
 ايمان وجائزة رضوان فيفتح النبي ارض  
 الشام ، ومنها ارض فلسطين فتحا  
 ماديا بجسده الشريف ، ويعلن الله  
 للعالمين في ذلك الحين وللدنيا في هذا  
 الحين وللدنيا في كل حين ان المسجد  
 الاقصى اصبح مسجدا للمسلمين ،  
 فيصلى فيه النبي الصلاة الاسلامية الاولى  
 اماما للانبياء المرسلين حيث احياهم  
 الله له ويصلى الصلاة الثانية بعده عمر

وابو عبيدة ، وكبار الصحابة والجنود المؤمنون يوم ان دخل عمر القدس ، واستلمها من بطريكها صفرونيوس واعطاه العهدة العمرية التي تنص فيما نصت عليه ان لا يسكن ايليا (القدس) احد من اللصوص واليهود وذلك أن كبار اصحاب رسول الله كانوا على علم منه لا يعلمه بقية الناس ، وهذا النص في الوثيقة يدل على مبلغ فهم عمر لخطر اليهود على هذه الارض .

ويذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه القرآن الكريم هذا الخبر العظيم فيقول في سورة الاسراء « سبحانه الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا انه هو السميع البصير »

وسورة الاسراء تتحدث عن المسجد الاقصى واسراء النبي اليه وتقرر ان هذا المسجد الذي بنى بعد البيت الحرام باربعين سنة كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي ذر قال : ( سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة ثم الارض لك مسجد فحيثما ادركتك الصلاة فصل ) فعاد للمسجد بالاسراء قدسيته

وظهره حيث كان المسجد خرابا يبابا لا يصلى فيه احد الى ان جاء النبي صلى الله عليه وسلم فتقررت مسجديته في القرآن واستلمه عمر فكان ينظفه هو واصحابه من الكناسة وظهره واصبح من يومها منارة علم ودار ايمان ومحجة زوار ومحراب صلاة .

اذن سورة الاسراء تتحدث عن علاقة المسلمين بالمسجد الاقصى وان المسجد للمسلمين حيث اسرى بنيهم اليه، وتقرر بركة ارض الشام او ارض فلسطين ، وتبدأ بعد ذلك في الحديث عن الفساد والعلو لليهود والتدمير الذي سيلحق بهم ، وانهم سينازعون المسلمين ارض الاسراء والمسجد الاقصى .

وهنا لا بد ان نقرر ان علماء التفسير اختلفوا اختلافا كبيرا في ( العلون ) والافسادين اللذين اشارت اليهما الآية وهي قوله تعالى ( وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلنن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ) فقال قوم هم اهل بابل ، وكان عليهم

بختنصر قاله ابن عباس رضى الله

يوم القيامة : ( واذا تأذن ربك ليعيثن  
عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء  
العذاب ) الاعراف آية ١٦٧  
اذن لا غرابة ان يكون افساد اليهود  
وعلوهم ثم تدميرهم اكثر من مرة  
قبل الاسلام ولا غرابة ان يكون  
كذلك علو وفساد بعد الاسلام ثم  
تدميرهم .

وليس هناك ما يمنع ان يكون الفساد  
والعلو ثم التدمير لمرتين بعد نزول  
الآيات والواقع ان المتعمق في  
الآيات يجسد المرتين في علو اليهود  
وافسادهم ثم تدميرهم هما بعد نزول  
آيات الاسراء .

وذلك ان الله يقول وقضينا الى بنى  
اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض  
مرتين ولتعلن علوا كبيرا ، فاذا جاء  
وعد اولاهما ، واذا ظرف لما يستقبل  
من الزمان ولا علاقة لما بعدها بما  
قبلها فوجود كلمة اذا في الآية تدل  
على ان الفساد والعلو ثم التدمير الاول  
آت وانه لم يمر كما ان استعمال اذا  
للمرة الثانية يدل على انها آتية لم تمر  
كذلك .

وقوله تعالى : ( بعثنا عليكم عبادا  
لنا اولى بأس شديد فجازوا خلال  
الديار )

عنهما وقال قتادة ارسل عليهم  
جالوت فقتلهم فهو وقومه اولو بأس  
شديد ، وقال مجاهد جاءهم جند  
من فارس يتجسسون اخبارهم ومعهم  
بختنصر ، وقال محمد بن اسحق ان  
المهزوم سنحاريب ملك بابل وقيل  
انهم العمالقة الى غير ذلك من الاقوال  
المتضاربة ، ونحن حين ننظر الى الآيات  
نظرة موضوعية نجد الاشياء الآتية : -

أولا : الآيات مكية وتحدث عن  
علوهم وفسادهم لليهود فهل مضى هذان  
العلوان قبل نزول الآية ام انهما آتيان .  
مما لا شك فيه ان اليهود دمروا  
اكثر من مرة قبل الاسلام ، وقبل  
نزول الآيات فقد سباهم البابليون ،  
ودمرهم الرومان وذلك انه منذ  
ان غضب الله عليهم نتيجة سوء تصرفهم  
وحقدهم على الله وانبيائه غضب الله  
عليهم وجعلهم يتصرفون تصرفا يلجئ  
البشرية الى اذلالهم وضربهم . يقول  
الله تعالى في سورة البقرة آية ٦١ وضربت  
عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب  
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات  
الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك  
بما عصوا وكانوا يعتدون ) ثم تقرر  
آية اخرى في سورة اخرى ان العذاب  
سيستمر في اليهود والتدمير لهم الى

ان الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين اذ ان الله سبحانه وتعالى حين يضيف كلمة العباد المذاته تكون في موضع التشريف ، ويخص بها المؤمنين يقول الله تعالى : ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ) ويقول : ( يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم ) ويقول : ( سبحان الذى اسرى بعبده ) ، واعظم منزلة للنبي صلى الله عليه وسلم انه عبد الله ورسوله . وفي التحيات ( السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين )

وهذا التشريف والتكريم اليماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان لانهم جميعا من الوثنيين . اذن ينطبق هذا الوصف على رسول الله واصحابه الذين جاءوا الى المدينة لليهود فيها نفوذ سياسى واقتصادى . وكان من اول اعماله في المدينة ابرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود وان اليهود جماعة مستقلة ، وان المسلمين جماعة مستقلة ، فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وازالوهم عن المدينة وخبير وتيماء ، وزال سلطانهم وتدمر علوهم فكان ذلك من خلال

معارك بنى قريظة وبنى النضير ، ومعارك خيبر الشهيرة ، وتأتي سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى في قوله تعالى في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة ( هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار ) آية ٢ اذن هو اخراجهم لاول الحشر ، فخرج قسم منهم الى اذرعات من ارض الشام حتى تبدأ المرة الثانية من علوهم وفسادهم . ويقول الله وكان وعدا مفعولا يعنى في عهد النبي والوحى ينزل وأتمه اصحابه من بعده . وتبدأ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المرة الثانية من العلو والفساد ، فتخبر الآيات ان الله سيجعل لليهود الكرة عليهم على من ؟ على الذين جاسوا خلال الديار اول مرة ، والكرة الدولة والسلطة . وحين اراد الله لليهود ان يكروا استعمل كلمة ( ثم ) و ثم كما هو معروف معناها العطف مع التراخي او المهلة فهل كر اليهود في التاريخ على البابليين وكانت لهم دولة وسلطة عليهم ؟

لم يحدث ذلك في التاريخ ، ولن يحدث الآن ولا في المستقبل حيث ان البابليين قد انصرفوا من الدنيا كامئة وليس لهم مكان يعرفون فيه أو دوله يعيشون فيها وحاشا لله ان لا يصدق القرآن أو يكون خبره غير محقق اذن لا بد ان تكون الكرة على ابناء الذين جاسوا خلال الديار وهم المسلمون او العرب المسلمون فقد كر اليهود على ديار الشام وفلسطين منها وهذا هو الذى قد حدث ونعيشه الآن ، ويعاني منه المسلمون كل المسلمين ، وانظروا معى الى بقية الآيات تمضى فتصف الواقع الذى نعيشه وتعيشه دولة اليهود اذ بعد ان جعل الله الكرة لليهود علينا يقول الله لليهود (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر تقيرا ) .

وهنا نسأل مرة اخرى هل مد الله اليهود في التاريخ باموال وبنين غير هذه المرة . لم نعرف ان ذلك قد حدث ، واليهود منذ ان غضب الله عليهم وهم في بلاء متصل وعذاب مستمر فقبل الاسلام كان عذاب البابليين لهم والرومان ، وبعد الاسلام اخرجهم المسلمون من الجزيرة ثم بدأت اوربا تعذبهم في اسبانيا حتى جاء المسلمون فانقلدوهم من الاسبان واستمر العذاب .

واليهودى في كل الارض يعتبر انسانا شريرا متآمرا يستحق التعذيب والقتل ، وآخر من عذبهم في حياتنا المعاصرة هو ادولف هتلر ومعه النازيون وحتى نرى مبلغ صدق الآية ، ونرى اعجازها باعيننا نجد دولة اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من اطراف الارض ليمدوها بالخذ ، وفي هذه الفترة من روسيا بالذات ، وترى الاموال من دول الغرب تأتيتها بمساعدات مذهلة حتى تستمر في عدوانها وطغيانها وجبروتها ، ثم يقول الله وجعلناكم اكثر فقيرا ولذلك فان اكبر قوة في الارض أو اكبر دول الارض تساند دولة اليهود في حال فقرتها وحربها .

اذن هذه هي المرة الثانية من العلو فما بال الفساد ؟ وحتى يتحقق الفساد فترى اليهود في دولتهم يرتكبون افظع الجرائم بحيث فاقوا كل انواع العذاب التي عانوا منها في زعمهم أو عاناه غيرهم ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم ( ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها ) وهم قد اساءوا فقتلوا النفس الانسانية وعذبوها ويتموا الاطفال وسجنوا النساء وهدموا البيوت



واغتصبوا الارض واقاموا المستعمرات  
وحرقوا الاقصى في ٢١ / ٨ / ١٩٦٩  
والاقصى عند الله عظيم ، وذنسوا مسجد  
الخليل عليه السلام ، والخليل عند الله  
هو الخليل ، وارتكبوا جريمة الجرائم  
في مسجد الخليل يوم ان عمدوا  
الى كتاب الله القرآن العظيم فمزقوه  
وداسوه .

وهنا تأتي عقوبة الله على ما اقترفوا  
من الاثم والجرائم بتفسير من الآيات  
ان دولتكم لن يطول فسادها ولا علوها  
فيقول الله ( فاذا جاء وعد الآخرة  
ليسوا ووجوهكم وليدخلوا المسجد كما  
دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا  
تتبيرا ) وهنا حين يجبر الله عن زوال  
دولتهم استعمل كلمة الفاء للعطف ولم  
يستعمل ثم والفاء للعطف مع التعقيب  
والتعقيب كل شئ بحسبه وما يناسبه وهو  
يدل على السرعة المناسبة في حصول  
المقصود ( فاذا جاء وعد الآخرة ) اى  
لذهاب علوهم الثاني تصبح وجوه  
بنى اسرائيل سيئة ويبشرنا ربنا جللت  
قدرته اننا سندخل المسجد الاقصى كما  
دخلناه اول مرة ، وفي هذه الآية اشارة  
لطيفة الى دخولنا المسجد مرتين . والمرتان  
حدثنا بعد نزول الآية المرة الاولى  
الفتح العمري للمسجد حين دخله باسم

الله والاسلام ، والمرة الثانية هذه  
التي نحن على ابوابها حيث سيدخل  
المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية ،  
ثم يقرر الله اننا سنتبر أى ندمر ،  
ونهلك علو اليهود المادى والمعنوى .  
ومما تجدر الاشارة اليه هنا  
ان فلسطين لم تعرف العمارات ذات  
الطوابق التى تزيد عن اربعة او خمسة  
طوابق الا في ظل اغتصاب اليهود لها .  
ولذلك فان هذه العمارات الشاهقة التى  
يقيمونها على الارض المباركة سيلحقها  
التدمير والحراب ثم تمضى الايات  
فتحذر اليهود من محاولة العودة للفساد  
والتعالى فيقول الله لهم ( وان عدتم  
عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ) ،  
وتأتينا البشرى من الله بعد ان يفهمنا  
ربنا ان القرآن يهدى الى الطريق السوى  
والحياة الصحيحة تأتينا البشرى بالنصر  
فيقول : « ان هذا القرآن يهدى للتي هي  
أقوم وبيشر المؤمنين الذين يعملون  
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا » . وفي  
آخر السورة سورة الاسراء آية اخرى  
تتعلق بهذا الامر ، وهى قوله تعالى  
في آخر السورة « وقلنا من بعده لبنى  
اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد  
الآخرة جئنا بكم لغيفا » ولغيفا جماعات  
ملتفة وفي بقية الآية انذار لليهود وبشرى

لنا، فيقول الله ( وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا ) بشرى لنا وانذار لهم فاذا ربطنا هذه الايات وتفسيرها بالحديث الذى يدلنا على صدق النبوة ، ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم حين اخبرنا عن قتال اليهود فيما رواه الشيخان البخارى ومسلم وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله الا الغرق قد فانه من شجر اليهود ) .

ايقنا بعد ذلك لماذا لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود وذلك انه منذ سنة ١٩٤٨ ، وكل محاولة للصالح وتثبيت دولة اليهود يفشلها اليهود انفسهم وذلك لان الله يلهمهم الخطأ فيرفضون كل الحلول لان اليهود لا يعالجون أى امر إلا بالحقد والتأمر والخديعة ، ويقرر الله ان لا عقل عندهم فيقول ( لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون ) ،

وذلك كله يجرى حتى يأتي اليوم الموعد يوم تتخلص المعركة أو ديار المسلمين من الايديولوجيات المناهية للاسلام وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اخبر في حديث قتال اليهود ان الحجر والشجر سينطق ويقول ( يا مسلم يا عبد الله خلفى يهودى فتعال فاقتله ) اذن لن يكون قتال النصر في فلسطين قتالا يمينيا رجعيا ولا يساريا تقديميا ، وانما يكون قتالا اسلاميا في سبيل الله كما كان دائما قتال النصر للمسلمين ( ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا )

وبعد فان الآية الاولى في سورة الاسراء نصت على بركة الارض التى تحيط بالمسجد الاقصى وكذلك آيات اخرى نصت على هذه البركة مثل قوله تعالى في حق الخليل ابراهيم « ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين » وقوله ( وجعلنا بينهم ومن القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليلالى واياما آمنين ) ، والبركة الزيادة في كل شئ ، وليست بركة هذه الارض مادية وانما بركتها بالاضافة الى الاشياء المادية بركات معنوية تتمثل في انها عرش الانبياء ولذلك فكر

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في دفنه في بيت المقدس عند وفاته باعتبارها عش الانبياء ، وكانت لم تفتح بعد ، وهي مهبط الوحي وهي مسرى النبي ومعراجہ منها صلى الله عليه وسلم وهي القبلة الاولى فقد صلى المسلمون الى مسجدها ستة عشر شهرا ومسجدها تشد اليه الرجال كما ورد في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى » .

ومن بركة هذه الارض استقراء انه حينما يبتعد المسلمون عن محور عزمهم ومركز قوتهم وهو الاسلام يضعفون ويتمزقون وتكثر دولهم ودويلاتهم فيسهل على العدو أن يتسرب من خلالهم فيأخذ الارض المباركة ويأخذ المسجد الاقصى وعندها يتحرك المسلمون حركة حياة من جديد وينفضون غبار الهزيمة فيعملون لاستخلاص هذه الارض فعن طريق استخلاصها يتم توحيد المسلمون من جديد . الا ترون انه بسبب حريق المسجد الاقصى كان مؤتمر القمة الاسلامى الاول في

المغرب الذى انبثق عنه مؤتمر وزراء الخارجية المسلمين الذين كونوا الامانة العامة الاسلامية في جده ، وهذا من بركة هذه الارض التى باركها الله . ولذلك لن يصل احد مع اليهود واعوانهم الى حل حتى يأتي امر الله ويتوحد المسلمون ، ويعود الاسلام محركا للحياة في ديار الاسلام وفي العالم كله .

وقد ظهرت بركتها في الحروب الصليبية اذ بعد ان اخذها الصليبيون وظنوا ان الامر قد استقر لهم كانت حروبهم سببا في توحيد المسلمين من جديد فكان نور الدين زنكى الذى وحد الاجزاء المبعثرة واخذ الراية منه صلاح الدين ، فكانت حطين النصر المبين وكانت معركة القدس فيما بعد ودخلها رحمه الله فاعاد الامن والامان اليها وعاد مسجدها الى قدسيته وطهره .

وقدر اهل الشام وفلسطين منها انهم مرابطون الى يوم القيامة حيث الكفار لا يتركون الارض المباركة يستقر اهلها وهم يريدون مسجدها ليقيموا عليه الهيكل .

روى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الشام وازواجهم وذريتهم وعبيدهم واماءهم الى منتهى

الى الغور المنخفض فهناك البركة المعنوية والبركة المادية تتصاغر امام البركة المعنوية والتي باركها الله فجعلها القبلة الاولى يصلى اليها المسلمون واسرى بنبيه اليها وعرج به من مسجدها الى السموات العلى وجعل مسجدها الاقصى تشد اليه الرحال وهى عش الانبياء وهذا مما جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتي بنفسه لتسلم القدس ولذلك فحينما يتحدث اليهود واعوانهم عن الوطن البديل للفلسطينيين يظنون ان أى ارض يمكن ان تستبدل بها الارض المباركة ويظنون ان الامر امر اسكان لاجئين او استقرار مشردين وما علموا أو هم يتجاهلون ان هذه الارض لا تدانيها ارض اخرى ولا يمكن ان يقوم مقامها وطن بديل في أى بقعة من بقع الكرة الارضية اذ ان هذه الارض مرتبطة بعقيدة المسلمين سجلت في كتاب الله بوصفها القبلة الاولى وبوصفها مسرى النبي وبوصفها معراج الرسول وبوصفها الارض المباركة ولذلك فهى لا تخص الفلسطينيين وحدهم ولا تخص العرب وحدهم بل تخص المسلمين اينما كانوا وحيثما وجدوا وما دام كتاب الله القرآن موجودا على الارض يتلى وفي الارض مؤمنون فليس هناك

الجزيرة مرابطون ممن نزل مدينة وقرية من المدائن فهو في رباط أو ثغر من الثغور فهو في جهاد ، وقلد اهل الشام كذلك ان ينتقم الله بهم من اعدائه فعن خريم بن فاتك اهل الشام سوط الله في ارضه ينتقم بهم ممن يشاء من عباده وحرام على منافقيهم ان يظهروا على مؤمنيهم وأن يموتوا الا هما وغما وغيظا وحزنارواه الطبراني مرفوعا واحمد موقوفا ورجاله ثقات ، وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمعه يقول الملحمة الكبرى بارض يقال لها الغوطة فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وقد روى ابو بكر بن شيبه عن ابي الزاهرية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور .

وعلى هذا فالارض المباركة بركتها بالاضافة الى الاشياء المادية التى ذكرها المفسرون من الثمار والاشجار والانهار والارض المعطاء والسهل الحصب والجبال العالية والارض المنخفضة التى تجعلك تنتقل في ساعة من زمن أو أقل من مستوى سطح البحر الى العلو الشاهق

استقرار لدولة اليهود وهى في طريقها لان تصبح من مخلفات التاريخ كما اصبحت دولة الصليبيين من قبلها من مخلفات التاريخ تؤلف الكتب عن اسباب زوالها ويكتب الباحثون ابحاثهم ويعطى العلماء آراءهم في ذلك وكلهم او جلهم ينسى او يتناسى الحقيقة الازلية وهى استحالة ان يملك هذه الارض غير المسلمين ملكا مستقرا وان تبقى في حوزة اعدائهم لان هذه ارادة الله بينها ليلة الاسراء .

والواقع ان العالم كله لا يفقه القضية الفلسطينية أو القضية اليهودية وانما كل فئة تنظر الى القضية من زاوية معينة تتفق مع مصالحها وهذه النظرة بالنسبة لمصالحها صحيحة ، فالغرب ينظر الى القضية على انها امتداد للحروب الصليبية، وان اليهود اداة في يديه لتمزيق الوطن الاسلامى والسيطرة على بلاد المسلمين وتهديدهم حتى لا يفيقوا مرة اخرى فيتعرضوا لقيادة الدنيا وانقاذها مما تعاناه . وروسيا تنظر الى القضية على ان بقاء دولة اليهود في بلاد المسلمين امر ضرورى لايجاد التناقض حسب الفكر المادى ولذلك هى مع بقاء دولة اليهود ، وتحارب الطبقة الحاكمة في اسرائيل حربا طبقية باعتبارها عميلة

للغرب ، ويهجمها ان يبقى التناقض في المنطقة ، وعدم الاستقرار لان ذلك حسب وجهة نظرها يغذى الحركة الشيوعية وينميها . والحكام في المنطقة او اكثرهم يرون في دولة اسرائيل ضمانا لبقائهم فهم يريدون لها ان تبقى حتى يبقوا ولكن يريدون منها ان تتنازل عن بعض ما اخذته حتى يكون ذلك ( انتصارا ) ظاهريا يخدع به الشعب العربي والمسلمون من ورائهم . واهل البلاد الذين اخرجوا من ديارهم ( الفلسطينيين ) ينظرون الى القضية من زاوية انهم شعب ظلم وشرذ واضطهد فهم يريدون حياة الاستقرار في الارض التى ولدوا فيها او نبت اباؤهم فيها او دفن اجدادهم في ترابها فهم يحنون بفطرتهم اليها ولا يرون في الدنيا ارضا تكون بديلا لها وهذا صحيح ولكن هذه النظرات المختلفة للقضية من زواياها المختلفة ليست هى القضية وانما القضية تتعلق باليهود أو بغضب الله على اليهود والمستمر عبر التاريخ بالعذاب الواقع بهم نتيجة سوء تصرفهم وحقدهم على الانسانية حلقة من حلقات الغضب والسخط عليهم من الله . ان الله اخبر في القرآن في آيات الاسراء كما اسلفت في اول البحث

وفي حديث البخارى ومسلم انه قبل قيام الساعة ستقوم لليهود دولة ثم يتولى المسلمون تصفيتها حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله خلفى يهودى فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود .

ولقد حاول العالم منذ ١٩٤٨ او القوي الكبرى في العالم او الغرب على وجه التخصيص ان يثبت اسرائيل دولة فوضع الحلول وحاك المؤامرات وخلق قيادات واوجد زعامات لتتعاون معه على تثبيت اسرائيل دولة، واكن المؤامرات تفشل والطبخات تحترق وذلك بفضل الله ثم معاونة اليهود انفسهم حيث يرفضون كل ما يعرض عليهم حتى يأتي يومهم الموعود وقدرهم المرصود فتزول دولتهم بأثامها وشرورها وان الغرب اليوم يحاول جاهدا لانقاذ دولة اليهود من مصيرها المحتوم وقدرها المرسوم رغم انها ، ولكن اليهود يتمردون على من اوجدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون وصدق الله اذ يقول في حقهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر باسمهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون » .

وان من بركة الارض المباركة ان

المسلمين يتوحدون دائما عن طريق استخلاصها من ايدي اعدائهم وذلك ان الامة الاسلامية حينما تبتعد عن محور قوتها وهو الاسلام يلحقها الضعف والتشتت فتقام فيها دول ودويلات حتى تصل في صغرها الى مستوى الاحياء والحارات فيأتي العدو ليتسلل عبر هذا الضعف فيأخذ الارض المباركة وتسقط القدس ، ويسقط الاقصى في يديه عند ذلك تبدأ الامة في التحرك حركة الحياة من جديد حتى اذا وقفت على قدميها كرت على عدوها لتخلص الارض المباركة منه فتتوحد من اجل ذلك او بسبب ذلك . كان ذلك في الحروب الصليبية وكان ذلك في حروب التتر وهو الآن . ولذلك بسبب حريق الاقصى في ٢١ / ٨ / ٦٩ انعقد مؤتمر القمة الاسلامى الاول وخرجت من ذلك المؤتمر منظمة الدول الاسلامية الممثلة في الامانة العامة الاسلامية في جده والتي يعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية مؤتمرهم السنوى في احد العواصم الاسلامية وسيستمر اللقاء والتقارب حتى يصل الى حد التمازج والتلاحم فيشترك المسلمون كل المسلمين في تحرير الارض المباركة التي تكون سبب وحدتهم .

وبمناسبة انعقاد مؤتمر السيرة النبوية في  
استنبول ، عاصمة المسلمين لعدة قرون  
ومركز الخلافة الاسلامية لمئات السنين  
لا بد من الاشارة الى الدور الذى لعبته  
الدولة العثمانية في حماية المقدسات  
الاسلامية وخصوصا في فلسطين ،  
ولا بد من الاشارة هنا الى الخليفة العثماني  
السلطان عبد الحميد رحمه الله حيث  
رفض ان يعطى اليهود امتيازات في  
الارض المباركة مما جعلهم يحنقون عليه  
ويشوهون سمعته ويعملون على عزله  
متعاونين مع قوى الشر المختلفة من  
صليبية وماسونية ، ونعرات قومية مما

هيا الظروف من بعده الى التآمر  
على دولة الخلافة ، ومن ثم ذهابها وقيام  
دولة اليهود في الارض المباركة  
ولكن هذه الدولة لا تدوم كما اسلفت  
وكل الدلائل تشير الى سرعة زوالها  
وذلك حتى تتحقق الآيات والاحاديث  
في حقها « ويقولون متى هو قل عسى  
ان يكون قريبا »

والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله  
على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله  
وصحبه ومن سار على نهجه الى يوم  
الدين .



# من أعمدة الكتب

يقول ابن المقفع في (رسالة الصحابة) :

وقد علمنا علماً لا يخالطه شك أن عامة قاطبة لم تصلح من قبل أنفسها ،  
وأنها لم يأتها الصلاح إلا من قبل إمامها ؛ وذلك لأن عدد الناس من ضعفهم  
وجهاهم الذين لا يستغنون برأي أنفسهم ، ولا يحملون العلم ، ولا يتقدمون ،  
في الأمور . فإذا جعل الله فيهم خواص من أهل الدين والعقول ، ينظرون إليهم  
ويستمعون منهم ، واهتمت خواصهم بأمر عوامهم وأقبلوا عليها بجد ونصح  
ومثابرة وقوة ، جعل الله ذلك صلاحاً لجماعتهم ، وسبباً لأهل الصلاح من  
خواصهم ، وزيادة فيما أنعم الله به عليهم ، وبلاغاً إلى الخير كله .

وحاجة الخواص إلى الإمام الذي يصلحهم الله به كحاجة العامة إلى خواصهم  
وأعظم من ذلك . فبالإمام يصلح الله أمرهم ، ويكبت أدل الطعن عليهم ويجمع  
رأيهم وكلمتهم ، ويبين لهم عند العامة منزلتهم . ويجعل لهم الحجة والأيد في  
المقال على من نكب عن سبيل حقهم .



## موعظة عمرية

زار يوماً حفص بن أبي العاص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان جالسا الى طعامه فدعا إليه حفصاً ، ولكن هذا رأى التقديد اليابس الذي يأكل منه عمر ، فاعتذر إليه . فسأله عمر رضي الله عنه : ما يمنعك من طعامنا ؟ . فأجاب حفص : إنه طعام جشِبَ غليظ ، وإني راجع الى بيتي فأصيب طعاماً لينا قد صنع لي . فقال عمر ( رضي ) أتراني عاجزاً عن أن آمر بصغار المعزى . فيلقى عنها شعرها ، وأمر برقاق البرُ فيخبز خبزاً رفاقاً ، وأمر بصاع من زبيب فيلقى في سمن ، حتى إذا صار مثل عين الحجل صبَّ عليه الماء فيصبح كأنه دم غزال . فأكل هذا وأشرب هذا ؟ ! . . قال حفص : إنك بطيب الطعام لخبير . .

قال عمر رضي الله عنه : والذي نفسي بيده لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم . . ولو شئت لكنت أطيبكم طعاماً ، وأرفهكم عيشاً ، ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه . . ولكننا ندعه ليوم نذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت . وتضع كل ذات حمل حملها . . وإني لأستقي طيباتي لأني سمعت الله تعالى يقول عن أقوام : « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » .

من كتاب ( بين يدي عمر )



# مَكَرُ السَّيِّئِ الرَّاصِي

بقلم الشيخ محمد الصباغ  
جامعة الامام محمد بن سعود

انا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

أخذ الموت - في الشهر الماضي - من بيننا علما من أعلام الاسلام ، ورجلا من رجالاته ، ظل في الساحة حتى آخر لحظة من حياته : انه الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله رحمة واسعة .

ووفاء ببعض حقه اكتب هذه الكلمة المتواضعة التي تعرف بهذا الرجل الكبير وتعب عن عميق مشاعر الحب له ، وتبكي حظ المسلمين الذين يفقدون الخلف حتى أصبحنا نخشى أن نخلو الساحة .

ولد محمد أمين في دمشق ، وفي ربوعها الخيرة نشأ ، وفي كريم اجوائها المتدينة المحافظة درج وشب . وكان الناس يومذاك بين عالم ديني منقطع عن الحياة المعاصرة ، ويتبعه العامة ، وشاب متفرنج تلقى علوم الغرب بروح مجافية للدين فأضحى لا يبالي بالدين ولا يهتم به . ونشأت ناشئة فاضلة من فتیان دمشق المسلمة تلقت من علوم العصر ما يتلقى اولئك المتفرنجون ولكنها لم تنس دينها ولم تنحرف عن الصراط السوي ، وبقيت وفية للاسلام وتعاليمه ، مقيمة لحدوده واحكامه ، معلنة باعتزاز واباء استمساکها به وتبنيها له .

كان اولئك الفتية يلهبون حماسة ، ويمتلثون غيرة ، فتنادوا للتعاون على الخير والبر والنتوى ، واتخذوا لهم من ربي جبل قاسيون مقرا يأوون اليه ، فيتداولون الرأي في الذي يجب عليهم أن يعملوا ، ويقرأون بعض كتب التراث كاحياء علوم الدين ليتزودوا ، ويلتفون حول مجلة الرسالة يطالعون بنشوة وسرور

مقالات الرافي . . . وكان فقيدنا محمد أمين المصري واحدا من هؤلاء الشباب .  
وانتهت اجتماعاتهم المباركة الى العمل على انشاء أول حركة اسلامية حديثة  
في بلاد الشام .

هكذا بدأت حياة الطالب محمد أمين المصري في مكتب عنبر عملا للاسلام  
ومواجهة للانحراف ، واستعدادا للمضى في المعركة الى الومق الاخير .  
ويبدو - كما يقرر ذلك أخونا الكبير الاستاذ عبد الرحمن الباني - ان هذه  
القراءة في كتب الغزالي تركت اثرا كبيرا في حياة الدكتور أمين ظل حتى اخر  
حياته عليه رحمة الله ورضوانه . والشئ الذي يذكره عنه الاستاذ الباني ان الدكتور  
أمين كان يتميز عن زملائه بارادة صلبة جعلته يطبق كثيرا مما يمر معه في الاحياء  
مهما كان هذا الذي يطبقه صعبا .

وكان - غفر الله له - يمتاز بالابتسامة المضيئة العذبة ، والحنان الدافئ ، والرفق  
الوفير ، والوفاء الجلم لصاحب المعروف ، فكان يشكره ويذكره بكل خير .  
وكان يسمع برنة صوت محببة تزيدها الابتسامة الدائمة - حلاوة وسحرا ، اما  
بشاشته واهتمامه بمن يلقي ومحاولة خدمته فشيء منقطع النظير .

سار أمين في مكتب عنبر حتى حمل شهادة البكالوريا ( قسم الرياضيات ) ثم  
تابع دراسته في دار المعلمين حتى نال شهادة أهلية التعليم ، وانتظم مدرسا في  
قرية ( داعل ) ، احدى قرى محافظة حوران ، ثم انتقل الى دمشق مدرسا في مدرسة  
طارق بن زياد فعاد إلى أولئك الفنية يواصل عمله معهم لرفعة الاسلام ، وكانت  
لديهم اهتمامات روحية وعلمية واجتماعية .

فمن مظاهر الاهتمامات الروحية في فقيدنا انه التحق ببعض مشايخ الصوفية  
يلتمس تصفية نفسه وتزكية روحه ، والتزم بتكاليفها وظل كذلك الى ان تبين له  
ما تنطوى عليه من فساد وانحراف فتركها محذرا منها مبينا ما رآه فيها من المساوىء .  
ومن مظاهر الاهتمام العامى تلك الندوات العلمية التي كان يسهم فقيدنا فيها  
اسهاما جيدا ، وحضوره دروس عالم الشام الشيخ محمد بدر الدين الحسنى ودروس  
الشيخ ابي الخير الميداني . وغيرهم .

ومن مظاهر الاهتمام الاجتماعي اشتراكه مع زملائه في انشائه الحركة  
الاسلامية الواعية التي اشرت اليها آنفا .

ثم انتقل عمله الى الثانوى فكان معيدا في التجهيز ومدرسا للدين فيها ، فزاد نشاطه في الدعوة الى الله جدا لان الذين يعلمهم شباب لا اطفال ، وكانت الدعوة القومية في اوج انتشارها وذبوعها ، واستطاع بلباقة فائقة ان يشق طريقه في الدعوة في اوساط هؤلاء الشباب ، وان يحقق ما يريد من الخير على وجه يضمن له الاستمرار في عمله ، وكانت دعوته للاسلام في هذه المرحلة عن طريق الدعوة الى الاخلاق .

وفي سنة ١٩٤١ ذهب الى مصر للدراسة في كلية اصول الدين في الازهر ، والداعى الى ذلك استكمال معرفة هذا الدين ، والرغبة في اصلاح المسلمين ، ونال من هذه الكلية الاجازة ، ثم دخل معهد التربية وحمل شهادته .

وقد اعجب ايما اعجاب بالعالم العامل المجاهد الشيخ محمد الاودن رحمه الله ، ويبدو ان الصلة بقيت قائمة بينهما على اتم وجه ، وقد اصطحبني مرة الى زيارة الشيخ الاودن في بيته في مكة . رحم الله الجميع . وكانت له صلة طيبة بالحركة الاسلامية في مصر ، وكان يحرص على حضور محاضرات الاستاذ البنا رحمه الله ، ومحاضرات العلامة السيد محمد الخضر حسين ، وكان يلقي بعض الخطب في الحفلات الاسلامية التي كانت تقام . وله موقف مشهود في الجراة في قول الحق ، ومواجهة الناس به وذلك اثناء حفلة اقيمت في دار جمعية الهداية الاسلامية في القاهرة .

وقد حدثني الاستاذ الباني أنه انتفع مع الفقيه في مصر بتلك الدراسة التي اشترك فيها على العلامة السيد محمد الخضر في كتاب الموافقات للشاطبي . وعاد أمين المصرى الى بلاد الشام ، فعين مدرسا في الثانوى وقد درس علوما عدة منها المنطق وعلم النفس .

ثم ارسل الى باكستان ملحقا ثقافيا بالسفارة السورية — عمل هناك على نشر العربية وتعليمها ، والى ذلك كتابا مهما ومن تخرج على يديه الاستاذ خليل احمد الحامدى مدير دار العروبة للدعوة الاسلامية بباكستان ثم عاد ليعمل في وزارة المعارف يشترك في وضع مناهج التعليم .

وفي سنة ١٩٥٦ سافر الى انكلترا للدراسة الدكتوراه وكانت له قصة في اختيار موضوع الرسالة ، إذ أبى المستشرقون أن يكون موضوعه نقد « شاخت » ، فاختر موضوعا في « معايير نقد الحديث عند المحدثين » .

وعندما عاد الى الشام عمل في لجنة التربية والتعليم في وزارة المعارف ثم استأذناً في كلية الشريعة في جامعة دمشق ، ودرس فيما درس العقيدة ومصطلح الحديث وفقه السيرة . وقد عهدت اليه كلية التربية ان يدرس الطلاب المتخرجين من كلية الشريعة طرق تدريس الدين ، ولف كتابا في الطرق الخاصة للتربية الاسلامية ليفيد منه الذين يعدون للقيام بالتربية الاسلامية وتدريس العلوم الدينية في المدارس المتوسطة والثانوية .

ثم عمل في الحقل العام فتعاون مع رابطة العلماء في توجيه الناس ودعوتهم الى الخير ، ثم اتخذ من جامع المراتب في حي المهاجرين بدمشق منطلقا للدعوة . . اذ كان يخطب فيه الجمعة ويلقى فيه الدروس ، وكان النساء يحضرن في مكان خاص بهن . ولقد كان لهذا النشاط اثر كبير ولحقه بسببه غير قليل من الأذى .  
كما عمل ايضا في خدمة المدارس الشرعية ولا سيما التي كانت تفتح ابوابها للطلاب الاثراك .

ثم هاجر الى الحجاز بعد أن ادرك أن الظروف الصعبة التي قامت في بلده لا تتيح له أن يعمل ما يريد من أجل خدمة الاسلام . فترأس قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة في مكة ثم في المدينة ، وحذر من ابتعاث أبناء المسلمين الى ديار الكفار ليتلقوا دينهم عن اليهود والنصارى . وكان له نشاط مذكور في اذاعة المملكة العربية السعودية وتلفزيونها .

وقد تبين له - تغمده الله بواسع رحمته - أنه لا بد من قيام دعوة اسلامية قوية متميزة شاملة ، ووجد ان هذا هو السبيل الاوحد لاصلاح المسلمين وخدمة الاسلام : وكان ينادى بذلك ولا سيما في أيامه الاخيرة .

كما تبين له - عن طريق التجربة الذاتية - فساد الطرق الصوفية التي تدعى العمل لاصلاح النفس ، ومن أجل ذلك كان من أشد الناس حربا للدجالين القائلين بوحدة الوجود وكان يحذر من خطرهم اعظم التحذير ويعلم ان الخير كل الخير في اتباع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح لهذه الامة .

وكان رحمه الله محبا لخدمة الصالحين لا يبخل بجاهه ولا يتأخر عن مساعدة يملكها .

ولا يفوتني أن اذكر مؤلفاته التي بلغت نبأ وجودها :

- ١ - كتاب الطرق الخاصة للتربية الاسلامية .
  - ٢ - كتاب تعليم العربية ، ويقع في ٤ أجزاء وهذا الكتاب ألفه خلال تعليمه العربية في باكستان .
  - ٣ - الطفل السوي وبعض حالات شذوذه ، وقد ترجم هذا الكتاب عن الفرنسية بالاشتراك مع غيره ، ونشر في عدد خاص من مجلة المعلم العربي التي تصدر في دمشق .
  - ٤ - محاضرات في فقه السيرة ( مطبوع على الآلة الكاتبة ) .
  - ٥ - محاضرات في العقيدة ( مطبوع على الآلة الكاتبة ) .
- وله عدد من المؤلفات التي لم تطبع بعد .
- وبعد فما أكثر ما لقيت الدكتور امين في دمشق ومكة والمدينة والرياض ولكني لم اقه مثل اللقاء الاخير الذي سبق موته بأسابيع ثلاثة . فقد التقينا في دوسلدورف بالمانيا في مخيم الطلبة المسلمين كان - غفر الله له - يتألق صفاء ، ويموج حيوية ويمتلئ نشاطا وكانت محاضراته القيمة موضع الاستحسان والاعجاب من السامعين رحم الله الدكتور محمد امين المصري واحسن جزاءه وعوض المسلمين عن فقده وانا لله وانا اليه راجعون .

## في قفص الاتهام

في الجلسة الثانية لمحاكمة المتهمين بخطف وقتل المرحوم الشيخ محمد حسين الذهبي . . وقف المحامي رشدي بدوي ووضع « الصحافة » المصرية في قفص الاتهام . . صائحا في وجهها . . ومشيئا إليها قائلا :

لم تلتزم الصحافة بميثاق الشرف لقد بالغت الصحافة في وصف بعض المتهمين حتى فهم البعض أن ذلك يعتبر تحريضا للرأى العام ضدهم قبل أن تثبت إدانتهم وأقل حق في عرف القضاء أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته . .

ولقد سمعت حوارا بين واحد من رجال إدارة المحاكم العسكرية . . ورتبة عسكرية أخرى جاء فيه :

— لقد فشلت الصحافة فشلا ذريعا في عرضها للقضية . . لقد زيفت . . وكذبت . . وقالت بسذاجة وجهل ان أعضاء الجماعة يتزوجون زوجات بعضهم . . وأنهم منحرفون . . وأنهم وأنهم . . وقد راجعت أحد الصحفيين في ذلك فقال :

— أنتم السبب . . لانكم لم تعطونا أخبارا . . ولم تيسروا لنا المعلومات ! ! وحين سئل رئيس المحكمة أثناء الجلسة عن هذا قال :

— نحن لسنا مسئولين عما تنشره الصحف ! !

ووقعت الصحافة في مأزق . . وتعرت تماما . . لأنها أسرفت في السب . . والشتم . . والتجريح لأعضاء الجماعة ووصفتهم بأبشع الصفات .

في نفس الوقت لم تستطع أى جريدة أو مجلة أن تتناول فكر هذه الجماعة بالتنفيذ وإلقاء الضوء على نقاط الانحراف . . والسبب أن أغلب الذين كتبوا عن القضية



جاهلون بالاسلام . . . وكثير منهم حاقد على الاسلاميين اصحاب الاتجاه الاسلامى . . .  
فراحوا يهرجون . . . ويصخبون ويتملقون جهاز الامن بصورة متورمه . . . حتى  
قال البعض . . .

— ماذا كانت ستفعل الصحافة . . . لو أن جهاز الامن استطاع أن ينقذ حياة  
الشيخ الذهبي ! !

ونحن مع يقيننا أن جماعة شكرى مصطفي باعترفاها أن جميع المصريين كفار  
تكون قد انحرفت عن فقه أهل السنة . . . وسلكت سبيل الخوارج . . . إلا أننا نقول  
إن هناك ظروفا كانت بمثابة المناخ الذى ساعد على تفريخ تلك الجماعة . . . أقصد  
مناخ القهر . . . والمطاردة والتشريد والسجن والاعتقال بصورة لم يسبق لها مثيل في  
تاريخ هذا الشعب . . . وكان اعضاء الحركة الاسلامية في مصر أكثر الذين تعرضوا  
للقهر والمطاردة والتشريد ! ! والسجن والاعتقال . . . مما يجعلنا نعتقد أن وراء نحن  
الحركة الاسلامية خلال الربع قرن الاخير عقلا شيطانيا . . . وحقدا وكراهية  
للاسلام والمسلمين ! !

ونحن ضد الجريمة . . . ونشجب كل فكر منحرف أيا كان صاحبه لأن الاسلام  
أعز علينا من كل البشر ولكننا قبل أن نصدر حكما بالادانة علينا أن نتبين الدليل  
حتى لا نقع فيما ننهى غيرنا عنه . . .

كان الاجدر بالصحافة إن تفتح صفحاتها لمناقشة هذا الفكر لدحضه وتفنيده . . .  
وإظهار باطله . . . وإتاحة الفرصة للكامة للعلماء المخلصين لأن يقولوا كلمتهم . . .  
حتى نحصى شبابنا من الاستجابة لمثل هذه الافكار ! !

ولكن للأسف لم يحدث . . . بل أن الذى حدث ان بعض علمائنا الذين كان لهم  
في نفوس الشباب مكانه كبيرة قبل توليهم سلطة الوزارة استدرجوا من الصحافة  
وقالوا كلاما سيحاسبهم الله عليه فقد وصفوا زوجات المتهمين بأنهن دميمات  
معقدات دخلن الجماعة بدافع نفسى هو الميل الأنثوى للرجال .  
فما هكذا يتحدث العلماء ! ! يا علماء مصر ! !

عن مجاة ( الاعتصام ) — القاهرة :

رأى فالصالح

## أجهزة الإعلام

في موضوع المبوط الذى تنخبط فيه وسائل الاعلام عقدت مجلة الدعوة ( القاهرية ) استطلاعاً مع عدد من أهل القلم والفكر وقد أمكن تلخيص آرائهم في النقاط التالية : -

- ١- الاسراع في تطبيق الشريعة الاسلامية فأجهزة الاعلام هى مرآة المجتمع فأصلاحها يتطلب إصلاح المجتمع الذى تعكسه حتى ينشأ جيل يرفض الانحراف تماماً وبذلك لا تجرؤ أجهزة الاعلام على تقديم الانحراف ! !
- ٢- بناء رجل الاعلام المسلم عن طريق :
  - إنشاء كلية للاعلام بالازهر الشريف تحتوى على جميع التخصصات في هذا المجال ولا تقتصر فقط على قسم الصحافة بكلية اللغة العربية بالأزهر والهدف من ذلك تكوين جهاز إسلامى إعلامى مطبوع بطابع الاسلام وليس بطابع الغرب أو الشرق .
  - إعطاء دورات ثقافية دينية لجميع العاملين بأجهزة الاعلام وذلك بصفة دورية وتشمل هذه البرامج التعريف بالاسلام وواقع المجتمع المصرى ومشاكله حتى يكون العامل في الاعلام على علم بدينه وواقع المجتمع الذى يعيش فيه .
  - جعل الدين مادة أساسية في كلية الاعلام حتى يتخرج طالب الاعلام وعنده فكرة كاماة عن الاسلام عقيدة وشريعة . . منهجاً وسلوكاً .
- ٣- قصر العمل في مجال الاعلام على المتخصصين فيه مع تشجيع المواهب على

الالتحاق بالمعاهد المتخصصة وبذلك تتوفر الموهبة والعلم والهدف من ذلك  
الارتفاع بمستوى أجهزة الاعلام والتخلص من الدخلاء الذين هبطوا بالاعلام  
الى الخسيس .

٤ - إجراء حركة تطهير في أجهزة الاعلام وتشمل المنحرفين خلقياً وعقائدياً  
وتبدأ بالاساتذة الشيوعيين في كلية الاعلام فالشعار الذى ترفعه الدولة بأن  
من لا إيمان له لا أمان له يجب تطبيقه فوراً .

٥ - وضع ميثاق شرف لحماية المجتمع من الانحراف ويشمل هذا الميثاق معنى  
الانحراف وتحديد أهداف الدولة والمجتمع من أجهزة الاعلام وتوقيع عقوبة  
على كل مسئول يضع برنامجاً يتعارض مع دين الدولة وقيمتها ومثلها مع وقف  
البرنامج فوراً .

وهكذا أجمعت الآراء على تحديد معنى الانحراف من واقع ما ينادى به الاسلام .

#### أذان من السودان

( . . . ان ما بدا من تعبيد السبيل إلى تطبيق أحكام الله خالصةً من كل دخيل  
وغريب ، وإقامة حدوده ومحارمه ، إنما هو عمل إيماني وتاريخي كبير لن يقف  
أثره الموضوعي المحلي على ارض السودان في خريطة العالم من حيث تحرير السودان  
من التبعية القانونية لغير ما أنزل الله ، بل سيكون له صدى بالغ الدلالة عميق الأثر ،  
وستكون جمهورية السودان ، وهي قطعة غالية من خريطة العالم الاسلامى ، نبراساً  
يقتدى به ، وخير من يذف البشرى للعالم الاسلامى كله . فان أوبةً إلى التشريع  
الاسلامى بعد طول غربة ووحشة هي أوبة العدل الآلى الذى يعصم الإنسان عقله  
وعرضه ودمه وماله ، وإرساء لصرح أمن قانوني رفيع على هدى المنهج الآلى . . . )

جميل بسيوني

عن مجلة الدعوة القاهرية

المستشار وعضو اللجنة السودانية

المجلة : ( انها لبشرى تفجر الامل بفجر جديد هو مايتلطف اليه العالم البشرى الضائع كله لا  
العالم الاسلامى وحده .  
( وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) .



صحة  
مكتبة  
منه

## لعادة الدكتورين كامل أخصائى الصدق مستشفى الجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وصحبه وآله أجمعين  
نيابة عن أعضاء الإدارة الطبية بمستشفى الجامعة يطيب لى أن أقدم بهذه  
النصائح الطبية لابنائنا الطلبة وأخواننا العاملين بالجامعة وأساتذتنا ، وخصوصا  
أن موسم الحج على الأبواب ونظراً لانتشار مرض الكوليرا في كثير من الأقطار  
العربية الشقيقة .

الكوليرا مرض سريع الانتشار وهو يسبب للمصاب حالات قي مستمر واسهال شديد مائي مما يؤدي إلى فقد كمية كبيرة من السوائل في الجسم ويؤدي إلى هبوط حاد في الدورة الدموية ووظائف الجسم وقد ينتهي الأمر بوفاة المصاب .

وللوقاية من هذا المرض يجب علينا ما يلي :

أ - سرعة التوجه إلى مركز التطعيم بالجامعة في المستشفى وقد تم حتى الآن تطعيم غالبية العاملين بالجامعة والطلبة كما يقوم المركز بتطعيم الأهالي .

ب - مقاومة الذباب لأنه يلعب دورا كبيرا في نقل المرض وتغطية الفضلات والقمامة يجب ان تكون في صناديق مغلقة .

ج - مراعاة غسل الخضروات الطازجة جيدا بالماء والصابون أو وضعها في محلول برمنجانات البوتاسيوم لمدة ١٥ دقيقة .

د - مراعاة غسل الايدي جيدا بعد الخروج من دورة المياه .

هـ - التوجه فورا إلى المستشفى إذا كانت هناك أعراض مرضية حتى يمكن العلاج المبكر وعزل المصاب .

كما يجب على ابنائنا الطلبة توعية أصدقائهم وأسرتهم .

وقفنا الله جميعا لخدمة ولرفعة هذا الوطن الطاهر الأمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دكتور / حسين كامل طه

اخصائي الصدر بمستشفى الجامعة



## الى أين أيها .. المغرب الحبيب ؟

يوم ١٧ / ١٠ / ٩٦ وبينما كان ثلاثة من المسلمين يعرضون كتباً وصحفاً اسلامية في حي الاسوفال ، فوجئوا بخمسين من الشيوعيين المنتسبين لما يسمى بالاتحاد العام لطلبة تونس ، يهاجمون الثلاثة بالضرب ، ولم يكتفوا بذلك حتى أقبلوا على الكتب والصحف الاسلامية مزقونها . وخصوا القرآن الكريم بكبر هذه الجريمة فقطعوه إربا إربا ثم احتفلوا بإحراقه .

جريدة (النور) المغربية

\* • \*

## المسيح ليس ابن الله

فاجأ ثمانية من علماء اللاهوت البروتستانتين الاوساط الدينية المسيحية في بريطانيا بفتوى اصدروها في كتاب ( المسيح ليس ابن الله ) الذي قالوا فيه : ان امكانية تحول الانسان الى الله لم تعد بالشئ المعقول والمصدق به في هذه الايام ، وان النبي عيسى هو انسان طبيعي وهبه الله هبات لم يهبها لغيره فهو نبي مرسل . وقد لقي الكتاب رواجاً منقطع النظير .  
مجلة النور -

\* \* \*

## بيان رسمي له أثره ..

إن البيان الذي صدر من مصر يعنى ماوتسى تونج قد صدم مشاعر المؤمنين في كل مكان . فقد ختم بهذه العبارة :

« رحم الله الفقيه العزيز وألهم شعب الصين الصبر والسلوان » . .

إن رحمة الله التي وسعت كل شئ ليس فيها متسع لماوتسى تونج .

محمد سيد احمد

مجلة الدعوة . .

مدرس مساعد بكلية أصول الدين

## شهادة حق

صرح البانددت بشميه فاته ياندى عضو البرلمان الهندى بمدينة «إله آباد» : إن الاسلام يعلم دروس الوحدة والتآخى والنظرية التى عرضها النبى الخاتم على الانسانية حول القومية والمحبة مع الوطن ، إنما هى من أمثل الوجوهات منقطعة النظير فى العالم ، وأضاف قائلاً بأن المستعمرين البريطانيين قدموا الحقائق التاريخية مشوهه وشوهوا مآثر الامبراطورية الاسلامية لغرس النفاق والشقاق بين الشعوب الهندية وخاصة أنهم شوهوا الاعمال الناصعة التى قام بها الملك أورنك زيب .

جريدة ( الرائد ) الهندية



# أخبار الجامعة

تلقى نائب رئيس الجامعة موافقة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة على تعيين فضيلة الشيخ عمر محمد فلاته رئيسا لمجلس شؤون الدعوة الإسلامية بالجامعة . . . وجددير بالذكر انه يشترك في عضوية المجلس عضو من هيئة التدريس من كل كلية من كليات الجامعة ورئيس شعبة الدعوة في قسم الدراسات العليا بالجامعة ورئيس قسم الدعوة في كلية الدعوة واصول الدين بالجامعة .



نتيجة الدور الثاني في الشهادات العالية بالجامعة الاسلامية لعام ٩٦ / ١٣٩٧ هـ

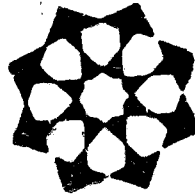
(١) الطلاب الناجحون بكلية الشريعة

رقم	اسم الطالب	جنسيته
١	أسراري عفيف	أندونيسي
٢	شعيب حبيب عثمان	أوغندي
٣	محمد أحمد سالم بيبه	سعودي
٤	السيد عقيل عثمان	سنغافوري
٥	صالح بن سالم الجهني	سعودي
٦	واهاما والنج	تايلندي
٧	محمد سلطان عبد الفتاح	أثيوبي
٨	محمد فؤاد فهم الدين	سعودي
٩	إمداد الرحمن علي	باكستاني
١٠	القائد محمد أسلم	باكستاني
١١	عبد القدير غداينور	أفغاني
١٢	طورس محمد محمود بك	سوري
١٣	حسن ابراهم الاهدل	يمني
١٤	عبد الرشيد محمد دن	باكستاني
١٥	محمد حياء محمد بطي	سعودي
١٦	حسن حمزة محمد الحسن	سوداني
١٧	عبد المجيد ابراهم الشيخ	أردني
١٨	السيد محسن عبد الرحمن الكاف	سنغافوري
١٩	محمد كمال سعيد	أثيوبي
٢٠	زبسر عبد السلام	نيجيري
٢١	علي محمد محمود	صومالي
٢٢	خادم حسن الهى بخش	باكستاني

تابع - نتيجة الدور الثاني في الشهادات العالية بالجامعة الاسلامية لعام ١٣٩٧ / ٩٦ هـ

( ٢ ) الطلاب الناجحون بكلية الدعوة وأصول الدين

م.س.س	اسم الطالب	جنسيته
١	عبد القادر منصور	سورى
٢	عبد الله الشيخ محمد الامين	سعودى
٣	طلال مصطفى عرقسوس	سعودى
٤	اسماعيل على	تايلاندى
٥	سماعى آدم	تايلاندى



الموسم الثقافي في الجامعة الاسلامية للعام الدراسي ١٣٩٧ هـ / ١٣٩٨ هـ  
 بدأ الموسم الثقافي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة مساء يوم الاربعاء الموافق  
 ٤ / ١ / ١٣٩٨ هـ بأولى محاضراته البالغ عددها خمس عشرة محاضرة ستكون  
 بإذن الله على النحو التالي :

العدد	اسم المحاضر	موضوع المحاضرة	تاريخها
١	الشيخ الدكتور جاد رمضان	موقف اليهود من الدولة الاسلامية عند نشأتها	١٣٩٨/١/٤ هـ
٢	« عبد الفتاح ع شماوى	كيف نكون شاكرين	١٣٩٨/١/١١ هـ
٣	« الدكتور أحمد الأحمد	في الدبلوماسية الأموية	١٣٩٨/١/١٨ هـ
٤	سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز	أصول الايمان	١٣٩٨/١/٢٥ هـ
٥	الشيخ محمد أبو طالب شاهين	مع سورة الكهف	١٣٩٨/٢/٢ هـ
٦	« عبد الرؤوف اللبدى	آراء في البحث	١٣٩٨/٢/٩ هـ
٧	الدكتور أكرم ضياء العمرى	نظرات في دراسة السيرة النبوية	١٣٩٨/٢/١٦ هـ
٨	الشيخ ابراهيم سرسيق	علم النفس الاسلامى	١٣٩٨/٢/٢٣ هـ
٩	الدكتور محمد الوائلى	قبس من تاريخ الفقه الاسلامى	١٣٩٨/٣/١ هـ
١٠	الشيخ عبد الله القادري	مسئولية التعليم	١٣٩٨/٣/٨ هـ
١١	« عبد الله الغنيمان	ثبات العقيدة الاسلامية أمام التحديات .	١٣٩٨/٣/١٥ هـ
١٢	« محمد أمان	تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة .	١٣٩٨/٣/٢٢ هـ
١٣	« عمر محمد فلاته	الشيخ عبد الرحمن الافريقي حياته وآثاره .	١٣٩٨/٣/٢٩ هـ
١٤	« صالح المحيسن	ما أدخلته الشيعة في التاريخ الاسلامى	١٣٩٨/٤/٦ هـ
١٥	« عبد المحسن بن حمد العباد	لزوم التزام المسلم بأحكام الشريعة الاسلامية .	١٣٩٨/٤/١٣ هـ



# فهرست

الصفحة	الموضوع	الكاتب
٣	أهل الكتاب في القرآن الكريم	لفضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم
٩	التكرار في القرآن الكريم ... ..	لفضيلة الدكتور احمد جمال العمري
٢٠	بين القرآن والكتب السماوية ... ..	لفضيلة الدكتور ابراهيم عبد الحميد
٢٤	عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق... ..	لفضيلة الشيخ محمد الغزالي
٣٢	الدين الحق ... ..	لفضيلة الدكتور عبد المنعم حسنين
٣٦	المصلحة المرسله ... ..	لفضيلة الدكتور علي محمد جريشة
٥١	الأدلة والبراهين على حرمة التدخين	لفضيلة الشيخ ابراهيم محمد سرسيق
٦٥	رسائل لم يحملها اليريد ... ..	لفضيلة الشيخ عبد الرؤوف اللبدي
٧٠	الحضارة الإسلامية ... ..	لفضيلة الشيخ احمد عبد الرحيم السايح
٨٢	تأملات في كتاب : « الله أو الدمار »	لفضيلة الشيخ محمد مصطفى المجذوب
٩٢	المقاومة في الشعر الاندلسي ... .. دراسة تحليلية نقدية	لفضيلة الدكتور عبد الرحمن بله علي
١٠٤	متى يفيق الغافلون ( شعر )	لفضيلة الشيخ محمد المجذوب
١٠٦	صيغة ( فعلان ) واستعمالاتها في اللغة العربية ... ..	لفضيلة الدكتور مصطفى احمد النماس
١٢١	تسعة أغلاط في خبر صغير ... ..	...
١٢٢	الاسراء وفلسطين ودولة اليهود ... ..	لفضيلة الشيخ اسعد بيوض التميمي

الصفحة	الموضوع	الكاتب
١٣٦	من أعماق الكتب ... ..	
١٣٨	مختارات من الصحف ... ..	
١٣٩	محمد امين المصرى ... ..	بقلم الشيخ محمد الصباغ
١٤٤	الصحافة المصرية في قفص الاتهام ... ..	
١٤٦	رأى في اصلاح أجهزة الاعلام ... ..	
١٤٨	وصايا صحية ... ..	لسعادة الدكتور حسين كامل
١٥٠	إلى أين أيها المغرب الحبيب ... ..	
١٥٠	المسيح ليس ابن الله ... ..	
١٥٠	بيان رسمى له أثره ... ..	
١٥١	شهادة حق ... ..	
١٥٢	أخبار الجامعة ... ..	
١٥٣	نتيجة الشهادة العالية بالجامعة الاسلامية	
١٥٤	لعام ٩٦ / ١٣٩٧ هـ ... ..	
١٥٥	الموسم الثقافي للجامعة الاسلامية عام	
	٩٧ / ١٣٩٨ هـ ... ..	



